MONODRAMA

The Dancer of Massabie

صورة الغلاف: Amal F. Kordofany

Charcoal on Canson

Big Size Pa

مونودراما راقص الماساباي

مجموعة مسرحيات من المسرح الطليعي

تم تمثيل بعضها في العديد من المسارح العربية

د.أمل الكردفاني

إعدام أميرة كوش – مسرحية من فصل واحد

(تم تمثيلها في العديد من المسارح العربية بمصر وفلسطين وغير ذلك)

الشخصيات:

الملك

الوزير

مرخيس

شيخو

ماي

جاول

عكا بت

مشهد (1)

(المسرح : معتم الأضواء ..)

(أصوات)

((لقد شربت الأميرة من البئر المحرمة))

((لقد حقت عليها العقوبة المشددة))

((هل سيقتلون الأميرة؟))

((الأميرة شربت من البئر المحرمة))

((اللعنة..!!))

((هل ستعاقب مثلنا؟؟ هل سيعدمونها))

((يا إلهي..))

((هي عدالة السماء إذن ،.. سيقتلونها كما قتلوا إبني المراهق الذي شرب من البئر المحرمة))

((لن يقتلوها .. سيجدون لها مخرجاً .. إنها ابنة الملك..))

يضيء المسرح ببطء ، عن قاعة ملكية مذهبة ، وملك يجلس موسداً خده إلى راحته ، وخلفه حارسان ، يدخل الوزير ، ويقف صامتاً أمام الملك.

الملك– (بحزن) .. سيقتلونها يا وزيري المخلص ..

الوزير– إنه لأمر مؤسف يا سيدي ..

الملك– لقد علمتني دائماً ومنذ أن كنت طفلاً ضرورة المساواة أمام القانون .. وعلمتني أيضاً ألا أكون ملكاً دكتاتوراً .. لو كنت طاغية لما قتلوا ابنتي يا بلعيم .. لكنك خوفتني من الطغيان .. وهأنا سأفقد ابنتي لأنني ملك عادل ..

الوزير – لقد شربت الأميرة من البئر المحرمة يا سيدي .. وكما قـُتل غيرها فيجب أن تنال العقاب ..

الملك– إنك لا تشعر بما أشعر به يا بلعيم لأنها ليست ابنتك ..

الوزير – بل أشعر بك يا مولاي .. لكنه القانون .. القانون واضح يا مولاي .. الموت لمن يعتدي على البئر ..

الملك– ألا يمكنني أن استخدم سلطاتي كملك ؟

الوزير – لا يا سيدي .. إنك إن فعلت تكون قد طغيت .. ولو طغيت فستعتاد على الطغيان وإن اعتدت على الطغيان فسوف يأتي هلاكك مسرعا وتكون آخرتك وخيمة ..

الملك– ولماذا يفعل الرب بي ذلك .. الأنني كنت عادلاً مع الرعية .. أهكذا هو جزائي .. إن الأميرة لا زالت طفلة .. لم تنمو لها أثداء بعد .. ما فعلته كانت ذلة طفل ..

الوزير – النص واضح يا مولاي .. الموت لمن يعتدي على البئر ..

الملك– سألتك عن سبب فعل الإله ذلك بي ...

الوزير – إنه ابتلاء .. ابتلاء يا مليكي .. إنه إكمال لقوتك وقدرتك على تحمل صعاب الملك بعدالة .. هنا فقط يتأكد للرب أنك حكمت بعدل ..

الملك– ألم يكن متأكداً بعد؟

الوزير – هو متأكد دائماً .. ولكنه يمنحنا الاختبار الأخير .. إنه آخر اختبار لك يا مولاي ..

الملك– ولكنني لم أعد متأكداً يا بلعيم .. لم أعد متأكداً ..

الوزير – (بجزع) .. لا يا مولاي .. أرجوك .. لا تفقد رباطة جأشك .. لا تفقد صبرك .. لن تخسر حربك ضد الظلم .. ضد نفسك .. ضد أهوائك في معركتك الأخيرة .. لا تخرب كل ما بنيته .. أرجوك ..

الملك – لن أستطيع أن أرى ابنتي تعدم أمامي وأنا أقف متفرجاً .. إنها حبيبتي .. عمري .. حياتي .. إنني أشعر بآدميتي كلما تحسست شعرها الناعم يا بلعيم .. كلما لمست أنفها الرقيق ذا المنخرين الصغيرين .. كلما فركت حلمة أذنها الطرية ..

الوزير – تجلَّد يا مولاي .. تجلد أرجوك .. لا تبكي .. فلا يصح أن يبكي الملوك ..

الملك– (يزداد بكاؤه) كيف أتجلد .. لماذا لا تشعر بي ..

(صمت)

الملك– (ينهض مغادراً القصر) إذا لم تجد حلاً أيها الوزير ، فلن تكون عدالتي على حساب إبنتي .. هل فهمت؟

(تعتيم)

مشهد (2)

تعتيم وأصوات

((إنه القانون يا قوم .. لا شيء سوى القانون))

((والمساواة أمام القانون هو سبيل بقاء هذه المملكة على عظمتها))

((ابنة الملك يجب أن تعدم))

((لن نتنازل أبداً .. إننا مجلس الشيوخ وعملنا هو الحفاظ على العدل في هذه المملكة))

((بقاؤنا هنا مضيعة للوقت ..ابنة الملك ستعدم .. يعني ستعدم))

يسطع الضوء رويداً رويداً

المسرح عبارة عن قاعة برلمانية كبيرة ، المقاعد موجهة تجاه الجمهور ، مقعد في المنتصف موجه هو الآخر تجاه الجمهور ، يجلس عليه الوزير ، ومن حوله رجال مجلس الشيوخ .

الوزير يضع خده على يده بحزن وتأمل ..

رجل على اليسار يصيح :

مرخيس : منذ تهارقا .. بي عن خي .. منذ أقدم ملوك كوش .. لم يتم خرق القانون .. فهل نخرقه الآن .

شيخو : (من على اليمين) نعم يا مرخيس .. لو خرقناه الآن فإن عدالة السماء ستنزل علينا اللعنات .. إن الرومان في مواجهتنا دائماً ..ينتظرون هذه اللعنة بفارغ الصبر ..

ماي : لن تسقط كوش بسبب فتاة مدللة ..

يتبادلون حواراً حاداً صامتاً ، تكشفه حركات أيديهم وشفاههم ، ويتضارب إثنان بصمت كذلك فيفضهم ثالث ، ويستمر المشهد بلا صوت لمدة ثلاثين ثانية ، حينها ينهض الوزير .

الوزير – ربما أنتم لم تفهموا حقيقة الواقع بعد .. وربما عليَّ أن أعيد على مسامعكم خطورة الوضع لتفهموا الورطة التي نحن فيها .. نحن يا سادة أمام نقطة مفصلية في حياة هذه المملكة .. إنَّ استمرار الملك في حكمه دون أن يتحول إلى طاغية مرهون بما يجب علينا أن نفعله الآن .. مرهون بحكمتنا لا بتهورنا .. بحديثنا الهادئ لا بصراخنا وصراعاتنا التي في أغلبها صراعات شخصية ..

جاول – (يحاول الاعتراض) ولكن صراعاتنا ليس..

(يوقفه الوزير بإشارة من يده) ويواصل الحديث .

الوزير – أنا أعلم كل شيء يا سادة .. أعلم بصراع النفوذ الذي تمارسونه هذه الأيام .. مرخيس .. شيخو .. ماي كاح .. ضد (عكا بت خي ، و جاول) وجماعتهما .. رائحتكم أصبحت تزكم الأنوف .. فسادكم بلغ عنان السماء .. الكهنة اشتريتم أصواتهم وسخرتموهم كأبواق لكم.. ولكن إلى متى سيصرخ الكهنة بأكاذيبكم .. لم يعد شعب كوش يصدقكم ولا يصدق الكهنة .. لقد استقطعتم كل أراضي المملكة لأولادكم وزوجاتكم وحتى أشقائكم وأنسبائكم .. ولولاي .. لولاي يا سادة .. (يصمت الجميع وينظرون برعب إلى الوزير) .. لولايَ ..هة (متهكما).. لكنتم جميعكم في السجن .. أنتم تعرفون أنني نظيف اليد ولا يمنعني شيء من وضعكم جميعاً في السجن سوى محاولتي للملمة قضايا فسادكم منعاً لإثارة اللغط عند الشعب .. وهأنتم الآن تتحدثون عن العدالة التي لا تعرفونها .. وعن الآلهة التي تعملون ضد تعاليمها ..إن ما يحدث اليوم هو في الواقع اللعنة الحقيقية .. إن هذه الورطة التي نحن فيها سببها فسادكم .. فإما أن نقتل ابنة الملك فينقلب على العدالة ويتحول إلى طاغوت .. أو .. نفرط في تطبيق القانون أمام العامة فيفقد القانون هيبته .. وحينما تضيع هيبة القانون .. تضيع هيبة العدالة .. وحين تضيع هيبة العدالة .. تضيع مؤسسات الدولة .. وحين تضيع مؤسسات الدولة تضيع الدولة نفسها ..إننا أمام حلين أحلاهما مرٌّ يا شيوخ هذه المملكة .. وأنتم .. أنتم تريدون استغلال أية فرصة لتصفية حساباتكم الشخصية ..

(يتحرك إلى الأمام ، معطياً الجمهور ظهره ، ثم يرفع ذراعيه عالياً)

الوزير – وهذا لن يحدث وأنا حي .. هل فهمتم .. إن مملكة كوش العظيمة لن تنهار بسبب حماقاتكم .. حتى ولو كان مقابل ذلك قص رؤوسكم من فوق أعناقكم ..جميعاً.

(يتحسسون رقابهم برعب)

الوزير– والآن يا سادة .. علينا أن نفكر في حل لهذه المعضلة .. علينا أن نفكر في طريقة لا تقتل بها الأميرة ولا ينتهك بها القانون ... هل لديكم حلول .. وتذكروا أن ميعاد المحاكمة سوف يكون بعد اسبوعين من الآن .. هذا يعني أن علينا إيجاد حل بأسرع وقت ممكن ..

جاول– اسمح لي يا سيدي الوزير

الوزير– تفضل يا جاول

جاول– يمكننا أن نصدر تشريعاً جديداً يجيز لأصحاب الدم الملكي الوصول إلى البئر المحرمة باعتبار دمائهم الملكية تمنحهم القداسة اللازمة لحجب الشرور عنهم .. وأعتقد أن هذا حل بسيط وسهل وميسور لنا ..

ماي كاح– ربما لا زال عقلك طفولياً يا جاول .. ربما لم تفهم حتى الآن القضية التي نتحدث عنها .. نحن لا نتحدث عن قانون برلماني .. بل عن قانون سماوي .. تعاليم مقدسة .. واضحة .. الموت لمن يعتدي على البئر المحرمة .. هل فهمت

عكا بت– من قال أنها مقدسة .. من قال أنها لم تخرج عن هذا البرلمان قبل عشرات السنين .. إنها مجرد أسطورة ..

شيخو– إن هذه الأسطورة هي التي يعيش عليها الناس من حولك .. ولولاها لما كانت المملكة موجودة حتى اليوم .. ثم أنها ليست لعشرات السنين إننا نتحدث عن قرون ..

مرخيس – هذا مما لا شك فيه إلا لمن لم تمنحه الآلهة مسكة من عقل سليم .

عكا بت – (يصرخ) ماذا تقصد بهذه الإشارات غير المهذبة ..

مرخيس – بل من أقصد وليس ما ؟

(يحتدم الصياح والصراخ)

الوزير– (يصيح) كفى ..

(يصمت الجميع)

الوزير– هل تعلمون يا سادة ما اسم هذه البئر .. إن اسمها هو بئر المقاصد .. المقاصد .. هل تعرفون ماذا يعني هذا الاسم .. إنه يعني أن كل النوايا البشرية تخرج وتدخل من هذا البئر .. تماماً كنواياكم غير الحسنة هذه وأنتم تتحدثون إلى بعضكم البعض .. إنها تعني بئر الأوساخ البشرية التي حفرتها الآلهة حتى تخلص الناس من عفونتهم ..وقد جاء تحريم هذه البئر من التعاليم المقدسة القديمة وسن لها البرلمان قانوناً خاصاً بها ، إذن نحن أمام قانون برلماني ولكنه

ذو سند مقدس ، إذا أردنا أن نلغيه فعلينا أن نلغي كافة القداسات ، والكهنة .. الكهنة اللذين تدفعون لهم الأموال سيقبعوا في منازلهم مع نسائهم ، والحروب التي نخوضها بإسم الآلهة ستنهار قداستها ولن نجد من يحارب معنا ضد أعدائنا الأشرار .. إن مجتمعاً بلا قداسة يعني مجتمعاً بلا هوية .. ومجتمع بلا هوية هو مجتمع ممزق وهش كهشاشة عظامكم التي نخرتها الرفاهية . إذن ، يا سادة ، فإلغاء القانون أو تعديله ليس ممكنا . فهل من اقتراح آخر ؟

مرخيس– نأتي بطفلة شبيهة لطفلة الملك ونقتلها .. لا حل آخر ..

(ينفجر جاول و عكا بت في الضحك)

جاول– يا إلهي .. لكم أنت مقرف أيها المدعو مرخيس .. أتتصور أن أسمح لك وأنا ممثل للشعب أن تخدع الشعب ؟!! أن تخدع الآلهة ؟!! بل ليس أنت فقط ، إنك تطلب منا جميعاً أن نكون مخادعين .. عن أي فضيلة يمكننا بعدها ان نتحدث عندما نقتل طفلة بريئة لمجرد أنها تشبه الأميرة ، إن نفسك غير السوية وروحك الملوثة ظهر شيطانها الآن ..

مرخيس– (يصيح باهتياج) أنا أيها المرابي الحقير ..

(يتصايحان فيصرخ الوزير بهم ليصمتوا ، فيعم الصمت)

الوزير– يا سادة .. أظنكم لم تفهموني أبداً .. إن ما أحاول فعله هنا هو البحث عن حل حتى لا تسقط أخلاقنا وليس لتسقط أخلاقنا وتنهار .. أنا هنا لأحافظ على العدل وليس لأستخدم الظلم من أجل العدل وإلا كان العدل نفسه ظلماً ..إن البدايات الظالمة لا تنتج إلا ظلما .. هل فهمتم .. هل من اقتراح آخر ..

عكا بت– لم يتبق أمامنا سوى أن نلجأ للحكيم العجوز (أخيم نِخي) .. إنه عجوز وربما عاصر سابقة كقضيتنا هذه ؟ وربما يعلم شيئاً ما .. المهم أن يدلنا على شيء ..

الوزير– نعم الرأي ..

ماي كاح– أنتم واهمون ف(أخيم نخي) يحتضر يا سادة ..

الوزير– وهذا أدعى أن نسرع إليه بأقصى ما لدينا من قوة ..

يخرج جميع البرلمانيين ويخرج الوزير في الآخر

(تعتيم)

مشهد (3)

تسطع الاضاءة رويداً رويداً على البرلمان من جديد ، يدخل البرلمانيون ويدخل الوزير أخيراً .

شيخو– باء ذهابنا بالفشل ..

جاول– مات العجوز الخرف ..

مرخيس– ردد على مسامعنا ما كنا نعرفه مسبقاً.. كلمتان فقط .. ابحثون عن المقاصد .. ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ..

عكا بت خي– حسناً نحن نعود إلى النقطة التي بدأنا منها يا سادة .. فماذا نفعل ..

الوزير– قبل أن تفكروا يجب أن أبين لكم ما فهمته من كلام العجوز ..

(يعطي ظهره للجمهور)

الوزير– ما فهمته هو أن نبحث عن المقاصد .. أنتم تعلمون أن التشريع يضعه أشخاص مثلنا .. أنتم مثلاً أشخاص عاديون .. لكنكم تسمون بالبرلمان .. قال البرلمان .. استن البرلمان .. فعل البرلمان ولم يفعل .. المقصود هو الشخصية المعنوية التي يتمتع بها البرلمان .. إنها حيلة قانونية .. لكن البرلمان في الواقع أشخاص مثلنا .. يفكرون ..

(يدور ليواجه الجمهور)

يتحدثون .. يتناكفون .. يتخاصمون ويتشاجرون ويكونون تحالفات .. ثم يأتي القانون كنتاج لمناقشات مطولة حوله .. إنني يا سادة أعتقد بأن العجوز الحكيم قد أشار لنا على نقطة مهمة .. ألا وهي أن نبحث عن مقاصد المشرع حين وضع القانون .. لماذا وضع القانون وما الذي يقصده من قوله (الموت لمن يعتدي على البئر) ... إن العجوز قد لمح لنا بالبحث عن مقصد البرلمان حين وضع التشريع ..

ماي كاح– حسناً .. أنت تعلم أيها الوزير أن هذا القانون قديم جداً إننا حتى لا نعرف تاريخ سَنِّه ..

شيخو– ثم أنه واضح وضوح الشمس (الموت لمن يعتدي على البئر) .. فعن أي شيء نبحث ؟

جاول– من قال أنه واضح .. إنه ليس واضحاً بالمرة .. هل تعلم ما هي قصة وضعه .. ملابسات سن هذا القانون .. أسباب تشدده إلى هذا الحد ؟ متأكد بأنك لا تعلم شيئاً عن ذلك فما معنى أن تقول بأنه واضح؟ عن أي وضوح تتحدث ؟

ماي كاح– إنه ليس واضح لأنه ليس مهنتك .. أنت مجرد مرابي لا تفقه في القوانين شيئاً ..

جاول– هل تقصد بأنك فقيه قانوني؟ أعلم أنك أثريت من تجارة الجلود .. فهل تعلمت القانون في المدبغة ؟؟

ماي كاح – أنا لم أهن مهنتك لتهين مهنتي .. وعليك أن تكف لسان العاهرات هذا عني وإلا

(يتناكف الجميع بصوت صامت ويتضاربون لثلاثين ثانية فيصيح الوزير بهم)

الوزير– كفى ... كفى .. متى تتوقفون عن حماقاتكم هذه ؟؟ إننا في معضلة وعقولكم لا تتفهم هذه المعضلة وجدية المسألة أبداً .. يا سادة .. إن القضية أخطر مما تتصورون .. فتجارتكم وأموالكم ووظائفكم رهينة ببقاء الملك عادلاً .. ألا تفهمون معنى ما أقول ؟

(تعتيم)

مشهد (4)

المسرح ، باحة خلفية لمنزل عكا بت خي ، مع قليل من الزهور على إجاصات متوسطة الحجم ، عكا بت خي يجلس على يمين المسرح وإلى يمينه جاول .

جاول– ما رأيك في ما يحدث يا عكا ؟

عكا بت– خطير .. ما يحدث خطير .. إن كل مصالحنا مهددة ..

جاول– إذا تحول الملك إلى طاغية؟

عكا– على العكس .. ألم تسمع ما قاله بلعيم ؟ لقد هددنا مباشرة بإنهاء فسادنا .. وذلك الأحمق المدعو مرخيس وشلته لم يفهموا هذه الإشارات الخطيرة في حديث الوزير..

جاول– هذا يعني بأن عمليات تطهير ستطالنا بعد انتهاء هذه الأزمة ؟

عكا– بالتأكيد .. هذا الوزير الأحمق لن يقبل أي مساومة ولن يتقبل أي رشوة ، إنني أفهم الرجال جيداً ، ثم أن الملك يجزل له العطاء فهو ليس في حاجة إلى مال .. والمصيبة أن باقي البرلمانيين لا يعيرون كل هذه المخاطر التفاتاً .

جاول– إن وضعنا المالي ليس قوياً في هذه الفترة الصعبة .. والتجارة مع الرومان لم تعد كما كانت في السابق بعد انفتاحهم على مستعمراتهم الآسيوية حيث كل شيء يباع بأبخس الأثمان .. لا تنقصنا ضربات أخرى من الوزير.

عكا– رغم أنني أكره مرخيس وشلته لكننا يجب أن نجتمع به للتفكر حول هذا الوضع المضطرب.

جاول– ما أراه عكس ذلك تماماً.

عكا– ماذا ترى؟

جاول– أرى أن نعمل على إعدام الفتاة .. فتحول الملك إلى طاغية هو حلنا الوحيد ..

عكا– سيقضي علينا الملك إذن؟!

جاول– على العكس .. ما يجب أن نفعله هو محاولة عرقلة الاعدام ..

عكا– لم أعد أفهمك ..

جاول– حسناً.. أنت تعلم أن مرخيس وشلته سيقفون ضدنا في كل ما نقوله .. أليس كذلك؟

عكا– هذا صحيح ..

جاول– إذن سنحاول أن نخرج بحلول لمنع اعدام الفتاة .. وسيقف مرخيس ضدناً على نحو مؤكد .. حينئذٍ نبعث برسالة إلى الملك .. نطلعه على ما بذلناه .. وعلى محاولات مجموعة كارهة للملك لعرقلة مجهوداتنا رغبة منهم في إذلال الملك . ونطلب منه أن يقضي على هؤلاء الخونة العملاء الذين يعملون من أجل مصالهم ومصالح روما .. سنوضح للملك بأن عليه أن يستخدم قصة تآمرهم على المملكة مع أعدائها لكي ينشغل بها الشعب وهكذا تبدأ مرحلة جديدة .. سنكون نحن أسيادها بلا منازع .

عكا– اللعنة ... إنها لخطة جهنمية ... طويلة المدى .. وتحتاج لنفس طويل وتكتيك معقد .. لكنها قوية وناجعة ..

جاول– حسناً.. سيكون من مصلحة الملك حينها أن يتبع نصائحنا لتفلت ابنته من العقاب.. وسيكون اعدام الوزير هو أول نصيحة نقدمها .. بعدها ننفرد بالسلطة ..

عكا– لدي صديق يعمل محامياً في دائرة العدل يمكنه أن يقدم لنا نصائح جيدة نستند عليها في دفاعنا عن ابنة الملك ..

جاول– حسناً .. دعنا نشرع في اللقاء به على وجه السرعة ..

عكا– هيا بنا ..

جاول– هيا بنا ..

يخرجان

(تعتيم)

مشهد (5)

(المسرح ، البرلمان)

(الوزير يتحرك جيئة وذهاباً على طول المسرح بقلق شديد)

الوزير – لم تتبق إلا أيام معدودات يا سيادة البرلمانيين .. ونحن لم نصل إلى نتيجة بعد ..

جاول– إننا نبحث يا سيدي الوزير في مقصد المشرع بكل جهد وأعتقد بأننا سنتوصل إلى نتيجة عما قريب ..

(يبدو الإضطراب على مرخيس ورفيقيه وهما يتبادلان أحاديث هامسة والتفاتات متوترة)

مرخيس– هراء .. ما يقوله جاول هراء .. الموت لمن يعتدي على البئر المقدسة .. يا سادة إننا نبحث عن تفسير لنص القانون إذا كان غامضاً ، أو متعارضاً مع نص آخر ، أو كان النص ناقصاً .. وكل هذا غير متوفر فيما نبحث عنه .. الموت لمن يعتدي على البئر المقدسة .. أي غموض في هذا النص ؟ أي نقص فيه ؟ أي تعارض فيه ؟ إنني لا أكاد أجد شيئاً من هذا .. فالنص يا سادة واضح وضوح الشمس في كبد السماء .

عكا بت– من قال بأن تفسيرنا للنص يجب أن ينطلق من التعارض أو النقص .. إننا نستطيع أن نفسر نصاً لا لبس فيه فنمد من نطاق تطبيقه أو نضيق منه ..

جاول– ثم من قال بأن النص واضح يا سيد مرخيس .. دعني أسألك سؤالاً .. ما المقصود بالعدوان هل مجرد الشرب من البئر يعتبر عدواناً .. هل يتساوى الشرب من البئر بإلقاء القاذورات فيها .. أيهما يصدق عليه وصف العدوان ؟

عكا بت– بل وما المقصود بالموت ..أهو الاعدام بالشنق أم بقطع الرأس أم مجرد الإثم الأخروي؟

الوزير – حسناً .. وماذا تقترحان ..

(ينظر جاول إلى عكا بت ويبتسم الرجلان ابتسامة زهو ونصر)

جاول– أرى أن نبحث عن نية المشرع في ذلك الوقت ، نبحث عن الملابسات التي فرضت وضع التشريع .. حينها نستطيع أن نفهم كيف كان العدوان وكيف كان الموت ..

شيخو– هراء .. هراء .. هراء .. ياإلهي.. لو حدث ما تقولونه بالفعل لتم إعدام الأميرة بكل تأكيد .. سيدي الوزير إن البحث قد يفضي بالفعل إلى إنطباق واقعة شرب الأميرة من البئر على الواقعة التي استلزمت سنَّ التشريع من قبل .. وحينها فقط سيكون إعدام الأميرة حتمياً .. علينا أن نكون أكثر مرونة .. علينا ألا نتحدث عن وهم إسمه المشرع .. فمن هو المشرع يا سادة حتى نقيد أعناقنا بما قاله قبل مئات السنين ,, إن القانون لا يتطور بذاته بل بفهمنا له .. إن المصدر الرئيسي للقانون هو روح الشعب وليس ما يسمونه بالمشرع ..

ماي كاح– لو كان المشرع رجلاً لقتلناه الآن وانتهى كل شيء .. هذا مجرد وهم .. ونحن لن نعلق المشنقة على عنق الأميرة بسبب الوهم .. لقد انفصل القانون عمن أصدروه .. وانطلق بحرية كنسر في أعالي السماء ليحقق آمالنا وطموحاتنا لا ليقيدنا في جدار التاريخ ..

جاول– يا إلهي .. أنتم تتجاهلون حقيقة هامة .. هي أن القانون نتاج لصراع دائم كصراعنا هذا .. لجدل .. لهزيمة إرادة وانتصار أخرى ..

الوزير – وماذا تقترح مجموعة مرخيس ؟

(يبتسم مرخيس وشيخو وماي كاح ابتسامة زهو ويتبادلون الهمسات المنتصرة)

مرخيس– نقترح أن ننفصل عن التاريخ .. وأن ننظر لما بين أيدينا .. أن نبحث عن حقيقة البئر ومدى قدسيتها .. بل إنني يا سادة .. أرى أن ننظر في مدى إمكانية ردم هذه البئر وإغلاقها للأبد..

عكا بت خي– اللعنة .. هل تريد أن تثير غضب العامة .. إنك دائما ما تنطق بغير وعي ولا تبصُّر..

مرخيس– ماذا تقصد ؟ أتقصد بأنني أحمق ؟ إنك تهينني بدون مبرر إنك تعبر الآن عن عدوان يفوق العدوان على البئر المقدسة نفسها ..

(يحتدم صراع صامت ويتضارب الجميع بالأيدي بلكمات صامتة سريعة)

الوزير –(يصرخ) كفى .. أقول كفي ..

(يتوقف العراك في الخلف).

الوزير – إننا ندور في دائرة مفرغة يا سادة وأنتم لا تقدرون الموقف .. لقد استدعاني الملك لقضايا تخص العلاقات الخارجية .. هل تفهمون ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن الملك قد انصرف

عن التفكير في أمر ابنته .. وهل تعلمون ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنه اتخذ قراراته بالتحول إلى طاغية وأن إعدام ابنته لم يعد محل جدل بالنسبة له .. هذه آخر فرصة لنا يا سادة ..

(يجلس الجميع على جانبي الوزير وهم يسندون خدودهم بأياديهم بحزن وتأمل)

(تعتيم)

مشهد (6)

(المسرح ، مجلس الملك)

الملك– (بعدم اكتراث) هل قرأت الرسالتين هاتين .. خذ واقرأ يا بلعيم ..

الوزير– (يأخذ الرسالتين ويبدأ في قراءتهما ، وبعد أن ينتهي يقول) اللعنة .. رسالة من جاول وصديقه ومرخيس واصدقائه .. إنهم يخونون بعضهم البعض ..

الملك– ويطلبون قطع رأسك أيضاً يا بلعيم ..

الوزير– (يطأطئ رأسه بأسى) يا مولاي .. إننا نمر بمحنة .. ربما كنت تعتقد بأنني لا أشعر بشعورك تجاه ابنتك ولكنني على العكس أنا أشعر بأسى شديد على الأميرة .. وأسى أيضاً على العدالة .. إنني بشكل أو بآخر شاركت في المؤامرة ضد العدالة من أجل العدالة .. وأنا لم أعد أعرف هل هذا صواب أم خطأ .. أن نضحي بقليل من العدالة من أجل الكثير منها .. أن تفلت ابنتك من العقاب مقابل ألا تتحول إلى طاغية .. لقد فشلت لأنني تنازلت عن مبادئي وقناعاتي تجاه العدالة .. إنني بالفعل استحق القتل .. ولكن ليس لأنني كما قالوا حاولت عرقلة اقتراحاتهم المثمرة التي كان بالإمكان أن تفضي إلى عدم اعدام الأميرة .. بل على العكس إنني استحق الاعدام لأنني شاركت في هذه الكارثة .. كارثة أن أقوض العدالة .. إن من يتخلى عن العدالة يستحق الإعدام يا مولاي الملك .. إنني وبكل صدق استحق القتل لأنني لم اكتف باللجوء إلى البرلمان بل أنني لجأت حتى إلى تزوير انتخابات القضاة لكي أضمن قضاة يأتمرون بأوامرك فلا يقضى بقتل ابنتك .. إنني أعلنها صراحة يا سيدي .. أنا مجرم .. لست مجرد مجرم ارتكب جريمة بسيطة بل إنني قد تجاوزت حد عتاة الاجرام حين حاولت بث السوس في هيكل العدالة ..

(ينهض الوزير)

الوزير – اقتلني يا مولاي .. فمن يحاول إجهاض العدالة لا يمكنك أن تأتمنه على نفسك وملكك بعد هذا ..

الملك– أقدر لك هذا الايمان المطلق بالعدالة .. وبعد كلامك وتباكيك على العدالة على حساب ابنتي فلا يمكنني أن أطلب معونتك .. أنت رجل مثالي يا بلعيم .. لم تفهم أبداً كيف تدار الممالك .. فلا عدالة في الممالك .. ومن يحكم بعدل في هذا العالم الظالم فإن نهايته ستكون حتمية لا محالة .. إن الحكم دنس ونجاسة وتلوث بالظلم .. هذه هي حقيقته وإلا لما طلبه الناس كافة وهم يلهثون من أجل المناصب ..

الوزير – أحترم وجهة نظر مولاي .. ولكنني متمسك برأيي الذي لن أحيد عنه .. إعدام ابنتك هو العدل كما أُعدم أبناء الناس الآخرين .. والظلم لا يفضي إلى بقاء الممالك والحكومات بل يفضي إلى إنهيارها ..

الملك– حسناً يا بلعيم .. لقد انتهى عهدك بالوزارة .. والآن سترى المجد الذي يحققه الظلم بأم عينيك .. لقد أعلنت الحرب على الممالك المصرية في الشمال تلك التي يحتلها الرومان .. سأدخل إليها متباهياً بنصري وتحت مبرر أخلاقي لا يمكن الطعن فيه وهو تحرير شعب مصر من ظلم الرومان...

الوزير – وهكذا سينشغل الناس عن موضوع اعدام ابنتك ..

الملك– بل على العكس يا بلعيم .. على العكس تماماً فأنا أريدهم أن يتذمروا ويمتعضوا لكي أعرف من هم العملاء والمأجورون الذين يحرضون الشعب على الملك .. سأقطع رأس كل من يعترض ..

الوزير – إذا يا مليكي المبجل .. أقول لك بكل إخلاص .. بأنني سأكون أول من يعترض ..

الملك– وأنا أقول لك بكل إخلاص .. بأنك أول من سأقطع رأسه ..

(تعتيم)

(المسرح: قاعة محكمة يجلس على منصة القضاء كل من جاول وعكا بت خي على شمال مرخيس وشيخو وماي كاح على يمينه ، ويقف الوزير بلعيم داخل قفص الاتهام)

مرخيس– هذا وبعد مناقشة هيئة الإتهام وهيئة الدفاع عن المتهم بي لي عيم فقد توصلت المحكمة إلى النتائج التالية:

في اليوم المحدد في محضر الإحالة ، قام المتهم سراً باقتياد الأميرة الصغيرة دون علم والدها الملك إلى البئر المقدسة ، وهناك قام بإنزال حبل به وعاء مغترفاً من البئر شربة ماء ، ثم قام بوضع الماء على فم الأميرة ، وهو يقصد إشغال الأمة بقضية إعدام أميرة كوش ليتفرغ هو للتجسس لمصلحة الإمبراطورية الرومانية ، وقد ثبت وبالأدلة القاطعة تخابر الوزير السابق مع العدو ومنحهم معلومات سرية جداً حول القدرات العسكرية والاقتصادية للمملكة ، وتدبيره مؤامرة لاغتيال الملك بعد أن يثور الشعب عليه لعدم إعدام الأميرة .. وقد تكشفت للمحكمة وبالأدلة القاطعة الخيانة العظمي للملك من قبل المتهم .. ومن أجل كل ذلك فقد حكمت المحكمة بالآتي:

أولاً: إعدام المتهم بتهمة استدراج قاصر للشرب من البئر المحرمة , ولتجسسه وخيانته العظمى للملكة.

ثانياً: براءة الأميرة المسكينة القاصرة من التهم المنسوبة إليها .

هذا وقد صدر الحكم في اليوم والشهر والسنة . بإسم الشعب ويرفع صك الحكم الى الملك للتصديق عليه.

رفعت الجلسة

الحاجب– (يصيح) محكمة.

(تعتيم)

(أصوات:

–يحيا الملك العظيم ..

– يعيش الملك العظيم

–تحيا أميرة كوش

– الموت للخونة والعملاء

– الموت لبلعيم الجاسوس)

(يضيء المسرح من جديد عن غرفة إعدام ، يتم لف حبل المشنقة على رأس بلعيم ومن حوله جنود)

الجندي– هل لديك كلمة أخيرة أيها المتهم تريد أن تعتذر فيها للملك والشعب ؟

الوزير– نعم .. ولكني أريد أن أعتذر للعدالة .. وأقول للملك .. الآن فقط .. الآن فقط .. انتهت مملكة كوش العظيمة .. وداعاً كوش ... وداعاً كوش ... وداعاً كـــــــــــــوش ..

(إظلام)

(ستار)

الشخصيات:

زويا

النادل

أبيلاي

سيلاسي

الضابط

فرد الأمن الأول

فرد الأمن الثاني

الضابط الأصلع

جمهور

خمسة مجرمين

صوت رئيس الوزراء

صوت شخص بالدفاع المدني

الفصلُ الأوَّل

المسرح:

"خمَّارة شعبية ؛ على اليمين مقاعد وطاولات وعلى اليسار يواجه الجمهور بارٌ بدائي وخلفه تتراص أرفف عليها زجاجات الخمور.

في ركن قصي تجلس زويا وهي في أواخر العشرينات من العمر سمراء جميلة.. ترتدي فستاناً أبيضاً من قطعةٍ واحدة ، مزركشاٍ ومزيناً بالورود الزرقاء والحمراء المبعثرة بغير انتظام. تخلف

ساقيها الجميلتين الناعمتين وتدخن سجارة بمبسم طويل وعلى طاولتها زجاجة نبيذ. خلف طاولة البار نادل صغير السن نحيل يضفر شعره ويرتدي تيشيرتاً أسوداً".

يدلف كل من أبيلاي وسيلاسي دون أن يشاهدا زويا ويقفا أمام طاولة البار:

أبيلاي: الإقبال ضعيف جداً يا سيل..

سيلاسي: (يخاطب النادل) هات شيئاً نشربه..

النادل: هل هناك شيء محدد؟..

سيلاسي: أي شيء رخيص..

النادل: متخمر أم مقطر؟

أبيلاي: (بغضب) لا تتفلسف علينا يا فتى..

النادل: (يرتبك) هناك براندي ميد .. براندي عسل..تيكيلا.. عرق..

أبيلاي: كوكتيل..

سيلاسي: واين..هل لديك؟

النادل: (يتحرك بسرعة) كل شيء متوفر سيدي..

أبيلاي: الإقبال ضعيف جدا على العروض المسرحية...

سيلاسي: أزمة عالمية يا صديقي..المسرح يمر بأزمة عالمية...

أبيلاي: نحن أيضا نمر بأزمة...

سيلاسي: ماهي؟

أبيلاي: الحداثة... لا زال المسرح تقليدياً جداً... والمسرح التجريبي فشل عندنا.. ولا نملك إمكانيات كافية للمجازفة بتكاليف مسرح رقمي قد يفشل هو الآخر.. الناس تفضل السينما... دعني أفضي لك بملاحظة لا أعرف أهميتها..لكن الشعب يفضل بوليود على هوليود..ألا تعتقد أنَّ هذا دليلٌ على الإنحدار..

سيلاسي: كلاهما بائسان...السينما الفرنسية والألمانية أفضل ..غير أنهما جادتان ومعقدتان أكثر من فهم الشعوب...هوليود وبوليود تجاريتان .. تستقطبان سقفاً ضحلاً من الوعي..

أبيلاي: نحتاج لمسرح تجاري أيضا... ما رأيك.. لقد اكتفينا من شرب الخمر الرخيص...

سيلاسي: يبدو أنني سأتفق معك يا صديقي.. يمكننا أن نحني مبادئنا إلى الأرض قليلاً حتى تمر الرياح...

أبيلاي: يمكننا تمرير بعض الرسائل من خلال مسرحنا التجاري... القليل منها فقط..ومضات سريعة ..

سيلاسي: لا أعرف.. أحياناً أفكر في هجر هذه المهنة..

أبيلاي: لن تستطيع يا سيل .. لن تستطيع..

سيلاسي: صحيح..لن أستطيع...لكن ماذا لو .. ماذا لو غادرنا ..

أبيلاي: حسناً.. لقد فكرت بدوري في الهجرة ككل فقراء إثيوبيا..لكنني هجرت هذه الفكرة.. نحن لا نملك حرفة تعيننا في أوروبا .. ولن أحتمل البقاء على أموال الدعم الاجتماعي..

سيلاسي: إن لم ننجح في وطننا فلن ننجح في بلادٍ أخرى...

زويا: (تجْرعُ من الزجاجة فتجدها خالية) يا شاب (تقول بصوت ناعس) ..هق (تشهق)... يا ولد.. ألا تسمعني...

سيلاسي: (يلتفت وراءه فيشاهد زويا ويظل محدقا فيها ببله)..رباااه... أبيلاي... (يوكز أبيلاي بكوعه) أبيلاي... أنظر خلفك..

أبيلاي: (ينظر خلفه ويشاهد زويا).. يا لنعمة الرب.. إنها فاتنة...

زويا: هات مارتيني بسرعة...هات جن..هات شري..هات كل أنواع النبيذ والخمور... هيا بسرعة يا ولد..

(يحدق فيها الرجلان)

أبيلاي: إنها سكرانة..

سيلاسي: بحق الرَّب.. إنها ملاك ثمل...

(يلتفت الرجلان نحو بعضهما بسرعة ويعودان للنظر نحو زويا)

(يصب النادل خمرة على كوب شاي ويتجه نحو زويا ثم يضعه أمامها)

زويا: متى سيتطور باركم التعس هذا وتأتوا بكؤوس كما في بقية دول العالم المحترمة... (تجرع جرعة صغيرة وتضع الكوب على الطاولة ثم تشعل سجارتها) .. هذا البلد لا يستحقني أبدا.. هذا البلد دمرني.. دمر زويا الجميلة تماما... (تسند رأسها بيدها التي تحمل السجارة فيتهدل شعرها بين جنبيها) ماذا أفعل .. ماذا أفعل (تهمس).

أبيلاي: ما رأيك يا صديقي..؟

سيلاسي: لا أعرف.. لكنها تحتج لنص عبقري... نص لم يكتب مثله من قبل...

أبيلاي: حقاً.. نص يستطيع امتصاص كل هذا الجمال الساحر كقطعة حلوى في شفاه طفلة...

سيلاسي: (يضع ابهامه وسبابته فوق جبهته وهو يفكر)يبدو هذا مستحيلاً ..

أبيلاي: دعنا ننتهز الفرصة أولا ونقنعها بالعمل معنا...

(ينهض الرجلان ويتجها إلى زويا)

أبيلاي: مرحبا سيدتي الراقية..

(يمد سيلاسي يده ، ترفع زويا رأسها وتحدق فيهما بعينين نصف مغمضتين)

سيلاسي: (يعيد يده إلى جنبه ويقول) سيدتي..نريد مناقشة أمر هام معك... هلا سمحت لنا بدقيقة أو دقيقتين من وقتك؟

(يجلس الرجلان دون أن ينتظرا إذنها)

أبيلاي: نحن مخرجان مسرحيان يا سيدتي... (لا تنظر زويا نحوهما) .. هل تسمعينني يا سيدتي؟ (تهز رأسها إيجابا) حسناً.. كمخرجين محترفين طافا كل دول العالم وخاصة أوروبا وأمريكا فنحن نبحث عن أنثى جميلة مثلك لتقديم مسرحية عالمية... مسرحية ستكونين أنت بطلتها .. ستتألقين فيها لتبلغي النجومية..

سيلاسي: عرفها بنا أولاً.. أنا المخرج العالمي سيلاسي وهذا صديقي المخرج المساعد وهو عالمي أيضاً السيد أبيلاي...كمخرجين عالميين نمتلك نظرة شديدة الدقة والفراسة نستطيع أن نؤكد لك يا سيدتي أنك هي من نبحث عنها...

(تطفئ زويا سجارتها ثم ترفع كوب الخمر لتجرع منها لكنها تتسمر في مكانها)

أبيلاي: رباه..لم أشاهد ذراعا ناعما ومموسقا كهذا من قبل...

سيلاسي: (يبدو مندهشا) لماذا أنت متسمرة هكذا يا سيدتي.. هل تنصتين لأغنية بعيدة؟

النادل: السيدة زويا تعاني من تصلب كتتوني يا سادة.. أرجو تركها لدقائق وستعود إلى حالتها الطبيعية...

(يحدق سيلاسي في زويا بجزع ويلتفت أبيلاي نحو النادل)

أبيلاي: كيف عرفت كل هذا؟

النادل: إنها زبونة يومية.. وقد أطلعتني على حالتها تحسبا لأي مشكلة...

أبيلاي: مشكلة من أي نوع مثلا؟

النادل: مثل أن تتصلب وبين أصابها سجارة يا سيدي.. لقد حدث لها ذلك من قبل..إنها تشعر بشكل شيء ولكنها لا تستطيع الحركة أو الصراخ..

(يعود أبيلاي للتحديق في زويا مع سيلاسي)

أبيلاي: اللعنة... الأشياء الجميلة لا تكتمل أبداً في هذه الحياة..

سيلاسي: هذا مخيف حقاً...

أبيلاي: (ينزع الكوب من أصابع زويا بروية ثم ينزل يدها فتنزل دون أن ترتد لأعلى) أول مرة أشاهد منظراً كهذا...هل حقاً هناك مرضٌ بهذا الشكل..؟

سيلاسي: تصلب كتتوني.. بحق المسيح..ماذا يعني هذا؟

أبيلاي: إنها لن تكون صالحة للتمثيل بأي حال بعد هذا..

سيلاسي: هل هي متزوجة يا غلام؟

النادل: لا أعرف يا سيدي..لا أظن ذلك..

أبيلاي: (بدهشة) هل لديك الجرأة لتتزوجها؟

سيلاسي: بل أشنق نفسي من أجل ساعة واحدة معها..

أبيلاي: ماذا لو تصلبت وأنتما في تلك اللحظة الحرجة؟

سيلاسي: حقاً.. سيكون من الصعب الخروج من ذلك المأزق..

أبيلاي: أعرف رجلا وامرأة ظلا ملتصقين وغير قابلين للفكاك بسبب سحر عمله زوج المرأة لها قبل أن يسافر...

سيلاسي: (بدهشة) حقاً...؟

أبيلاي: نعم.. غير أن طبيباً أخبرني أن تلك حالة تصلب تحدث غالبا عندما تكون المرأة متوترة في لحظة الجماع...

سيلاسي: إذن فهي ليست سحرا؟

أبيلاي: ربما.. لا أعرف..

(تعود زويا إلى الحركة وترجع شعرها بأصابعها إلى الوراء)

زويا: (بوهن) إنني ثملة..

سيلاسي: هذا صحيح يا سيدتي..

أبيلاي: مع ذلك..مع ذلك فلست ثملة للغاية يا سيدتي...

سيلاسي: يمكنك أن تتقيأي إن شئت الراحة...

زويا: (بضعف).. لا .. لا ...(تزرع وجهها بين كفيها وذراعاها مستندتان إلى الطاولة) .. العالم غير منصف.. غير منصف أبدا...كم وددت لو كنت قادرة على البكاء...

أبيلاي: (يفتح ذراعيه) يمكنك أن ترتمي بين ذراعي وتزرفي بحوراً من الدموع لو شئت)..

زويا: حقاً؟

أبيلاي: حقاً يا سيدتي.. حقا...(ينهض بسرعة وتحاول هي النهوض ثم ترتمي بين ذراعيه وتجهش بالبكاء... تتسع عيناه جزعاً ثم يجهش بالبكاء هو أيضاً)

سيلاسي: (ينظر نحوهما بدهشة) وما يبكيك أنت؟ (يأخذ كوب الخمر من الطاولة ويجرعه دفعة واحدة.. يخاطب النادل بصوت عال) ماهذا يا ولد؟

النادل: (بجزع) ماهذا؟

سيلاسي: (يرفع كوب الخمر) هذا.. ما هذا؟...

النادل: (بعدم فهم) ماذا يا سيدي؟

سيلاسي: (بغضب) ماهذا النوع من البيرة؟ ألا تفهم الكلام؟

النادل: أنها ساكي ياباني يا سيدي.. زجاجة وحيدة أهديت لي من سائح ياباني وقد شربتها ولم يتبق منها سوى هذه الجرعة التي صببتها للسيدة زويا...

سيلاسي: حقا إن خمارتك هذه تعج بالمفاجآت.. فتاة حسناء وشراب طيب... غير أن أبيلاي الانتهازي هو من يحتضن الفتاة الآن وليسَ أنا...

(يزداد بكاء أبيلاي كلما ازداد بكاء زويا ويضغط كل منهما على حضن الآخر)...

سيلاسي: من النادر أن يدلف أشخاصٌ سعداء إلى خمارة شعبية..

النادل: غير صحيح يا سيدي.. هناك سعداء يأتون إلينا .. أجانب وإثيوبيين .. وهم سعداء دائماً...

سيلاسي: لم أقصد إهانة خمارتك يا فتى.. إنني أعتذر..

النادل: أفهم ذلك يا سيدي...

سيلاسي: في جنوة كان البحارة يملأون البارات هرجاً ومرجاً ... يغنون ويرقصون .. للأسف أثيوبيا ليست لها حدود بحرية وإلا لكانت خمارتك هذه قد انتعشت بالبحارة المجانين..

النادل: هل يدفعون مقابل الشراب أم يثيرون المتاعب؟

سيلاسي: بالتأكيد يدفعون...أي متاعب تصدر عنهم تكبدهم عقوبات إدارية مباشرة من القبطان...فهو المسؤول عنهم دوماً... أو من محكمة الميناء.. في الواقع هم ودودون وطيبون..

النادل: هذا جيد...

سيلاسي: جيد لو كانت لدينا حدود بحرية...

النادل: صحيح...

سيلاسي: (يخاطب زويا وأبيلاي) توقفا الآن عن هذا الغباء...توقفا...(يجر أبيلاي من ذراعه فيتخلى أبيلاي عن أحضان زويا).. أنت أكبر من الفتاة يا رجل... (ينهض ويحتضن زويا) هيا يا صغيرتي.. إبكي.. إبكي... (يجهشان بالبكاء ويجلس أبيلاي).

أبيلاي: جعة يا ولد..

النادل: كم نسبة الكحول فيها؟

أبيلاي: توقف عن التفلسف وهات الجعة...

(يصب النادل الجعة على كوب كبير ثم يقدمه لأبيلاي)

أبيلاي: يااااه...منذ كم من السنوات لم أشعر بمثل هذا الحنان الدافق.. ذلك الصدر الدافئ الحنون...إن صدراً كهذا يلهمك لكتابة وإخراج مسرحية من خمسمائة فصل... مسرحية حب ساخن.. تنتهي بانتحار الحبيبين كروميو وجولييت...

(تصمت زويا عن البكاء فجأة وحين يبتعد عنها سيلاسي يجدها متصلبة في موقف الاحتضان)

سيلاسي: اللعنة... لقد أصيبت بالجامود مرة أخرى...

أبيلاي: (يرفع رأسه ويحدق فيها)..كم هذا مفزع يا فتى...

سيلاسي: بل محزن جدا...كم كانت لتكون أشهر ممثلة مسرحية لولا هذا المرض العجيب...

أبيلاي: خسارة كبيرة.. كنت أفكر في نص يتواءم مع جمالها الخارق...

سيلاسي: ما أسباب هذا المرض يا ترى...

أبيلاي: (يمد ذراعه محتجزا سيلاسي من صدره) لقد وجدتها يا ولد...

سيلاسي: ماذا وجدت؟

أبيلاي: النص...النص يا سيل..

سيلاسي: ولكنها لا تستطيع التمثيل...

أبيلاي: بل على العكس تماما...

سيلاسي: ستتجمد فجأة أثناء العرض يا بيلي..

أبيلاي: وهذا هو النص... إنه النص الذي لم يكتب مثله يا سيل...

(تنهار زويا فجأة وتسقط على الأرض.. يسرع الرجلان ويجثوا قربها)..

(ستار)

****

الفصل الثاني

المسرح:

"خشبة مسرح أمامها عشرة مقاعد يجلس عليها جمهور ؛ .. الخشبة في مواجهة الجمهور الحقيقي ، عكس مقاعدها الموجهة عكس اتجاه الجمهور الحقيقي بحيث يعطي جمهورها ظهورهم للجمهور الحقيقي)).

متفرج1: (يصيح) متى سيبدأ العرض؟

متفرج2: نريد مشاهدة الفاتنة زويا...

متفرج3: الملاك الثمل..أعظم مسرحية أشاهدها .. وها أنا ادخل للمرة العاشرة لكي أمتع عينيَّ بها...

متفرج1: حقاً هي كذلك..

متفرج4: أرجوكم اصمتوا فسيبدأ العرض بعد قليل...

متفرج1: من قال ذلك؟ هل أنت مُنجِّم؟

متفرج4: لست منجماً ولكنها المرة الحادية عشر التي أشاهد فيها هذه المسرحية العظيمة...لقد حفظت كل شيء فيها...

متفرج5: زويا الحسناء.. حبيبة القلب...

متفرجة6: (بغضب) إنها عادية جداً ..

متفرج7: أنتِ حسودة.. هذا كل مافي الأمر..

متفرجة6: لست حسودة ولكنني أقول الحقيقة.. إنها تضع كميات مهولة من مساحيق التجميل فقط...

متفرج3: لا تكذبي..إنها حتى لا تكتحل...

متفرجة6: أنتم وشأنكم..سأغادر... فالرجال عندما ينبهرون بالمرأة يصبحون أغبياءً...

(يهش المتفرجون الباقون أياديهم عند مغادرة الفتاة)..

متفرجون متعددون:

– أحسن..

– غادري وارحمينا من قباحة شكلك وقلبك...

– كم هي غيورة...

– بل حقودة وحسودة..

– هذا ما قلته أنا قبلك فلماذا تردد كلامي؟؟؟

– وهل كلامك حاصل على براءة اختراع...

– اصمتوا رجاءً فالعرض سيبدأ الآن..

(ينطفئ ضوء المسرح ، ويدلف سيلاسي من الجهة اليمني...)

سيلاسي: هناك لغاتٌ تكتب من اليسار إلى اليمين ..ولغاتٌ أخرى من اليمين إلى اليسار .. ولغاتٌ من أعلى لأسفل ..ولغاتٌ من أسفل لأعلى...ولكن دائما هناك لغة... دائما هناك كلام .. كما يرى دريدا .. الكتابة هي كل شيء...الكتابة ركيزة تفوق الكلام نفسه...

أحد الجماهير: خش في الموضوع .. نريد زويا..

سيلاسي: (ينتزع زهرة من جيب بدلته) هذه كتابة.. كتابة لا مِن اليمين ولا اليسار.. لا من الأعلى ولا من الأسفل... هذه الزهرة موسوعة كاملة من الكلمات...بل.. بل .. بل إنها تمتلك مفردات غير متوفرة في كل معاجم الأرض... (يجلس على كرسي وحيد على الخشبة ويتأمل الزهرة) .. وأنا أسير في شوارع أديس أبابا .. وكان ذلك فجر يوم الثلاثاء من شهر ديسمبر .. وحيث الأوكسجين يرفض الاحتشاد في رئتي.. والبرد يصك أضراسي...رأيتها... ذلك الملاك... كانت ثملة .. تترنح وهي تحاول ركوب التاكسي بصعوبة... أدرت سيارتي ولحقت بالتاكسي.. تتبعته ... تتبعته وقلبي ينبض.. أتذكر جيداً كيف أن السائق بعد عشر دقائق أخرجها ووضعها على الأسفلت ثم سرق حقيبتها وغادر...هرعت إليها وحملتها إلى سيارتي... كانت تجلس قربي

وشعرها ينسكب على كتفيها السمراوين العاريين...رأسها منحنٍ إلى كتفي وعيناها مسبلتان...ساقاها خائرتان ورائحة عطرها تنتشر في كل زوايا السيارة....حملت جسدها الرقيق البض وأدخلتها إلى شقتي... مددت جسدها فوق أفضل سرير لدي لكي تنام بارتياح..

متفرج1: ماذا فعلت لها يا مجرم..

متفرج2: أصمت.. ألم تقل أنك شاهدت المسرحية أكثر من مرة...

متفرج1: وما شأنك أنت...

سيلاسي: لم استطع النوم طوال الليل .. كنت كمن يراقب عصفوراً يحتضر...منذهلاً وخائفاً عليها... لا أعرف كيف أصف شعوري كلما نظرت إليها وهي مسجاة في سلام .. ذلك الجمال كان معجماً أكبر من كل كلمات الأرض...

(يدخل أبيلاي)

أبيلاي: لا زلت تهذي بهذه الفتاة يا رجل... لقد حكيت لي قصتها عشرات المرات..

سيلاسي: إنك لا تفهم شيئاً...

أبيلاي: بل أفهم.. أفهم أن جمالها أسرك وسلبك عقلك... لكن الجمال ليس كل شيء...

سيلاسي: (بغضب) وماذا تعرف أنت عن حبيبتي زويا..ها ..ماذا تعرف.. هل تعرف كيف أنها ظلت مخلصة لحبها لي حتى لحظة موتها...

الجمهور: (بحنان) أوووووه..

أبيلاي: اسمع يا صديقي... لا أريد أن أفسد عليك ضلالاتك.. لكن تذكر أنك قتلتها حينما وجدتها في أحضان رجلٍ آخر...

الجمهور: (بذعر): لاااااااااا

سيلاسي: (يمسك مكان قلبه بألم).. لا لا لا.. لم تخني معه... لم تخني معه... لقد كانت ثملة فقط.. كانت ثملة وتظنه أنا...زويا لا تخون.. (يصرخ بجنون) لا تخووون...

أبيلاي: ولماذا قتلها إذن؟

سيلاسي: لم أقتلها... لقد... لقد... إنني لا أتذكر شيئاً .. لا أتذكر.. حقاً لا أتذكر.... لقد وجدت نفسي فجأة في قسم الشرطة .. كنت أبكي.. أبكي .. ورأيت دماء تغطي قميصي.. سألت الشرطي بجزع: ماهذا وأين أنا ولماذا؟... أخبرني أنهم وجدوني مع جثتها...سألتهم: من

تقصدون؟ فقالوا لي بأنها زويا... زويا ماتت؟ لم أصدقهم ...وجدت جسدي يرتجف وبدأت أحطم كل شيء من حولي فقيدوني...ثم لم أتذكر شيئاً بعد ذلك...

أبيلاي: هذا بالضبط هو ما جعلك تفلت من حبل المشنقة...لقد اكتشفوا أنك مختلٌ عقلياً...

(تظهر زويا من الجهة اليسرى.. ينظر سيلاسي نحوها بجزع)

سيلاسي: يا رب السماء.. زويا.. زويا حبيبتي...(ينهض ويتقدم نحو زويا)..

أبيلاي: أين هي إنني لا أرَ شيئاً يا رجل...

سيلاسي: زويا..حبيبتي...

زويا: لماذا فعلت ذلك يا حبيبي...

سيلاسي: بغير إرادتي يا حبيبتي.. أرجوك صدقيني...هو الاختلال العقلي فقط... وكأنما الأقدار أبت إلا أن تسحق كل أحلامي في الحياة... وكأنها بلغت من السادية أن جعلت يدي (ينظر إلى كفيه المرتعشتين) هما من يفتكان بكل ما تبقى لي من أماني وسعادة... (يغطي وجهه بكفيه) يا الله.. لماذا..لماذا؟..

زويا: (ترفع ذراعيها) احتضني يا حبيبي... خذني بأحضانك..

سيلاسي: (يحتضنها ويبكيان... ثم تصمت زويا فيتراجع سيلاسي تاركا جسدها متصلبا) سأظل محتفظا بهذا الحضن الأخير يا زويا ...لا تتحركي .. ظلي هكذا... اقبعي في تلافيف خيالي في ذات هذا الحضن المتوهم... أرجوك يا حبيبتي.. أرجوك....

(تنهار زويا وترتمي على الأرض)

المتفرجون: (يصرخون) زويا .. زويا .. زويا .. زويا ..

(وينغلق ستار المسرح ثم يظلم المكان..)

(تمضي بضعة ثوان قبل أن يضاء المسرح من جديد ؛ حيث غادر الجمهور وبقى سيلاسي وأبيلاي جالسين على كرسيين في خشبة المسرح)

أبيلاي: كانت فكرة رائعة حقاً أن تكون زويا مجرد شبح لروحها الميتة...

سيلاسي: يمكنها بهذا أن تتصلب في أي لحظة ثم تنهار...

أبيلاي: غير أن الجماهير تنتظر لحظة انهيارها وسقوطها..ألم تلاحظ ذلك.. إنهم ينتظرون النظر إلى فخذيها وساقيها ..بعد انكشاف فستانها...

سيلاسي: صحيح.. أنهم لا يهتمون لقصة المسرحية .. مع ذلك فقد استطعنا تسريب بعض المفاهيم الخفية كالحديث عن بعض الفلسفات الحديثة.. أشك أنهم قد فهموها على النحو المطلوب لكن هذا أيضا لا بأس به.. فالمفاهيم تلتصق بالذاكرة ثم تظل تلح على العقل حتى يفككها ثم يستوعبها...

أبيلاي: زويا أنثى مكتملة الأنوثة.. وهم يحبونها حينما تفقد إرادتها وتسقط فتنكشف لهم أنوثة منعمة بالضعف.... هذه لحظة يمكن تسريب كل نظريات العالم عبر امتدادها القصير...

(تدخل زويا)

زويا: آه...عندما تصلب جسدي وأنا أحمل بين صباعي السجارة .. كنت أشعر بكل شيء.. جمرة السجارة اخترقت لحمي بعد أن سلخت جلدي...كنت اتألم دون أن أتمكن من الصراخ ..

سيلاسي: لم أنظر لملامحي في المرآة من قبل..هل تصدقين ذلك...

أبيلاي: (بحنق) ليس في ملامحك ما يثير الاهتمام...

سيلاسي: هل تسمعينني يا زويا؟

زويا: أسمعك يا سيلاسي..

سيلاسي: وهل تعلمين أنك أول امرأة اتمكن من التحديق في وجهها لساعات دون أن أشبع؟

زويا: لا تحتاج لمغازلتي كذباً يا سيلاسي..

سيلاسي: لا أكذب عليك يا زويا.. صدقيني...ما أريد أن أقوله أن ملامحي قد لا تكون وسيمة على النحو الذي يكافئ جمالك..لكنني أحمل قلباً مفعماً بالأمل..

(ينهض ويقترب منها ممسكا يديه.. في حين يشيح أبيلاي بوجهه في الإتجاه الآخر)..

سيلاسي: (يمسك كفي زويا).. زويا...

زويا: (بخفوت)..سيلاسي..

(تحل كفيها من كفيه وترفع ذراعيها لاحتضانه فيتأهب هو لذلك بعينين مغلقتين غير أنها تتصلب.. يفتح عينيه ويشاهد أبيلاي المنظر فينفجر ضاحكاً)..

سيلاسي: اللعنة... ليس في هذه اللحظة يا زويا..

أبيلاي: على الأقل تأكدت من حبها لك...

سيلاسي: الحضن يؤكد دفء المشاعر..

أبيلاي: يمكنك أن تحتضنها وهي متصلبة..

سيلاسي: أنك لا تفهم معنى الحضن يا بيلي.. الحضن هو أرواح تتمازج.. لا يمكنك احتضان تمثال كما تحتضن شخصاً حياً...

أبيلاي: لكن المتفرجين كانوا يحبون مشاهدة فخذيها وهي جثة...

سيلاسي: ربما لأنهم يظنونها تمثل...لكن لا أحد يملك بعدا إنسانياً يمكنه أن يتمتع بجثة إنسان...

أبيلاي: ربما هم لا يملكون هذا البعد الإنساني.. إن غالبية البشر يمارسون العادة مع صور البورنو في المجلات...

سيلاسي: يحتمل...لكن ما أنا متأكد منه أنهم في تلك اللحظة قد مارسوا الاستمناء وليس الحب...

(يظلم المسرح)

(تمض عدة ثوان ويضيء المسرح والكراسي خالية)..

(تدخل زويا وتجلس على كرسي)

زويا: أين أنا؟ هذا المكان غريب ... أستيقظ لأجد نفسي فيه .. يبدو لي أنه مسرح.. مسرح صغير.. (تخرج سجارتها وتنظر إليها) لا أود تكرار تلك التجربة المؤلمة... (تلقي السجارة على الأرض) ... سيلاسي حبيب الروح... هو خلاصي من كل آلامي.. لقد قبل بي رغم كل ما أعانيه...كيف سيتحمل امرأة تعيش نصف حياتها حية ونصفها الآخر تمثال جامد....ليس الأمر مضحكاً أبدا...سيدخل عليَّ في المطبخ ويجدني أمسك المقلاة وأنا متصلبة...ستكون حياتي وحياته في خطرٍ على الدوام...

(يدخل ثلاثة رجال من الجانب الأيسر هم ضابط مخابرات وفردي أمن يرتدون ملابس عادية)

الضابط: أين أبيلاي؟

زويا: لا أعرف مكانه..

الضابط: بل تعرفين..

زويا: ماذا تقصد..

الضابط: أنا ضابط من جهاز المخابرات وأنتم الثلاثة موقوفون للتحقيق..

زويا: ماهذا.. ماذا تقول..؟!!!

الضابط: أنت سيدة جميلة ولكن يبدو أن عقلك غير راجح حين تبعتِ هذين العميلين..

زويا: عميلان؟ أبيلاي وسيلاسي؟ أنت تمزح..

الضابط: هل أبدو لك كمن يمزح؟

زويا: لا علاقة لنا بالسياسة..أرجوك ابتعدوا عنا...

الضابط: يمكنني أن أقتادك للتحقيق معك في مكاتبنا وأنت تعرفين كيف نحتفل بأمثالكم..

زويا: أنت لن تخيفني وأقول لك أننا لا علاقة لنا بالسياسة..

الضابط: أنت مصرة على دفعي لاعتقالك...أرجو أن تستوعبي ما أنتِ فيه قبل أن تُجبريٍ على استيعابه فيما بعد..

زويا: إنني امرأة ميتة على أي حال..

الضابط: بداية جيدة للتعقل...يمكنني أن أضمن عدم شنقك لخيانتك العظمى لو أدليت بكل ما تعلمينه عن خليتكم هذه..

زويا: ماهذا الهراء..عن أي خلية تتحدث..

الضابط: (بنفاد صبر)..عدنا من جديد...أذا قمتُ باعتقالك فسيتم تسليمك لشعبة التحقيقات وهم ليسوا رحماء مثلي..حاولي أن تفهمي.. هذه فرصتك الأخيرة...

زويا: (تبدو فزعة) يا إلهي.. هل أنتَ مجنون؟ (تنهض من مقعدها وتشير إلى الخارج) أخرج فوراً من هنا...لا أحب المجانين...

الضابط: أنت بالفعل ممثلة بارعة..

(تتجمد زويا وذراعها ممدودة بالإشارة للخارج) ..

الضابط: يبدو أنك حمقاء .. (ينظر نحوها) لماذا تقفين هكذا؟ (يدور من حولها ولكنها تظل جامدة) اللعنة .. ماهذا الهراء.. هذه ردة فعل غريبة جداً من مشتبه بها.. (ينظر لفردي الأمن) هل شاهدتما منظراً كهذا؟ (يهزان رأسهما نفياً) يبدو أنها متجمدة..(يفر فردا الأمن ذعراً).. لماذا هربتما (يصيح)... إنها تمثل فقط...

فرد الأمن الأول: (من خلف الكواليس) لقد تلبسها الشيطان يا سيدي...

الضابط: شيطان! ماذا تقصد؟..

فرد الأمن الأول: (من خلف الكواليس) الشياطين تتلبس الجميلات...

(يدخل فرد الأمن الثاني)

فرد الأمن الثاني: يمكنها أن تنقل لنا الشياطين إذا لمسناها بأيدينا..

الضابط: (بفزع) حقاً؟!!!

فرد الأمن الثاني: نعم يا سيدي... في قريتنا تلبس الشيطان طفلة صغيرة .. فأخذت تحرق الأكواخ بعينيها فقط... لقد حاول كاهن ردعها لكنه في النهاية تحول إلى تابع مخلص لها...

الضابط: هل تخلى عن كهنوتيته؟

فرد الأمن الثاني: لقد تلبسه أحد شياطين الفتاة حين لمسها..

الضابط: ولكن إذا كان لمسها سينقل لنا الشياطين فكيف سنتمكن من اعتقالها بدون لمس؟

فرد الأمن الأول: (من خلف الكواليس) اطلق عليها رصاصة فقط واقتلها.. إنها شرٌ كبير..

الضابط: لا استطيع قتلها...هناك شعبة خاصة لعمليات الاغتيال...يمكننا أن نؤجل اعتقالها حتى نعتقل الشقيين الآخرين...

(تنهار زويا وتسقط على الأرض..يحدق الرجلان في جسدها)

فرد الأمن الثاني: يبدو لي أنها بريئة يا سيدي..

الضابط: حسنا..أعتقد ذلك أيضاً... إنها أعجوبة الجمال...

(يتلقى الضابط اتصالاً عبر اللاسلكي)

الضابط: هربا... هربا وتركاها وحدها... حسنا يبدو أنها متلبسة بالشياطين يا سيدي... لا يا سيدي لا أمزح..لقد تلبسها شيطان فتجمدت كشجرة صنوبر... لا لا تنطق...ثم .. ثم أنها انهارت فجأة وسقطت على الأرض.... مع ذلك..مع ذلك تبدو لي بريئة يا سيدي...لا لم يتم التحقيق معها... لا لا.. مع ذلك تبدو بريئة وأعتقد أنها أرق من أن تتحمل تلك التحقيقات يا سيدي...لا يا سيدي أقسم لك أن لا علاقة تربطني بها...نعم صحيح إنها جميلة.... حسناً يا سيدي سأفصل بين غريزتي الذكورية وعملي...أنا آسف... حسناً..علم...

فرد الأمن الثاني: ماذا لو استئجرنا بعض المشردين لحملها إلى مكتب التحقيق؟

الضابط: فكرة صائبة.. ابحث عن مشردين بسرعة...

فرد الأمن الأول: (من خلف الكواليس) لكنهم سيكتشفوا مكاتبنا السرية..

الضابط: سيتم التخلص منهم بعد ذلك فلا أحد يكترث لهم..

(يخرج فرد الأمن الثاني)

الضابط: يبدو أنه لا أحد في هذه الحياة لا يعاني من مأساة فحتى هذه الجميلة تتلبسها الشياطين..من كان يصدق ذلك.. (ينادي على فرد الأمن الأول) تعال هنا يا نظامي..لا تخف فقط لا تلمسها...

(يدخل فرد الأمن الأول)

الضابط: هل لديكم في القرية تجارب مع الشياطين؟

فرد الأمن الأول: الشياطين لا تعيش في القرى بل في المدن..إن أديس أبابا هي مملكة الشياطين.. إنهم في كل مكان يا سيدي..حتى كتدرائية القديس جورج ممتلئة عن آخرها بالشياطين .. وكلها تنحدر من جبال إنتوتو فقط نحن كبشر عاديين لا نستطيع رؤيتها...

الضابط: من أخبرك بكل ذلك ..تبدو مثقفاً بغير ما كنت أتوقع..

فرد الأمن الأول: إن قسيساً بالغابات المقدسة كان يرى كل شيء..يرى ما لا نراه يا سيدي لأنه متصل مع الرَّبِّ مباشرة..

الضابط: حقاً؟!!! هل هناك ربٌ لهذا العالم؟

فرد الأمن الأول: يا إلهي يا سيدي..وهل هذا سؤال..أعذرني ولكن أتمنى ألا تكون ملحداً؟

الضابط: كيف تكون مؤمناً وأنت تمارس وظيفة كهذي؟

فرد الأمن الأول: لكل مقام مقال يا سيدي...فنحن نحمي الدولة من الأشرار..أليس كذلك؟

الضابط: هذا صحيح...إنهم لا يرون الحقيقة كما نراها .. يقدسون مصطلحات لا يعون معناها وما يختبئ خلفها من شراك لتدمير أمتنا .. هؤلاء المثقفون أمثال أبيلاي وسيلاسي وزويا يستغلون الجهلاء والحمقى ويمررون رسائل بقصد إثارة الفتنة في مسرحياتهم...ديموقراطية وحرية وغلالات من الأكاذيب المزينة بأوهام الانسان في أن يعيش حياة كاملة وحقيقية وهذا مستحيل.. هذا ضد تاريخ البشرية... لن يوجد سلام وإلا لانقرضت البشرية... أليس كذلك؟

فرد الأمن الأول: حسناً.. المهم أنني أثق في حكمة رؤسائي حتى إن لم أفهم شيئاً...

الضابط: ممتاز .. هذا ما يجب أن يفعله كل المواطنين .. غير أن المثقفين لا يحبون رؤية الدولة مستقرة وهانئة إنهم يزعزعون يقين المواطن بحكومته تحقيقاً لأغراض الأعداء... لذلك لابد من تعليق أبيلاي وأمثاله على حبال المشنقة...

فرد الأمن الأول: أنت رجل عظيم يا سيدي؟

الضابط: (بفخر) هذا واجبي تجاه وطني..

(ظلام ويسدل الستار)

***

الفصل الثالث

المسرح:

"زنزانة في أعلى جدارها الخلفي نافذة صغيرة مسيجة بقضبان سميكة ينفذ من خلالها ضوء أبيض يميل للزرقة الخفيفة وأسفل النافذة تم تقييد ايدي أبيلاي وسيلاسي وهي مرفوعة لأعلى وهما شبه عاريين وتبدو عليهما آثار تعذيب.. وعلى يسار الزنزانة هناك طاولة خشبية يجلس عليها ضابط أصلع يدون كلمات على سجل ورقيٍّ ضخم. تمتلئ جدران الزنزانة بالرسومات كالمنجل والمطرقة والعبارات الثورية مثل: (الرب..أثيوبيا..الملك ثم الملك ، ماركس في القلب... الحرية لإرتيريا.. ألف روح أمهرية لتحيا اديس.. تسقط الإمبريالية...الخ"..

الضابط الأصلع: أليس من العيب أن تفرا تاركين الفتاة الحسناء خلفكما؟

سيلاسي: (بضعف) ليس لزويا علاقة بالأمر...

أبيلاي: نحن من ورطناها دون أن تدري...

الضابط الأصلع: (بهدوء يشعل سجارته ويتحدث بصوت خفيض) ورطتماها .. أها.. حسنا... إذن هي متورطة..

سيلاسي: زويا بريئة لا علاقة لها بشيء..

أبيلاي: إنها مريضة... ماذا فعلتم بها؟

الضابط الأصلع: تعترفان إذن بأنكما لستما بريئان؟

أبيلاي: نحن لم نفعل شيئاً.. نحن مخرجان وممثلان مسرحيان هذا كل مافي الأمر...

الضابط الأصلع: مخرجان وممثلان..(يدق رأس قلم الحبر على السجل المفتوح عدة دقات خفيفة ويبدو ساهماً يفكر)..ماعلاقتكما بالجنرال أساميني‌و؟

سيلاسي: من هذا؟

الضابط الأصلع: لا تعرفان الجنرال أمباتشيو ميكونين أيضاً..

أبيلاي: نعرفه ولكن ما علاقتنا به؟

الضابط الأصلع: متى انضممتما لخلية تطالب بتحرير أمهرة؟ من استقطبكما للانضواء تحت لواء الجنرال أساميني‌و؟

سيلاسي: لم ننضم لأحد.. نحن مجرد مسرحيَّيْن لا أكثر ولا أقل؟

الضابط الأصلع: قمتما بتمثيل مسرحية في بحر دار قبل مقتل الجنرال بيومين؟ كانت هناك قيادات من الغُمز تشاهد المسرحية .. أليس كذلك؟

سيلاسي: صحيح أننا مثلنا مسرحيةً .. لكننا لا نعرف من أتى ليشاهد مسرحيتنا أم لا...لا نعرف غمز أو أي أحد...نقسم لك..

الضابط الأصلع: أمممممم...(يترك مقعده ويدور مواجهاً الجمهور عاقداً يديه خلف ظهره) هناك لغات تكتب من اليمين إلى اليسار وهناك لغات تكتب من اليسار إلى اليمين وهناك لغات تكتب من أعلى لأسفل وهناك لغات تكتب من أسفل لأعلى .. الزهرة التي هي كتابة مختلفة عن كل أنواع الكتابات الأخرى...(يلتفت فجأة وبسرعة ناحية ابيلاي وسيلاسي) يبدو لي أن هذه الألغاز تبدو كشفرات ما .. الزهرة هي أديس اللغات هي الصراعات الإثنية .. الكتابة التي تفوق الكلام...ماذا تراها يا ترى...عملية كبرى على ما أعتقد..عملية كبيرة جداً وخطيرة جداً... تنتهي بإعلان بحر دار عاصمة للدولة الأمهرية الجديدة... هل نشهد أريتيريا أخرى... منذ سقوط الإمبراطورية ثم الأرهاب الأحمر وحتى الغزو الصومالي بل وحتى اليوم ونحن نتعرض لكل هجمات الأمبريالية الأمريكية... ترفض أمريكا إنهاء حربها الباردة ضدنا رغم نهايتها مع الاتحاد السوفيتي...تُسَخِّر أمثالكم من المثقفين لزعزعة السلام الإجتماعي...وتعزيز عوامل تقسيم أثيوبيا...(يلتفت نحو الجمهور) الماضي لا يريد أن يطوي صفحاته ابداً..في الحقيقة هناك من لا يرغبون في طي تلك الصفحات...هذا الخائن أُطلق سراحه بعد اعتقال طويل لكنه عاد ليعمل وكيل حرب للدولِ الأُخرى...(يلتفت نحو أبيلاي وسيلاسي بسرعة .. يصيح) كم دفعوا لكم

...ومن هؤلاء... وكيف تم تدريبكم على إرسال الرسائل المشفرة .. وأين تم ذلك التدريب؟ سيتم شنقكما إن لم تعترفا...

(يبدو الجزع على وجه أبيلاي وسيلاسي)

أبيلاي: أقسم لك أننا لا نمارس أي نشاط سياسي..لماذا لا تريد تصديقنا...

الضابط الأصلع: (يصيح بسرعة) واللغات من أعلى وأسفل ويساراً ويميناً؟ والزهرة ذاتُ الكلمات؟ هل تقولون أنني غبي؟

سيلاسي: لا نقول شيئاً يا سيدي.. هذه مقولات فلسفية فقط.. مجازات.. مجرد مجازات...نحن نحاول نشر الاستنارة فقط من خلال المسرح...

الضابط الأصلع: (يصيح كمن وجد ضالته) هاااا... نشر الاستنارة؟ ماذا تقصدان بالاستنارة... الحرية والديموقراطية وتقرير مصير الشعوب كالأرومو مثلاً... الماركسية والليبرالية ...؟؟؟ هيا أخبراني..؟ من دربكم على نشر الاستنارة؟ في أي بلد؟

سيلاسي: رباااه... لم يدربنا أحد .. لا علاقة لنا بالماركسية ولا كل ما قلت؟

الضابط الأصلع: يمكنني أن اسرد العديد من تلك الجمل المرسلة إرسالاً خفياً داخل حوارات مسرحياتكما.. أنتم بقايا المجلس الماركسي..أليس كذلك؟

أبيلا: ماذا تقول يا سيدي..لا علاقة لنا بكل ذلك.. نحن نعتبر المسرح وسيلة لرفع الوعي الشعبي فقط...

الضابط الأصلع: (يصيح كمن وجد ضالته).. هاااا... الوعي الشعبي... إذن فالشعب غيرُ واعٍ وأنتم لديكم رغبة في جعله واعياً.. ولكن.. واعياً بماذا؟

سيلاسي: بأن يفكر يا سيدي .. بأن يفكر فقط.. بعقله .. بدون وصاية من أحد... لكن لا علاقة لنا بغير ذلك...

الضابط الأصلع: (يعود بهدوء ليجلس في مقعده .. يخرج نظارته من جيب قميصه .. يحمل القلم ويبدأ في قراءة السجل الضخم) ستتعفنان هنا على أية حال...

(تمضِ برهة من الصمت يُسمع صوت طرقات يدخل إثرها فرد الأمن الثاني ويتحدث وهو يلقي التحية العسكرية)

فرد الأمن الثاني: سيدي.. الضابط الرفيع بشعبة الأمن السياسي يرغب في مقابلتك...

الضابط الأصلع: دعه يدخل.

الضابط: (يدخل ويحيي الضابط الأصلع تحية عسكرية) مرحباً سيدي..

الضابط الأصلع: تفضل بالجلوس..

الضابط: (يتلفت حوله) لا يوجد كرسي هنا... مع ذلك فلن آخذ من وقتك الكثير يا سيدي.. فنحن نمر بأزمة عصيبة سأحاول تلخيصها لك معتمداً على ذكائك في فهمها على الوجه الصحيح..

الضابط الأصلع: تفضل بالحديث..

الضابط: السيدة زويا تخشبت فجأة ثم انهارت ساقطة على الأرض...المشكلة أنه قد شاع لدى الجميع بأن الشيطان قد تلبسها.. حتى الجنود والجماهير بل حتى المشردين والمتسولين يرفضون لمسها..وكأنما يخشون على حياتهم التي ليس لها معنى أساساً ..

الضابط الأصلع: لماذا لم تنقلها أنت بنفسك؟

الضابط: (بذعر).. من؟ أنا؟ مستحيل طبعاً...

الضابط الأصلع: هل تصدق هذه الترهات يا ضابط الأمن السياسي؟

الضابط: لا أخفيك سراً يا سيدي فأنا بالفعل أصدق ذلك.. لو رأيتها وهي متخشبةً كالشيطان لأدركت أن هذا هو الشيطان بعينه ولا شك في ذلك..

الضابط الأصلع: (يدق سن قلمه على السجل الضخم ويصمت متأملا).. حسناً.. (يرفع رأسه) أيها الجندي...(يدخل فرد الأمن الثاني ويؤدي التحية العسكرية) أخبر السنترال أن يحول لي مكالمة إلى مدير السجون..(يضرب فرد الأمن رجله بالأرض ويغادر).

الضابط الأصلع: كيف يؤمن الناس بهذه الخزعبلات ونحن في القرن الحادي والعشرين...هل تذكر شعار المجلس؟

الضابط: كنت صغيراً يا سيدي في ذلك الوقت .. وعموماً أنا لم اكترث بالثقافة السياسية إلا بعد تعييني هنا...

الضابط الأصلع: تنفذ الأوامر فقط؟

الضابط: بدون أدنى تفكير .. إنني لا أشغل رأسي بهذه التفاهات...

الضابط الأصلع: تفاهات...

الضابط: نعم سيدي وأنا أتحدث بدون مجاملة أو خوف..

الضابط الأصلع: هذا جيد...كنت أتمنى أن أكون مثلك بلا انتماء..

الضابط: نحن ننتمي لمصالحنا بحسب اختلاف الظروف...مع ذلك فلستُ انتهازياً يا سيدي إنني فقط مؤمن بأنه لا يوجد صواب مطلق أو خطأ مطلق..

الضابط الأصلع: هل يمكن أن نكون على خطأ وأعداءُ النظام على صواب..

الضابط: هو كذلك بالفعل..

الضابط الأصلع: أنت تخيفني منك...رغم أنني لن أشي بآرائك هذه ولكن من الأفضل ألا تخبر بها احداً سواي..

الضابط: حسناً..أتفق معك.. لكنني لم اقصد ما فهمته يا سيدي..

الضابط الاصلع: وماذا تقصد إذن؟

الضابط: أقصد أن أعداء النظام يرون مصلحة الدولة من زاويتهم ونحن نراها من زاويتنا وهكذا فنحن مخطئون بالنسبة لهم وصائبون بالنسبة لنا والعكس ايضاً... لذلك لستُ مهتماً بأي تقييم أخلاقي للأمر...وهكذا لستُ مهتماً بغير تنفيذ الأوامر التي تصدر لي...

الضابط الأصلع: ماذا لو أمرتك بقتل الفتاة.. هل ستنفذ ذلك؟

الضابط: بكل تأكيدٍ يا سيدي..

الضابط الأصلع: ألن تهتم لمعرفة ما إذا كانت بريئة أم لا..

الضابط: أهتم ولكن لا أكترث لذلك..

الضابط الأصلع: كيف ذلك؟

الضابط: أهتم ولكن أقتلها تنفيذا للأوامر...

الضابط الأصلع: سأقوم بالتوصية لترقيتك لرتبةٍ أعلى... أنت مثال لرجل الأمن المطلوب...

الضابط: شكراً سيدي...

(يرن هاتف الضابط الأصلع فيرفعه إلى أذنه)

الضابط الأصلع: مرحباً السيد مدير عام السجون ... أرجو أن تمدنا بخمسة من المحكوم عليهم بالإعدام على الفور... لا لن يعودوا إليكم مرة أخرى.... يمكنك أن تتحجج بأي حجة تراها مناسبة شكراً.

(يغلق الهاتف ويضعه في جيبه)

الضابط الأصلع: سنخيرهم بين العودة لتنفيذ أحكام الإعدام أو الإتيان بهذه الفتاة...

الضابط: فكرةٌ جيدة...

الضابط الأصلع: لا إله..والحياة مادة.. والموت إهمال...شعارُ الماركسية العظيمة رغم فشلها...(يخلع نظارته ويضعها فوق السجل الضخم) هذا الشعار هو تلخيص لآلاف الكتب التي بإمكانها إنارة الطريق أمام البشرية لتخوض حياتها بدون مخاوف وبإيمان مطلقٍ بإرادتها...نحن الآلهة الوحيدون .. ولا شياطين .. والموت إنحرافٌ استثنائيٌ في مسيرة خلودنا التناسلي...

الضابط: قد يكلفك هذا الرأي الكثير يا سيدي..

الضابط الأصلع: لن يكلفني شيئا... (يرفع راسه لأبيلاي وسيلاسي) ما رأيكما أيها الشقيان...؟

سيلاسي: أرجوك سيدي...إرأف بزويا...إنها مريضة جداً... لن تتحمل هذا التعذيب..

الضابط الأصلع: هل تقول أننا عذبناكم؟ تتهم النظام؟؟؟ هل بلغت أصدقاءك في منظمات حقوق الإنسان الدولية؟ إنهم مسرورون جداً من تقاريرك التي ترفعها إليهم أسبوعياً...

سيلاسي: أقسم لك أننا لم نرفع أي تقارير عن النظام .. نحن ضد العمالة والارتزاق حتى لو كان ذلك ضد مصالحنا الشخصية...

الضابط: إذا فبقاء النظام ضد مصالحكم الشخصية..

سيلاسي: لم أقل هذا..قلت حتى لو ...حتى لو يا سيدي تعطي معنى مختلفاً...أنا مخرج مسرحي وأعرف معنى الكلمات جيدا...

(يدق الضابط الأصلع بسن القلم على السجل الضخم وهو يفكر بروية)

الضابط الأصلع: (يرفع راسه تجاه الضابط) ما رأيك؟

الضابط: في أي شيء سيدي؟

الضابط الأصلع: في مدى كونهما بريئان؟

الضابط: لا أعرف يا سيدي ولست مشغولاً بذلك فأنتم من تقررون ذلك..

الضابط الأصلع: ولكنك تحدثت عن براءة زويا؟

الضابط: صحيح..بدت لي بريئة..ربما لأنها جميلة وليس لوجود أدلة تبرؤها...

الضابط الأصلع: أليست هذه انطباعية؟

الضابط: نعم هي كذلك...

الضابط الأصلع: ماذا لو أخبرتك عن حقيقة هذه الفتاة..

الضابط: وماهي حقيقتها؟

الضابط الأصلع: إنها حفيدة تيناجينيورك شقيقة ولي العهد ابن الإمبراطور...

الضابط: (بذهول) ماذا؟

أبيلاي وسيلاسي: ماذا تقول..هذا مستحيل؟

الضابط الأصلع: كل الوثائق أمامي في هذا السجل.. في الواقع أنتما لم تورطا هذه الفتاة بل هي التي ورطتكما معها... إفشاءكما لكل ما تعلمانه عنها سيكون وسيلة لتخفيف حكم الإعدام لحكم أقل أو ربما –وبتوصية مني– وقف تنفيذ أيَّ عقوبة أخرى ضدكما...

سيلاسي: يا إلهي.. لا يمكن أن تكون قد خدعتني...إنها أكثر براءة من الطفل الرضيع يا سيدي.. ربما تكون حفيدتها فعلاً لكنها لا تمارس أي نشاط سياسي؟

الضابط الأصلع: منذ متى عرفتها؟

سيلاسي: منذ خمسة أشهرٍ تقريباً...

الضابط الأصلع: هل تعتقد أن هذه فترة كافية لتعرف أنشطتها السرية؟

سيلاسي: (تبدو عليه الحيرة) لكنها تحبني .. قالت ذلك لي.. ومن يحب لا يكذب على حبيبه أبداً..

الضابط الأصلع: ألم تكذب من قبل وتخبرَ أحداً بأنك تحبه؟

سيلاسي: (يطأطئ راسه ويقول بخزي) فعلت...(يرفع رأسه) ولكنني كنت في ذلك الوقت في بداية عقدي الثاني.. وهي سن مضطربة.. نقول فيها أشياء كثيرة نعنيها ولا نعنيها...

الضابط الأصلع: لقد نلت منها بكذبتك تلك ما كنت تريده ثم غدرت بها..أليس كذلك؟

سيلاسي: (يطأطئ رأسه بخزي) هذا صحيح...(يرفع راسه) ولكن..ولكن..ولكن في تلك العمر يكون هذا سلوكاً منطقياً..

الضابط الأصلع: وهل كانت النتيجة منطقية...

سيلاسي: (يطأطئ رأسه)..

الضابط الأصلع: (يقلب السجل الضخم).. لقد حبلت الفتاة المخدوعة منك وحاولت الإجهاض ثم ماتت أثناء عملية الإجهاض... لقد قتلتَ روحين أيها الشقي...

سيلاسي: (يبكي)..كيف عرفتَ كل ذلك... لقد حاولت نسيانه .. لم أكن أتصور أن تسير الأمور على ذلك النحو...لو كنتُ أعلمُ لما ترددت في الزواج منها والاحتفاظ بإبني حياً...كم هو ماضٍ مخزٍ ومؤلم... ها أنا على مشارف الخمسين بلا هدف في الحياة سوى تشتيت ذاكرتي الصلبة كالصخر...

الضابط: أووه ..تراجيديا في كل مكان..

الضابط الأصلع: ألم يكن يبدو بريئا كالأطفال؟

الضابط: حقاً يا سيدي.. رغم أن الأطفال ليسوا أبرياء..

الضابط الأصلع: (يرفع حاجبيه مندهشاً).

الضابط: الأطفال لديهم نقص عقلي فقط..مثلهم مثل الأبقار والخراف.. ولا يمكن أن نعتبر الخراف بريئة لأنها ناقصة عقل..هذا سيمنعنا من ذبح الخراف وأكلها في الواقع...

الضابط الأصلع: إنني أفضل ذبحها وأكل لحومها ولذلك فلا مناص أمامي سوى أن أتفق معك...

(يقهقه الضابطان)

(يدلف فرد الأمن الثاني)

فرد الأمن الثاني: مجموعة السجناء المحكومين بالإعدام يا سيدي (يتذكر أنه لم يؤدِّ التحية العسكرية فيؤدها) عفواً سيدي..

(يدخل خمسة رجال مفتولي العضلات وتبدو على وجوههم علامات الإجرام..ينظر الضابطان نحوهما)..

الضابط: (بخوف) اللعنة.. الإجرام ينضح من أشكالهم..

الضابط الأصلع: ربما تكون هذه مشكلة.. فهذا النوع متبلد الذهن بحيث لا يهتم إذا ما كان حياً أم ميتاً.. مع ذلك فلا نملك غير مساومتهم ولنرى حينها ما سيحدث...(ينظر إلى المجرمين) هل تودون البقاء احياءً أم أنْ تتدلى أجسادكم من حبل المشنقة؟

(ينظر المجرمون الخمسة نحوه ببله)

الضابط: بعد الموت لن تروا ضوءَ الشمس مرة أخرى ولا الزهور وهي تتفتح ولا أشجار العرعر وهي تظلل الأعشاب الطرية تحتها... ولا حتى الفراشات الملونة وهي تحلق فوق شواطئ البحيرة...

(يظل المجرمون صامتين ونظراتهم بلهاء)

الضابط: (ينظر للضابط الاصلع) يبدو أنه لا فائدة من محاولة جرهم إلى العالم البشري..

الضابط الأصلع: ستقومون بمهمة عاجلة ثم يطلق سراحكم بعدها... ما رأيكم؟

المجرم الأول: زهور.. فراشات؟!!!..كما لو كنا فتيات رقيقات..

المجرم الثاني: إن لم تكن المهمة هي القتل فلا أهتم..

الضابط الاصلع: ليست قتلاً.. فقط هناك فتاة ملقاة على الأرض ستحملونها إلى هنا.. هل هي مهمة صعبة...

المجرم الثالث: فتاة نحملها إلى هنا..؟!!!

المجرم الرابع: إننا نتعرض لإهانة شديدة كنت أفضل لو شنقوني قبل أن أسمع هذا الكلام القبيح..

المجرم الخامس: هل سنغتصبها؟

الضابط الأصلع: لا لا .. فقط إجلبوها هنا ثم غادروا إلى حال سبيلكم....(يصيح مخاطباً فرد الامن الثاني) هيا خذهم إلى مكان الفتاة...

(يستدير المجرمون ويحدق أحدهم في وجه فرد الأمن الثاني بقسوة فيبدو الخوف على ملامح هذا الأخير ثم يخرجون)

أبيلاي: زويا لن تتحمل ذلك..

سيلاسي: (بغضب) الأميرة زويا لو سمحت..

أبيلاي: الأميرة المتصلبة .. لقد انتهى عهد الأمبراطوريات..إنها حسناء مسكينة .. تتصلب كلما تألمت أعماقها... كما لو كانت تحتجز الألم لأطول فترة ممكنة داخل أعماقها...

سيلاسي: أن يُحرم الإنسان من الصراخ حين يتألم فهذا تعذيبٌ ليس بعده تعذيب..

أبيلاي: كلما ثارت مشاعرها حزناً او فرحاً .. تنفصل عن الوجود وتنغمس في أعماق ذاتها المصفدة بالعجز المطلق...رباااه.. زويا المسكينة...

الضابط الأصلع: إذن فهي ليست متلبسة بالشيطان.. وأنتما تعلمان ذلك؟

سيلاسي: من قال أن الشيطان يحتمل تعذيب هذا الملاك الطاهر البريء...

الضابط الأصلع: لم يكن الشيطان سيئاً يوماً ما ...

الضابط: حسناً ..ولكن ما معنى أن تتصلب هكذا فجأة .. أصدقك القول أن مشهدها مخيف جداً...

الضابط الأصلع: الحياة مادة .. تذكر هذا دائماً أيها الضابط حتى تتمكن من استيعاب كل مشاهد الحياة التي تبدو مفزعة لاول وهلة...

أبيلاي: نحن من أوقعها في هذا الفخ...

سيلاسي: لكننا لم نفعل شيئا سوى التمثيل يا بيلي..كان حلمنا أن نُطوِّر مسرحنا الإثيوبي ليصبح أداة للتنوير في عهد الظلام...

أبيلاي: وهل التنوير بعيدٌ عن الأنشطة السياسية.. التنوير هو اتخاذ موقف شامل من كل ما يحيط بنا..

سيلاسي: ولكنه موقف عقلاني..

أبيلاي: ومن قال أن البشر يمكنهم العيش بعقلانية وحسب...كل الأساطير وكل أحلام البشر بالخلود .. وتناسلهم .. عملهم ... زواجهم .. بل حتى حروبهم وسلامهم .. لو رددتها إلى العقل فستجافي العقلانية... العقلانية هي أن نحفر قبورنا فقط وننتظر الموت..العقلانية نفسها غير عقلانية يا سيلاسي...

أبيلاي: يا إلهي .. كل شيء يبدو شديد التطرف .. والحقيقة تتصدع في هذا الكون...

الضابط الأصلع: الحقيقة هي أنكما ستتعفنانِ هنا .. والعقلانية هي أن تعترفوا بكل شيء... كل...شيء.. هل فهمتما...كل شيء ...

سيلاسي: بشرط.. وهو ألا تعذب زويا...

الضابط الأصلع: هذا يعتمد على ما سيرد في اعترافاتكما...

سيلاسي: (يصيح بغضب) نريد وعداً قاطعاً.. في كل الأحوال لا أحد يثق بوعود رجل أمن .. لكننا لا نملك ضماناتٍ أخرى غير شرفك كرجل .. هل فهمتني.. كرجل...

الضابط الأصلع: أقسم بشرفي كماركسيٍّ سابق..

سيلاسي: إذن فهاك اعترافنا... نعم.. كنا نحرض الشعب على النظام... نعم .. خططنا ونفذنا عمليات الإغتيال في أديس أبابا وبحر دار... نعم استقطبنا الجماهير عبر رسائل سرية غامضة في مسرحياتنا... هل تريد أكثر من ذلك لأنني لا أعلم أكثر من هذا إن لم يكن كافيا لشنقنا...

الضابط الأصلع: بل هو كافٍ جداً.. ستسجلان إعترافاتكما أمام الكميرات قبل أن تشنقا (يوجه حديثه للضابط) أيها الضابط.. لقد تم انجاز المهمة بنجاح... إقتدهما للنهاية...

(يتجه الضابط نحو أبيلاي وسيلاسي ويعاونه فرد الأمن الثاني على حل قيودهما ثم يقتادهما إلى الخارج)

الضابط الأصلع: (يرفع ساقيه فوق الطاولة ويسند رأسه من الخلف على كفيه) آه... في هذه الحياة لابد أن يدفع أحدٌ ما الثمن... نحن أيضاً سندفع الثمن يوماً ما ...

(يدخل فرد الأمن الثاني)

فرد الأمن الثاني: لقد جاءوا بالفتاة يا سيدي (يتذكر أنه لم يلق التحية العسكرية فيفعلها) آسف سيدي...

(يدخل المجرمون الخمسة وهم يحملون زويا ثم يضعونها أرضاً..)

الضابط الأصلع: لا تذهبوا فسنحتاجكم لنقلها إلى السجن ومن ثم إلى حبل المشنقة...شمموها بصلة لتفيق..

المجرم الأول: لا حاجة لبصلة فرائحة إبطي ستتكفل بالأمر...(يقترب من زويا ويضع إبطه في فمها لبرهة فتنهض زويا وهي تعطس)

زويا: (وهي جالسة على الأرض بوهن) أين أنا (تتلفت حولها) من أنتم؟ ..

الضابط الأصلع: السيدة زويا... أم .. من الأفضل أن أناديك الأميرة زويا...

زويا: (تبدو منهكة) أريد سجارة...جائعة جدا .. أشعر بعطش قاتل..لكنني أفضل سجارة على كل شيء آخر...

الضابط الأصلع: (يخاطب فرد الأمن الثاني) إجلب لها علبة دخان من أقرب كشك سجائر...

فرد الأمن الثاني: يمكنني أن أقدم لها سجارة من علبتي الخاصة..

الضابط الأصلع: حسنا..افعل ذلك...

(يُخرِجُ فردُ الأمن الثاني علبة سجائر ويستلب منها سجارة ثم يلقي بالسجارة والزناد من بعيدٍ إلى زويا)

فرد الأمن الثاني: أعذريني سيدتي لكنني لا أودُّ المجازفةَ بلمس يدك..

(تأخذ زويا السجارة وتشعلها ثم تدخنها وملامحها شاردة)

(ينهض الضابط الأصلع ويتجه نحو زويا ثم يتحرك أمامها جيئة وذهاباً بصمت)

(تستمر زويا في التدخين ويستمر الضابط الأصلع في سيره المتكرر)

(تطفئ زويا سجارتها على الأرض فيدور الضابط الاصلع حول مكتبه ويجلس..يضرب السجل براس قلمه .. ثم يرتدي نظارته ويصلب يديه فوق صدره فارداً قدميه على طولهما فيستقر بهدوء)..

(تمضِ فترة من الصمت يتنحنح بعدها الضابط الأصلع)

الضابط الأصلع: يقولون أنني أشبه فيلسوفا فرنسياً يدعى فوكو..

(تظل زويا مطأطئةً رأسها إلى الأرض وهي منهكة)

الضابط الأصلع: أفرحني ذلك فأشتريت مجموعة مترجمة من كتبه .. والحق أنني لم أفهم منها شيئا.. فألقيتها في سلة القمامة.. يبدو أنه شخص مجنون.. ثوري ومجنون .. في الواقع .. أرى أنه يشبهك أنتِ وليسَ أنا...كان شاذاً وأنا لستُ شاذاً..في الحقيقة مارست قليلاً من الشذوذ في مراهقتي كنوع من التجريب..ولم يعجبني الأمر... هل سمعتِ بِهِ من قبل؟

(تظل زويا صامتة)

الضابط الأصلع: حسناً.. كان بودي أن أمنحك وقتاً لترتاحي ومن ثم أتمكن من استجوابك وأنت بذهنية نشطة..غير أن رؤسائي متعجلون للغاية..لذلك يمكنني أن أعدك بأن تذهبي فوراً للنوم مع طعام محترم إذا سهَّلتِ المهمة لي... (تظل صامتة)...أشياء كثيرة تؤلمنا يا أميرة زويا.. أشياءُ كثيرة...حتى جدك الإمبراطور آلم أشخاصاً كثيرين في سبيل الاحتفاظ بالسلطة...هذا هو تاريخ الإنسانية يتكرر دون مشقة...أليسَ كذلك... هناك ملايين أو ربما مليارات ذاقوا العذاب طوال عمر البشرية...هناك منهم من قتل بلا أي معنى .. فغاب عن الوجود كما لو لم يكن شيئاً مذكوراً... لذلك أجدُ نضالك من أجل إعادة إثيوبيا إلى عصر الإمبراطوريات أمراً مبرراً حتى وإن لم يكن واقعيا.. لكننا في عصر غريب جداً... فحينما يموت شكلٌ من أشكال الحكم فإن عودته تكاد تكون مستحيلة...لأن العالم كله يراقب .. لم يعد هناك شيء يخفى على أحد .. فما يحدث لبطاريق القطب الشمالي ستعلمه بطاريق القطب الجنوبي في نفس وقت حدوثه... لا أعلم إن كان هناك بطاريق في كلا القطبين أم في احدهما.. لكنني أحاول استخدام المجاز ... أعتقد أنني فاشل في هذا الجانب الأدبي وعموما كنت منذ أيام المدرسة أكره الشعر ... على أي حال .. وحتى أتركك ترتاحين في زنزانتك يمكنك أن تطلعيني على لقاءاتك العديدة بالمدعو أساميو .. ومن قبلها لقاءاتك المتنوعة بجيزا أبيرا وغيرهم من القيادات .. لقد التقطنا لك صوراً عديدةً لا تدع أمامك أي مجال للإنكار ..(تظل زويا صامتة) حسناً .. إن كنت تستخدمين حقك في الصمت فهذا أمر مشروع غير أننا هنا لا نعترف لك بأي حقوق..هل تعلمين لماذا .. لأن حق الوطن له أولوية قصوى .. إنه أهم من حق أبي وأمي... أستطيع أن أعطي هؤلاء المجرمين الخمسة فرصة التعامل معك كما يشتهون .. في هذا المكان لا وجود للآلهة .. ولا وجود لمنظمات حقوق الإنسان... لذلك أنصحك بالاعتراف بكل شيء .. حينها سنخفف عنك العقاب ..

(تقهقه زويا بصوت عالٍ)

الضابط الأصلع: ما الذي يضحكك؟ هل أبدو لك مهرجاً...

زويا: بالفعل .. تبدو لي مهرجاً .. مهرجٌ بائسٌ جداً... إنك تعيش دوراً وهمياً في مسرحيتك التي تكتبها أنت وأنت تحسب أنك البطل.. هل تحسب أنني صالحة لكي أحيا كإنسان ناهيك عن أن اتآمر وأخطط... إنك فقط لم تجرب كيف تتألم دون حتى أن تتمكن من الصراخ ... أنا أميرة؟ (تضحك) يا لسخرية القدر...ءأكون أميرةً حقا؟!! ربما..فلقد نشأت في ملجأ للأيتام...ربما كانت أمي التي رمتني هناك وأنا مجرد لحمة حمراء ..ربما كانت أميرة فعلاً...إن الحكومة تعلم كل شيء.. كل شيء عن الآخرين... ماعدا الأشياء التي تخصها هي نفسها.. لو راقَبتِ الحكومة نفسها بقدر مراقبتها للشعب لأستطاعت تحويل بلادها إلى بلاد عظيمة.. (تقول بجدية) لا تسخر من نفسك أيها الضابط أكثر من هذا.. يمكنك أن تملي عليَّ أي اعتراف تودني أن أقدمه .. وسأوقعه عن طيب خاطر...

الضابط الأصلع: (يدق سن قلمه على السجل ويلوي شفتيه مفكراً) .. حسناً.. أنا لا أريد أكثر من ذلك.. حقاً لا أريد أكثر من ذلك... ستكونين أميرة حتى لو لم تكوني أميرة... جاسوسة وعميلة ومتآمرة على النظام الدستوري .. هذا كل شيء...فلابد لأحد ما أن يدفع الثمن...حسناً.. سأدون اعترافاتك لتمضي بعدها إلى حبل المشنقة... (يخاطب المجرمين الخمسة) خذوها إلى الزنزانة...(المجرمون الخمسة لا يتحركون) لماذا لا تستجيبون للأوامر.. هل تريدون العودة لخشبة الإعدام؟ (يظل المجرمون صامتين)...أنتم .. ماذا دهاكم يا بلهاء؟..

فرد الأمن الثاني: (بجزع) يا إلهي.. لقد تلبَّسهم شيطان المرأة ..

الضابط الأصلع: (بغضب) ماهذا الهُراء... لا يوجد شياطين (تقهقة زويا بصوتٍ عالٍ).. لا يوجد شياطين.. الحياة مادة.. مادة... (يصرخ).. إضربهم أيها الجندي...

فرد الأمن الثاني: (بهلع) لا يا سيدي.. لن اقترب منهم .. لقد تلبسهم شيطان المرأة.. لن ألمسهم أبدا...

الضابط الأصلع: إنك تخالف الأوامر وسوف أطلق عليك رصاصة مباشرة في رأسك..

فرد الأمن الثاني: أرجوك يا سيدي... لا تجبرني على ذلك...لدي زوجة واطفالاً..

الضابط الأصلع: (يخرج مسدساً من درج مكتبه ويوجهه لفرد الأمن الثاني) نفذ الأوامر يا جندي.. إضربهم على قفاهم...

فرد الأمن الثاني: (بخوف) حسناً يا سيدي.. تمالك أعصابك فلربما أفلت منك العيار .. سأضربهم..(يقترب من المجرمين وبعد تردد يصفع أحدهم على قفاه) لقد فعلت ذلك...يا إلهي (يرتعش جسده) ماذا يحدث لي...ماذا يحدث لي..الشيطان يتسرب إلى شراييني...(يصرخ ثم يفر هاربا)..

الضابط الأصلع: أيتها الملعونة...ماذا فعلتِ بهم؟!! هيا اعترفي...(تقهقه زويا بصوت عال..ينظر نحوها بقسوة ويخرج هاتفه ويجري اتصالا) أوصلني بالخط الساخن لرئيس الوزراء...(يأتي صوت رئيس الوزراء)

صوت رئيس الوزراء: ماذا هنالك أيها الضابط؟

الضابط الأصلع: نعم سيدي.. لقد قبضنا على خلية تقودها حفيدة الإمبراطور...

صوت رئيس الوزراء: هذا جيد مع ذلك كان بإمكانك إتباع الهيكل الوظيفي بدلا عن مخاطبتي مباشرة بهذا الأمر..

الضابط الأصلع: أدرك ذلك يا سيدي.. لكن يبدو أننا نمر بقضية تحتاج تدخلكم المباشر...فالمرأة المشتبه بها لديها لعنة شيطانية...

صوت رئيس الوزراء: ما هذا الهراء أيها الضابط..لقد قطعتُ اجتماعاً مهماً لأتلقى اتصالك ويبدو أنك مصاب بخطب ما في عقلك...

الضابط الأصلع: لا يا سيدي .. إنني في كامل قواي العقلية...

صوت رئيس الوزراء: (بهلع) ما هذا.. لماذا انتم جامدون هكذا؟

الضابط الأصلع: ماذا هناك يا سيدي؟

صوت رئيس الوزراء: رجال الدولة الذين اجتمع بهم متجمدون بشكل مخيف .. أحدهم يرفع كوب الشاي قرب فمه .. الأخر متجمد وهو يشير بأصبعه إلى آخر..

الضابط الأصلع: هذا ما كنتُ أخشاه.. خلال ثوانٍ سيتجمد كل الشعب الاثيوبي بسبب لعنة هذه المرأة (تقهقه زويا بصوتٍ عالٍ) سيدي رئيس الوزراء... سيدي رئيس الوزراء... هل تسمعني؟ سيدي (ينظر لهاتفه) يبدو أنه قد تجمد بدوره... (يصدر هرجٌ ومرجُ في الخارج) ماهذا؟ يبدو أن الحراس قد تجمدوا بدورهم والمساجين يحاولون تحطيم الزنزانات (تقهقه زويا وتستمر في القهقة بصوت عالٍ) أصمتي أيتها الملعونة...

زويا: ستتألم إثيوبيا كلها دون أن تتمكن حتى من الصراخ...

الضابط الأصلع: (يوجه مسدسه نحوها) أصمتي أيتها الشيطانة...(تقهقه زويا بصوت عال) قلت لك اصمتي..

زويا: سوف تتألم إثيوبيا كلها دون أن تتمكن حتى من الصراخ..

الضابط الأصلع: قلت لك اصمتي أيتها الشيطانة (يطلق عليها أربع رصاصات فتنكفئ زويا على وجهها ميتة).. فلتصمتي إلى الأبد....(يجري اتصالاً عبر هاتفه) لا أحد يجيب عليَّ...سأجري اتصالاً آخرَ بالدفاع المدني .. نحن نمر بكارثة...

(يأتي صوتٌ فزعٌ من سماعة الهاتف)

الصوت: من أنت؟

الضابط الأصلع: أنا ضابط بشعبة التحقيقات..

الصوت: (يزداد هلعا) انقذونا.. كل رجال الدفاع المدني متجمدون .. الناس في الشوارع متجمدون ... إثيوبيا تتحول إلى بيوت اشباح يا سيدي... أر.. أر... أر...

الضابط الأصلع: (ينظر لهاتفه بجزع) يبدو أنه قد تجمد بدوره...(يضع فوهة المسدس على رأسه) لن أتحمل ذلك... لن أتحمل الألم دون أن أتمكن حتى من الصراخ...هذا مرعب...مرعب...(يطلق رصاصة على رأسه ويسقط على الأرض.. ثم يتبعه سقوط المجرمين الخمسة)

(ستار ويظلم المسرح)

(النهاية)

الشخصيات:

الرجل الأول

الرجل الثاني

السيدة

المسرح:

"يمثل المسرح مكتبا طوليا عليه ثلاثة ادراج بمقاعدها ، هناك نافذة صغيرة على اليمين ومكيف ماء ، وفي الجدار المواجه للجمهور لافتة مكتوب عليها (اتحاد معاشيي الخدمة المدنية:إ م خ م) ، الجدار قديم وبه شقوق ودهانه مقشور في بضعة مناطق كما أن الادراج والمقاعد حديدية قديمة مدهونة بلون أزرق غامق. يجلس رجلان عجوزان وراء درجيهما ، أحدهما ذو صلعة وشعر قليل على جانبي الرأس ، وهو يلعب بطقم أسنانه حيث يغمسه في كوب ماء بشكل مستمر ، الآخر لا يختلف عنه كثيرا فهو اصلع أيضا ويرتدي نظارة سميكة العدسة وبإطار أسود من طراز قديم يضع جريدة امامه وينحني مقتربا منها بشدة ليتمكن من القراءة ".

الرجل الأول: بت أخلع كل شيء قبل أن اخلد للنوم ..ملابسي.. وطقم أسناني ونظارتي .. وسماعات الأذن....

الرجل الثاني: المدن؟ .. عن أي مدن تتحدث.. نحن نعيش في قرية نسميها مدينة لأننا لا نملك سواها ...حاول قراءة صحف اليوم والصحف قبل عشرين عاما.. ستجدها تكرر نفسها .. ومع ذلك فالمراهقون يسمون أنفسهم أبناء الحداثة.. أي حداثة هذي يا قوم..

الرجل الاول: النوم ؟ فعلا أنا مثلك .. أعاني من قلة النوم وقلة الأكل.. لماذا يحدث هذا لنا.. لماذا نتقوس لنتقوض...هذا محزن..

الرجل الثاني: لا أعرف محسن .. ربما تقصد ذلك الشاب الذي يرتدي ازياء النساء ويعتبر نفسه مطربا... لقد انحطت ذائقة هذا الشعب...لا أعرف لماذا هم مبتهجون هكذا؟ ألا يبدو لك ذلك الابتهاج غير طبيعي .. ألا تعتقد أن هذا من اثر تعاطي المخدرات..

الرجل الأول: لا يا زميلي.. النباتات تأكلها الابقار والخراف... كنت ألتهم اللحوم ومع ذلك لم أصب بأي مرض .. هل تعرف لماذا؟ لأنني كنت أمشي طويلا... أمشي مسافات لو مشاها هؤلاء المخنثون اليوم لتلاشو كالفكرة غير المنطقية... لا تنظر لي اليوم وأنا أدلف الى أعتاب الثمانين .. وكل عضو في جسدي صناعي كالروبوت..لا .. انظر لي قبل عشرين سنة فقط أو ثلاثين.. دعني أكون صريحا.. أو قبل خمسين سنة أي وانا في الثلاثين من عمري.. الثلاثون هي سنوات النقطة الحرجة.. حيث أنت في القمة وأنت أيضا على أعتاب السقوط...

الرجل الثاني: (يدور بمقعده مواجها الآخر بغضب) قوم لوط...كن حذرا في الفاظك.. لن أقبل اي اساءة وأنا في هذه السن أيها العجوز الخرف..

الرجل الأول: قرف.. هل تقول بأنك تشعر بالقرف .. تشعر بالقرف من حديثي بالتأكيد..لأنك كنت في ذلك الوقت منزويا في مكتب الإرشيف مع ذبابة يتيمة أوقعها حظها النحس في شرك مشاركتك مكانا واحدا .. بل أنا من أشعر بالقرف منك كلما نظرت إلى عينيك الباهتتين كعيني سمكة نافقة في شاطئ العدم..

الرجل الثاني: (يرفع صوته ويديه بغضب) بل أنت الوهم بعينه أيها العجوز من مجرة منقرضة...

الرجل الأول: (ينهض بظهر منحن وضعف وملامحه غاضبة ، فينهض الثاني بذات الوضع ويلصقا جبهتي رأسيهما بغضب استعدادا للشجار) تصر على قلة الأدب .. وسأعرف كيف أؤدبك لأن والديك لم يؤدباك في صغرك أيها المتنمر..

الرجل الثاني: (بهلع).. ماذا؟ .. ماذا تقول يا كلب .. أنا متخمر... وانت متعفن.. إن رائحة إبطيك بل وحتى سيقانك التي ترتجف كالعصيدة تفوح برائحة فطريات عفنة...حقير..

الرجل الأول: (يضحك ساخر) مدير؟ الآن بت تهددني بإخبار المدير... أين صوتك العالي وعضلاتك التي كنت تزعم أنك ستستخدمها لضربي...يا جبان..

(تدخل سيدة أربعينية مكتنزة الجسم قليلا وترتدي تنورة تبرز مؤخرة ضخمة .. ينظران نحوها ويرتبكان)

الرجل الأول: مرحبا مرحبا سيدتي .. لا تؤاخذينا فلقد كنا مختلفين حول مسائل إدارية...تعرفين أن المسؤوليات الضخمة الملقاة على عاتقنا تحتم علينا الحذر حد الغضب..

(تبتسم الأربعينية وتمد يدها لتصافح الرجل الأول)

السيدة: أشكرك يا عم...!!!!.. ما اسمك لو سمحت..

الرجل الأول: جمحت؟ لا لا صدقيني .. بل هو من جمح (أشار بسبابته للرجل الثاني) هو دائما جامح وغضوب.. (يربت على كتف الرجل الثاني ويبتسم ابتسامة مزيفة) هو طيب رغم كل شيء... (يرى الثاني ابتسامة الرجل الأول فيبتسم ابتسامة مزيفة مرتبكة ويشير للسيدة بالجلوس). (تبحث السيدة عن كرسي فينهض الرجل الثاني بضعف وظهر مقوس محاولا أخذ كرسي الدرج الثالث الخالي)

السيدة: (تمد المرأة يدها لمنعه) لا تتعب نفسك عماه ..أنا سآتي به ..

الرجل الثاني: (بغضب) لماذا تمدين يدك لمنعي ألا تريننني ذاهب لآتيك بالكرسي..هل تعتقدين أنني عجوز إلى هذه الدرجة.. كل مافي الأمر أنني أصبت البارحة برطوبة مفاجئة نتيجة برودة الشتاء..

الرجل الأول: نساء؟ اللعنة .. بدأنا الكذب.. إن آخر أنثى امسكت مؤخرتها كانت كلبة الجيران..

الرجل الثاني: (يلتفت اليه بغضب باك) حيران؟ هل أبدو لك حيرانا .. أم هذه محاولة منك لاغتيالي معنويا أمام السيدة اللطيفة كما تفعل دائما .. لماذا تحاول سرقة كل شيء جميل مني.. لماذا لا تترك لي ولو لحظة واحدة سعيدة..

الرجل الأول: (بهلع)دماغي عنيدة؟ عدت مرة أخرى لقلة الأدب...

(تتدخل السيدة وتحاول مد يدها للحيلولة دون صدامهما)

السيدة: أرجوكما لا تتشاجرا .. أرجوكما ... (تشير بأصابع يدها اليمنى لصدرها) من أجلي انا .. أرجوكما .. احترما وجودي معكما...

(يحملقان فيها بفزع وخزي)

الرجل الأول: أنا آسف سيدتي..

الرجل الثاني: لا تؤاخذيني سيدتي كم نحن بلهاء... تفضلي تفضلي.. اجلسي خلف الدرج الثالث.

(تدور السيدة وتجلس خلف الدرج الثالث).

(يضع الرجلان سبابتيهما فوق شفتيهما)

الرجلان: هووووسسسس...

(يجلسان بصمت وهما يحدقان في المرأة التي تضع حقيبتها اليدوية الصغيرة على الدرج وتخرج منها كراسا وقلما)

السيدة: (تحدث نفسها) لم أكن أتوقع أن تكون المهمة صعبة هكذا.. يجب أن يكون التقرير الصحفي عن إتحاد المعاشيين جاهزا خلال يوم واحد فقط... قيل بأنها تجربة عبقرية من الحكومة حين انشأت هذا الاتحاد.. لكنني لا أر سوى عجوزين أصمين. ماذا سأكتب إذن..؟ يا إلهي .. إن خيالي ليس واسعا لكي أؤلف حوارا وهميا زائفا... (تنظر للرجلين بعينين خائبتين) يبدو أنني سأذهب ..

(تتبادل النظرات مع الرجلين بصمت)...حسنا سأذهب..

الرجل الأول: مقلب؟ لا لا يا سيدتي لسنا مهرجين لهذه الدرجة..(يلتفت للرجل الثاني)..هل رأيت كيف حولنا غباؤك لمهرجين.

الرجل الثاني: أنت من يتعاطى الهيروين وليس أنا.. (يوجه حديثه للسيدة) هذا العجوز يحاول اغتيالي معنويا أمامك.. لا تصدقيه.. لقد كنا ثلاثة في هذا المكتب الجميل.. للأسف قبل أسبوعين توفى زميلنا الثالث .. ولذلك زاد علينا ضغط العمل .. بات علينا ان نقوم بعمله.. ومع ذلك فهذا الأخرق لا يقاسمني الجهد المبذول بل يقضي يومه في اللعب بطقم أسنانه... تصوري أن فكيه يخلوان من سن واحدة.. هذا لأنه لم يكن نظيف الفم دائما.. لكن انظري (يفتح فمه ويقربه من وجهها فتبتعد بقرف) لدي ضرسان وثلاثة أسنان .. إثنان بالأعلى وواحد بالأسفل فأينا العجوز هنا...هذا دليل مادي مباشر وواضح ...

الرجل الأول: الفاضح هو فتح فمك العفن هذا في وجه السيدة الجميلة أيها المومياء المتفحمة...(يوجه حديثه للسيدة).. سيدتي .. لست مهرجا مثله.. أنا لا أعرف لماذا أصبح هذا الكائن غبيا لهذه الدرجة.. لقد كان وكيل وزارة من قبل .. لكنه انتكس .. أنظري إلى ملابسه إنها قديمة ومهلهلة .. أنظري لحذائه كيف هو متسخ ومرقع ولا يكلف نفسه انفاق بضعة جنيهات لتلميعه لأنه بخيل...

الرجل الثاني: أنت العميل.. من انت؟ لقد كنت تعمل مجرد سكرتير لمكتب الوزير وظللت عمرك كله تقوم بالأدوار القذرة .. تختلس أموال الدولة.. سوف لن اتكتم عليك بعد اليوم أبدا...أنت لص (يشير بأصبعه إلى الرجل الأول فيبدو الجزع بعيني الرجل الأول)..لص يأكل اموال الشعب الغلبان..

الرجل الأول: ليس زمان .. لا تكذب.. في الواقع حتى عندما كنت تعمل كسكرتير كنت ترتدي ملابس مهلهلة لأنك تبخل حتى على نفسك بانفاق القليل من المال لشراء ملابس جديدة..ظللت

تشتري في الأراضي بثمن بخس عبر معارفك في الوزارات المختلفة.. ورغم أنني فقير لا زلت حتى اليوم أسكن بالايجار...

الرجل الثاني: أنا لا أشرب الكحول ولا ادخن السجار... ولست مثلك عندما كنت تجلس مع الوزراء والقضاة في منادمات الخمر لتتدهنس لهم كي تحصل على ترقية وفشلت في ذلك...كنت اكبر فاسد ولا زلت فاسدا حتى اليوم وبلا أخلاق ولا ضمير...

الرجل الأول: الحمير.... حسنا.. فليكن...أعرف انك ظللت شخصا ماديا تعتقد أن من لا يفسدون هم الحمير.. دعني أقول لك..انا أتفق معك... من لا يغتني من أموال الحكومة السائبة بل يخلص في عمله هو حمار بلا منازع...صحيح اكتشفت هذه الحكمة بعد أن أحالوني للمعاش لكنني نصحت بها كل من أعرفهم ..ولو كان لدي أبناء لما ترددت في تعليمهم كيف يأخذون حقوقهم من مال الحكومة الذي سيتم نهبه من التماسيح الكبار لا محالة..

الرجل الثاني: سفالة؟ تقول سفالة؟ لقد انتهى الكلام بيننا يا سيد.. لا أرغب في ضربك ضربا مبرحا حتى تتعلم الأدب..

(تنهض السيدة وتهم بالمغادرة فينزعج الرجلان)

الرجل الأول: كم نحن حمقى لقد ازعجناك يا سيدتي بالتأكيد..

السيدة: على العكس كان ذلك مسليا إلى حد ما..

الرجل الثاني: العمى يصيب من لا يقدس هذا الجمال يا سيدتي (يبتسم ببله فتبتسم السيدة بتكلف).. لكنني لم أعرف حتى الآن سبب زيارتك...

(تخرج السيدة كراسها وتكتب بخط عريض: أنا صحفية)

(يقرأ الرجلان الورقة والرجل الثاني يقرب وجهه من الورقة ليتمكن من القراءة)

(يتراجع الرجلان إلى مقعديهما ويصمتان وهما يحدقان في السقف)...

(يلتفتان لبعضهما ويقولان بصوت واحد)

: صحفية!!!

(يتمعنا بعضهما ثم ينفجران ضحكا)...

السيدة: (بحنق) هل هناك مشكلة..

(ينظران نحوها فتكتب)

"هل هناك مشكلة؟"

(يعيدان الإلتفات نحو بعضهما ثم ينفجران ضحكا)..

السيدة: (تكتب بسرعة وملامحها غاضبة وهي تنطق ما تكتب) هذه معاملة غير محترمة لسيدة.

(يصمت الرجلان ويبدآ في القراءة ، يقرب الرجل الثاني وجهه من الورقة.. ثم يتراجعا إلى مقعديهما صامتين..يبقيا كذلك لبرهة ثم ينظرا لبعضهما البعض .. وينفجرا ضاحكين.. تنهض السيدة وتغادر..فيواصلا الضحك قليلا ثم يصمتان).

الرجل الأول: لا شيء يبدو يقينيا أبدا...ولو تحذلقنا كالفلاسفة فلا يوجد شيء اسمه شيء أساسا...

الرجل الثاني: (يتأوه) هل تذكر زميلنا الثالث...كان فاسدا وجمع ثروة ضخمة.. تزوجته آخر صحفية زارتنا هنا.. وبعدها لم يعد مرة أخرى..صحفية شابة جميلة كهذه.

(تمد السيدة رأسها وتكتب وهي تنطق ما تكتب)

السيدة: ترك العمل؟

الرجل الأول: (يقرأ ما كتبته السيدة).. لا.. لقد مات بعد ثلاثة أيام من الزواج. وجدوه عاريا وقد أصابته ذبحة ..(يلتفت للرجل الثاني ويخاطبه مشيرا إلى ملابسه) لقد وجدوه عاريا...

الرجل الثاني: (يلتفت للرجل الأول ويشير الى شفته) كان يحاول ويكفيه شرف المحاولة...

(يتبادى الرجلان التحديق ثم ينفجران ضحكا)

السيدة: (تمزق ورق الكراسة القديمة وتأتي بجديدة) انتما تستطيعان قراءة الشفاه؟ كنتما تخدعانني إذن؟

الرجل الأول: لا أعرف لماذا تتجلى لي صورته عاريا وهو ميت.. كان يبحث عن بطولته الأخيرة... كان يبحث عن معنى أخير لحياته بدلا عن المال...

الرجل الثاني: بل لديه عيال.. كان متزوجا من إحدى قريباته على ما أتذكر...وقد أنجب منها طفلا وطفلة... يقال أنهما كانا اشبه بمديره في الوزارة..لكنه قبل بذلك عن طيب خاطر... تبدو مؤسسة الزواج كذبة أكثر من كونها حقيقة.. ألا تعتقد ذلك يا عزيزي...إكراه على احتكار الجنس عبر ورقة يكتبها محام أو قاض أو مكلف من الحكومة...ما معنى ذلك؟ مالذي تصنعه مؤسسة الزواج..إنها تربي الأكاذيب...يحاول كل طرف خيانة ميثاق أجبر عليه...أعتقد أن الميثاق العاطفي هو الأكثر مصداقية..

الرجل الأول: ليست انسانية كما تعتقد .. لقد تزوجته لسرقة ثروته.. لم يكن فيه شيء جاذب.. كانت رائحته كرائحة الملتوف..ساقاه تصطكان ببعضهما من شدة الهزال.. لسانه يتدلى حين يحاول ادخال ملعقة الزبادي في فمه.. ألا يبدو لك ذلك مقرفا حين تقبل به سيدة جميلة.. هذا لم يكن عاديا ولقد مات عاريا وهو يكافح لحفظ ماء وجهه.. مات مكتنفا بالخزي والهزيمة بدلا عن البطولة...وهذا نتاج ضعف في قدراته العقلية... يا له من بؤس.

الرجل الثاني: لم أفهم ما تقصده .. ان كنت تقصد انها مؤسسة تجلب النحس فأنا أتفق ولا اتفق معك... كل ما يمكنني فهمه أنها مؤسسة تزرع البؤس في الانسان...والانسان يسعى لزراعة البؤس في حياته عبر تواجده مع كائن آخر لا يعرف عنه الكثير .. يقضيان سنوات عمرهما وهما يعانيان إما من تبادل سوء الفهم أو تبادل تجاهل أحدهما لمطالبه النفسية الخاصة بهدف الحفاظ على علاقة مصطنعة لا معنى لها. صحيح تنشأ رابطة معنوية ما..لكنها رابطة يخلقها شعور الذات باقتراب الفناء.. شعور بالوحشة.. اعتقد أن زميلنا الرجل الثالث كان يحاول هزيمة الحقيقة التي كانت تزداد تجليا أمام بصره الأعمش كلما استيقظ في الصباح...كان يرفض أن يتشتت ...

الرجل الأول: لم أتعنت .. لماذا تعتقد ذلك؟... نعم مات عاريا والعري ليس عيبا.. العري انتاج ما يسمى زورا بالتحضر...الانسان الأول هو من غطى اجهزته التناسلية ليس لأنها عيب ولكن لأنها كانت مقدسة في نظره...لأنها كانت تعطيه يدا عاملة..تزرع وترعى وتبني وتقاتل...لذلك غطى الآلهة خوفا من إيقاع السحر عليها من قبل الأعداء.. كان اللباس أول تميمة لحفظ الآلهة...ألا تعتقد صحة ما أقول؟ لماذا لم يتم تغطية الأنف او الأصابع لماذا اختار تلك المنطقة التي لا تحمل اي عنصر جمالي حقيقي..في الواقع إنها أقبح ما في جسد الانسان...لكنه رأى آلهته جميلة.. ألا تعتقد أن ذلك إيمانا بالذات بدلا عن الإيمان بما هو خارج عن الذات؟ ألا تعتقد ان ذلك كان أكثر تحضرا من اليوم؟

(تدخل السيدة وتقف أمام الرجلين فينظرا نحوها ويبتسمان..تخرج كراستها وتكتب وتردد ما تكتب)..

السيدة: ما رأيكما في فكرة انشاء اتحاد معاشيي الخدمة المدنية؟

الرجل الأول: من أي ناحية؟

السيدة: (تكتب وتقرأ)كفكرة.

الرجل الأول: (يرتدي طقم أسنانه ثم يخلعه وينظر للرجل الثاني) ما رأيك؟

الرجل الثاني: (يبسط يده فوق درج مكتبه ويتأمل الفراغ)..حقيقة لم أفكر يوما بهذا الشكل. لم أطرح هذا السؤال على نفسي...ماذا يمكنه أن يمثل اتحاد لمن أعلن العالم أنهم لم يعودوا صالحين للحياة في نظرك يا سيدتي؟ تخيلي أنني كنت أجري عمليات حسابية لمدة أيام والآن يستطيع طفل إجراء نفس العمليات بحاسب آلى خلال ثوان... هل تعلمين ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أننا لم نعد فقط غير صالحين للحياة بل نحن مسبقا خارج الحياة. إننا حتى لم نعد نضحك للنكات لأننا مررنا بآلاف المواقف الأكثر سخرية وكانت حقيقية في نفس الوقت. ربما يكون هذا الاتحاد هو مقبرتنا الأخيرة .. (يلتفت للرجل الأول) أليس كذلك؟

الرجل الأول: الجيد في هذا الاتحاد أنه غير قابل للقفل...غير قابل للانتهاء ما دام هناك بشر.. والجيد أن الموظفين جميعهم سيضعون هذا الاتحاد في الاعتبار لأنه مستقبلهم الحتمي...صحيح .. في البداية يحجمون عن الاعتراف به لأنه يمثل اعترافا بالخروج من دائرة الحياة لكن كل يوم تترسخ تلك الحتمية لديهم ..

الرجل الثاني: (يضحك) الشباب يزوروننا... لقد باتوا يزوروننا.. (ينظر للرجل الأول ويمط شفتيه وهو يحيطهما بأصابع يديه) الشباب يزوروننا .. يزوروننا.. (يرفع صوته)..

الرجل الأول: لا داعي لأن ترفع صوتك..إنني أسمعك ولكنك تبدو أخرسا بشكل مثير للملل...

الرجل الثاني: (يكرر الأمر) الشباب يزوروننا ... اقرأ شفتي.. (يمد أصابعه ويلوي شفاه الرجل الأول الذي يبعد رأسه منتفضا).

الرجل الأول: لا تلمسني بيدك المتعفنة هذه..كدت أن اتقيأ منهما.. أنك تدخل أصابعك في أنفك وتفرك بها منخريك لتخرج قشور المخاط الجاف .. لا تقرب أصابعك من فمي...هل فهمت..

الرجل الثاني: لم أندم لأنني عملت هنا .. من قال انني ندمت؟ أنت تتوهم كالعادة...تحاول إغتيالي أدبيا أمام السيدة... كنت موظفا من الدرجة الأولى أو ربما الثالثة..لا أتذكر حقا هل تمت ترقيتي أم لا؟ لكنني كنت موظفا كفئا... الشباب يزوروننا...لكن ليس بحسن نية.. هم يحسبون أننا بلهاء..يأتون بمشاريع وهمية ويطلبون منا مخاطبة الحكومة لدعم مشاريعهم .. نحن لسنا بنكا ولا جهة خيرية...إنهم يعكسون تردي وضع الدولة بشكل حاسم..أليس كذلك..

السيدة: (يبدو عليها القلق ..تكتب وتقرأ) لم أفهم؟ ماذا تقصد أنهم يرغبون في تمويل مشروعاتهم؟ هل هم شباب وليسوا معاشيين..لماذا يأتون إليكم.

الرجل الأول: (يقرأ كتابة السيدة وعيناه تتسعان بجزع ثم يمد يده مطبقا على فم الرجل الثاني) ماذا قلت يا أحمق..هذه اسرار .. ستوقع بنا بلسانك الخفيف هذا.. عليك اللعنة..

الرجل الثاني: (يحاول التملص من يد الرجل الأول وينجح أخيرا في ذلك) لو كررت هذا الفعل الشنيع فسوق أضربك علقة ساخنة.. هل تفهم..أنا أحذرك...

الرجل الأول: (يأخذ الكراس من السيدة ويكتب وهو يقرأ) لا تتحدث عن أسرار العمل عليك اللعنة.. ستوقعنا في ورطة...هذه صحفية ..تذكر هذا الأمر..

الرجل الثاني: (يتراجع مستندا على مقعده بخوف) اللعنة .. لقد نسيت ذلك تماما... لقد انجرفت كعادتي وراء الحديث غير الموزون.

السيدة: (تبدو عليها علامات الاهتمام وتأخذ الكراسة من الرجل الأول وتكتب) هل هناك فساد في هذه المؤسسة؟

الرجل الأول: (يتحدث بجزع) لا يوجد فساد يا سيدتي..لماذا نفسد...لم يعد لدينا ما نصبوا إليه في هذه الحياة سوى أن نمضيها بسلام. (ينظر للرجل الثاني بعينين واسعتين ثم يغمز له بجدية)..

الرجل الثاني: (يحاول التماسك) القضية ليست فسادا يا سيدتي..

السيدة: (تكتب وتقرأ) ما قصة تمويل المشاريع هذي؟

(ينظر الرجلان نحو الفراغ بأعين ناعسة ويصمتان)

السيدة: (تزداد انفعالا وهي تكتب).. عليكما أن تتحدثا .. هل أنتما خائفان؟ هل هناك من يهددكما؟.

(يظل الرجلان في موضعهما)..

السيدة: إن لم تخبراننني فسأطالب بلجنة مراجعة وتحقيق.

(يظل الرجلان في وضعهما)..

السيدة: أنتما لا تفهمان أنني صحفية... هل تعلمان ماذا أعني بصحفية؟ أنا لا ألعب.

(يصدر شخير من الرجل الثاني فتنظر له السيدة باستغراب ، ثم يتلوه شخير الرجل الأول فتنظر إليه أيضا باستغراب .. يسقط رأساهما على صدريهما وهما نائمين).

السيدة: تتظاهران بالنوم...حسنا سأكتب تقريرا بالفساد الذي ينخر اتحاد المعاشيين هذا... صدقاني..

(تخرج غاضبة)...

(يفتح الرجل الثاني عينا واحدة ، ثم يتبعها بالعين الثانية ، بفعل الرجل الأول ذات الأمر.. يظلا صامتين قليلا ثم ينظرا لبعضيهما.. ينفجران بالضحك ، يمد الرجل الثاني كفه فيصفقها الرجل الأول بكفه أيضا علامة على النصر).

الرجل الأول: سنكون محط الأنظار لأسبوعين أو ثلاثة..

الرجل الثاني: صحيح...كيف واتتك الفكرة الأخيرة بهذه السرعة؟

الرجل الأول: كان كل شيء يصب في هذه النهاية...

الرجل الثاني: كان هذا يوم عمل شيق...

الرجل الأول: نعم هو كذلك.. يبدو لي أن العالم الخارجي لازال مستمرا في أوهامه... لا زال مؤمنا بالصراع على نحو ما....

الرجل الثاني: يبحثون عن الدهشة...

الرجل الأول: الحمقى وحدهم من يندهشون في هذا العالم..

الرجل الثاني: صدقت..الحمقى ومنعدمي التجارب من الأطفال...

(يعود الرجل الأول لغمس طقم اسنانه في كوب الماء ويعود الرجل الثاني للقراءة من الصحيفة وهو يقرب وجهه من ورقها بعينين ضيقتين).

(ستار)

الشخصيات:

الشابة

العجوز

الصوت الذكوري

المسرح:(خال الا من أريكة حجرية عليها إمرأتان إحداهما في منتصف الثلاثينيات والثانية على أعتاب السبعين . الإضاءة تهبط مستقيمة من أعلى بحيث تسقط على رأس المرأتين فتحجب الظلال بعض ملامحهما).

الشابة: (تنظر باستقامة وبملامح جامدة) اييه... أعتقد أنني أبدو شاحبة الوجه.. لا أملك مرآة للتأكد..لكن إحساسي لا يخيب.

(تنظر العجوز اليها وتعود لتنظر في خط أفقي مستقيم)

الشابة: هل مررت يوما بهذا الشعور؟ هل شعرت يوما أنك شاحبة أو قبيحة رغم أنك لم تشاهدي وجهك...كم يبدو إحساسا غريبا..

العجوز: لم تكن الفتيات أيامنا يخرجن بغير مرآة .. كم هذا الجيل مدلل..لا أعرف ان كان دلالا أم افراطا في الثقة بالنفس ..أم أن دعاوي النسويات قد وجدت بالفعل سوقا رائجا لها في أدمغتكن الخفيفة التي تصدق كل ما هو شاذ عن الطبيعة البشرية السوية..

الشابة: الحقيقة لم أنظر لوجهي منذ اربع وعشرين ساعة..لا أعرف كيف نسيت مرآتي..

العجوز: أيامنا اضطرت مصانع الحقائب النسائية للصق مرآة صغيرة في الحقيبة...كنا سعيدات بهذا الاختراع... لكنكن اليوم تصدقن أن الرجل كائن تافه وأن المرأة عليها ألا تكترث برأيه فيها..وهذا خطأ..

الشابة: أنا شخصيا أكترث...اعتقد أنني لن أغامر بسعادتي من أجل أفكار النسويات المسترجلات..

العجوز: هذا حسن...

(صمتٌ لنصف دقيقة)

العجوز: لستِ شاحبة على أية حال..

الشابة: (تبتسم) .. هل تخشين الزمن؟

العجوز: فيما مضى... لكل سن هرموناته..

الشابة: كيف ذلك..

العجوز: الطبيبات كن يقلن ذلك ..في المراهقة قالت لي اخصائية اجتماعية أن عشقي لاستاذي ناتج عن نشاط هرموني... في الثلاثينيات حين تأخر حملي قالت لي طبيبة ذلك أيضا..وحين استئصلت الغدة الدرقية قال لي الطبيب ذلك.. وعند سن ما يسمونها باليأس قالوا لي ذلك..وحين بدأت أقرف من ملامسة الذكور قالوا لي ذلك.. والبارحة فقط قالت لي الطبيبة ذات الأمر...

الشابة: (تتسع عيناها وهي تنظر للأفق) مدهش...يقول خطيبي بأنني متقلبة المزاج..أنا فعلا متقلبة المزاج ..

العجوز: هرمون..

الشابة: أحيانا اشتاق لخطيبي..

العجوز: هرمون..

الشابة: وأحيانا أمقته..

العجوز: هرمون أيضا..

الشابة: وأحيانا أكره العالم كله..

العجوز: هر...مون..

الشابة: (يتهدج صوتها وتخنقها العبرة) وأحيانا أحب الخروج من المنزل..

العجوز: هرمون .. هرمون .. هرمون..

الشابة: (تبكي) أحيانا أبكي ..

العجوز: هرموووون يا عزيزتي...نحن النساء كائنات هرمونية...

(تلتفت نحو الشابة وتحدجها بنظرة وهي ترفع حاجبيها) لا تبكي يا صغيرتي..

(تغطي الشابة وجهها بيديها وتنخرط في البكاء)

(تدير العجوز رأسها ناحية الجمهور وتنظر للأفق قبالتها بجمود امبراطوري).

الشابة: (تكفكف دمعها وتستنشق مخاط أنفها) الحديقة صامتة...صامتة جدا..

العجوز: مع أني أراها صاخبة..

الشابة: (تلتفت للعجوز بدهشة) كيف ذلك...لا أحد هنا سوانا..

العجوز: (تقول بصوت خفيض) ذاكرتي تحمل صورهم كلها عندما كنا نلتقي هنا..أراهم الآن يزحمون الحديقة بالحركة والضحكات..كما لو أنهم تجسدوا بتقنية الهولوغرام..

الشابة: (تزرع أصابع يدها في شعرها) غريب...

العجوز: ليس غريبا..

الشابة: كيف ذلك؟

العجوز: هرمون يا عزيزتي هرمون...

(صمت)

الشابة: لديك قصص كثيرة من ذكريات ثرة..

العجوز: أعتقد ذلك..

الشابة: أنا لا أملك الكثير من القصص.. تجربتي في الحياة فقيرة..

العجوز: قصة واحدة قد تغنيك عن باقي القصص يا بنيتي..وآلاف القصص قد لا تعني أي شيء..

الشابة: كم أنت حكيمة..

العجوز: (تتأوه)..آه..ربما..

(تفتح الشابة حقيبة صغيرة وتخرج زجاجة عطر صغيرة تبخ منها تحت أذنيها تباعا)

الشابة: هل ترغبين في التعطر..

العجوز: لا شكرا..

الشابة: سمعتك تقولين أنك تشمئزين من ملامسة الذكور...هذا مدهش..

العجوز: هرمون كما قلت لك.. لا شيء حقيقي... كل سن ولها هرموناتها... في الشباب تحلمين بشفاة رجل وفي المنتصف بأمان رجل .. وفي الكهولة تقرفين حتى من مصافحة رجل..وفي الشيخوخة .. تفضلين وجود رجل قربك حتى لا تموتي وحيدة.. لا شيء حقيقي يا عزيزتي..

الشابة: (بدهشة) لا شيء حقيقي؟!!!

العجوز: لا شيء حقيقي..

الشابة: هذا مرعب..

العجوز: لا شيء حقيقي...

الشابة: (تدير رأسها متأملة المكان) الحديقة ليس فيها شيء...لماذا يسمونها حديقة وهي بلا زهرة واحدة بل وبلا عشبة خضراء واحدة...البلدية تأخذ رسوم العناية بها..فبماذا يعتنون إذا لم يكن بها ما يعتنى به أساسا...

العجوز: (تستمر في نظرتها الجامدة الإمبراطورية) إنهم فقط يذكرونك بوجودها..

الشابة: تقصدين وجود الحديقة؟

العجوز: بلى..يكفي أن تتذكري بأن هنالك حديقة في هذا المكان لتشعري بالراحة...

الشابة: (بصوت خفيض) صحيح.. (تستدرك) ولكن.. لا يوجد حديقة..

العجوز: لا أعرف..يبدو أن هناك حديقة.. يقولون دائما أن هناك حديقة..

الشابة: نعم يقولون ذلك.. حقا .. ربما تكون هنالك حديقة.. ربما هذه حديقة فعلا...أليس كذلك..

العجوز: ربما... ستمطر بعد قليل..

الشابة: هذا فصل الصيف...

العجوز: ستمطر بالرغم من ذلك...للأرض هرموناتها هي أيضا...

الشابة: (تسمع رنين هاتفها داخل الحقيبة الصغيرة؛ ترتبك وتفتح الحقيبة بتوتر) ألو...حبيبي..صباح الخير...أرسلت لي رسالة (باستغراب) .. لا .. لم افتح الانترنت بعد.. لماذا ظننتني غاضبة... لا أنا لا أغضب من حبيبي أبدا...ها... حسن.. سوف أعود للمنزل واتصل بك من هناك...في الحديقة..نعم.. رغبت في الجلوس فيها.. نعم بدون سبب محدد... أها...استيقظت بنفسيات محبطة قليلا...الحديقة التي قبالة عمارتنا... ها؟ ..كيف ذلك...

(يظلم المسرح أثناء حديث الشابة مع حبيبها... تعود الإضاءة لتكون الفتاة وحدها)..

الشابة: هناك حديقة قبالة عمارتنا يا عزيزي... نعم متأكدة.. كيف لم ترها من قبل.... بل حقيقية ولا أتوهم.. (بصوت غاضب) لست مجنونة...ومعي صديقة لطيفة.. (تلتفت فلا تجد العجوز)..يبدو أنها غادرت...أنظر من حولي بالفعل.. لا ...لا ارى زهورا... لا لا أرى عشبا أخضر ولا حتى أصفر.. نعم مع ذلك فهذه حديقة...(تتحدث بصوت مرتعش) أنت ترعبني يا حبيبي... (يتهدج صوتها) أرجوك لا تفعل ذلك... أرجوك...

(يأتي صوت ذكوري من سماعة الهاتف)

الصوت الذكوري: يا سيدتي أنا لست حبيبك.. هذه نمرة الطوارئ ..هل تشعرين بخطب ما..

الشابة: (تبعد الهاتف عن أذنها وتحدق فيه بعينين غاضبتين ومندهشتين) .. ماذا تعني أنك لست حبيبي... ماهذا الهراء.. عن أي طوارئ تتحدث...

الصوت الذكوري: حسنا سيدتي..أرجوك أن تهدأي قليلا..أريدك أن تغمضي عينيك وتتنفسي بعمق... (تغمض عينيها وتتنفس بعمق)...الآن هل يمكنك الاستلقاء على الأرض... (تستلقي على الأرض)... اصلبي يديك على صدرك .. (تصلب يديها على صدرها دون أن تتخلى عن الهاتف)... والآن .. استلقي على جنبك الأيمن... (تستلقي على جنبها الأيمن).. هل تشعرين بتحسن؟ (تهز رأسها وهي تعض شفتيها باكية) .. هل تشعرين بتحسن يا سيدتي..

الشابة: (تبكي) نعم...أشعر بتحسن...

الصوت الذكوري: الآن حاولي أن تفكري في قصة جميلة...

الشابة: (تستمر في البكاء) حسنا..ولكني لا أملك قصة جميلة ...

الصوت الذكوري: ليس بالضرورة أن تكون حقيقية يا سيدتي...

الشابة: (تجهش بالبكاء)...

الصوت الذكوري: هل أنت بخير سيدتي..

الشابة: (تحاول التماسك).... قليلا..أنا بخير قليلا...

الصوت الذكوري: يمكنك العد إلى مائتين إن لم تكن لديك قصة جميلة.. خمسة عشر دقيقة على أقصى تقدير وسنكون معك...

الشابة: حسنا..

(يسمع صوت تكة اغلاق الخط ، تلقي الشابة بالهاتف وتعض شفتيها وتبكي بصمت...)..

الشابة.. واحد..اثنان .. ثلا...ثة...أر...ب .. عة ...

(ستار)

مونودراما راقص الماساباي – مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

رجل يحتضر

ملقن

"المسرح: غرفة بإضاءة خافتة جدا؛ نافذة في المنتصف تنحدر من زاويتيها ستارتان حريريتان قرمزيتان. صورتان مبروزتان معلقتان على يمين ويسار النافذة. خلف النافذة ينعكس ضوء القمر الأبيض المشرب بزرقة. وهناك أصوات صراصير الليل.

تحت النافذة سرير وثير يرقد عليه رجل عيناه مغمضتان وفمه مفتوح. وإلى جواره رجل على الكرسي. يرتدي جلبابا أفريقيا تركوازي ولامع. ويضع على رأسه قبعة أفريقية مزركشة بالألوان ولديه لحية صغيرة وهو ملقن المحتضرين.

الملقن: (يهمهم ببعض التراتيل غير الواضحة)..

(يبتلع الراقد غصة في حلقه دون ان يفتح عينيه ودون أن يغلق فمه)..

كالعادة (يهمس لنفسه) إنهم يموتون فجرا.. يحتضرون عند الغروب ثم يلفظون أنفاسهم فجرا.... (ينظر لساعته) لم يتبق للفجر الكثير .. (ينظر للأمام)...إن مهنتي ككاهن ملقن مهنة ممتازة... (ينظر للرجل الجاثي) أهلك استأجروني لكي أنقل روحك بسلام إلى العالم الآخر...(يعود للتحديق تجاه الجمهور).. هذا جيد...علي أن أتلو على مسامعك التي لا أظن أنها تسمع الآن بعضا من جمل الكتب المقدسة.. إنني أحفظ الكثير منها ..بوذية ومسيحية وخلافه .. هذا عملي .. فكما هناك تجار حياة وتجار دين وتجار شعارات ثورية وتجار آيدولوجيات وتجار حرب فهناك أيضا تجار للموت... في الواقع من الذي لا يمارس التجارة؟ لا أحد .. كلنا نتاجر بما نملكه من مؤهلات ولذلك فتجارة الموت ليست استثناء أخلاقيا.. على العكس..في الواقع لماذا يسمونها تجارة...لو أسموها شيئا غير التجارة..ربما.. ربما إسما يعكس لا أخلاقية معينة لكان أفضل.. التجارة عطاء وأخذ...لكن تجار الدين والسياسة ماذا يعطون..انهم لا يعطون شيئا..ربما

يعطون الوهم..نعم كهوليوود مثلا التي تبيع الوهم..ككتاب التنمية البشرية .. كالكتب المقدسة... كالغناء العاطفي .. كالحديث عن الحرية والعدالة والديموقراطية... يبدو لي أنني استطيع الاستمرار طويلا في سرد بيع الوهم للبشر... إن أهم ما يشتريه الانسان هو الوهم وإلا غاص في كآبة العدمية.. بل حتى العدمية نفسها صارت موضوعا هاما للتجارة...إنها مواز لموضوعة العالم الآخر..أليس كذلك.. دعني لا أضيع الوقت في هذه الترهات ولأرى إن كان بؤبؤا عينيك قد تمددا أم لا زلت حيا (يفتح جفني الرجل ويحدق فيهما عن كثب).. أها.. يبدو أنك لا زلت حيا..جيد.. ليس أمامي الكثير أو في الحقيقة ليس أمامك الكثير...لكن بدلا عن أن أسرد عليك نصوصا مقدسة كئيبة لماذا لا أسمعك قصصا ألطف من ذلك..في كل الأحوال ستذهب عما قريب لتتأكد بنفسك من حقيقة هذه الغيبيات .. في الواقع ..ما عاد بمقدورك الآن أن تتراجع .. لقد قضي الأمر.. ألا تتفق معي إذن أن من الواجب عليك –كجينتل مان– أن تثبت على مواقفك الماضية وتتلقى الحقيقة المطلقة بثبات وصدر مفتوح لكل العواقب...إن الأبطال يفعلون ذلك.. يبتسمون وحبل المشنقة يلتف حول رقابهم...لأنهم في تلك اللحظة الحاسمة عليهم أن يثقوا في خياراتهم الماضية.. لو بكوا لكان ذلك اعلانا منهم بأن طريقهم كان خطأ.. وأنهارت بطولاتهم تماما كما فعلت جان دارك...في تلك اللحظة اختارت جان دارك أن تكون عقلانية .. لكنها اخطأت.. ففي تلك اللحظة بالذات كان عليها ألا تكون عقلانية أبدا.. كان عليها أن تختار الاستمرار .. الاستمرار في خيارها الوهمي بأن تكون قديسة وصوتا للرب...لكنها اخطأت..يبدو لي أن عوامل سياسية هي التي أفضت بترسيمها قديسة بعد حرقها...على أي حال فهذا ليس مربط الفرس...لأكون أمينا في عملي فعلي أن ألقنك تعاويذ دينية يا سيد...لكن كلما نظرت إلى وجهك الشاحب أخذتني شفقة كبرى من أن ألوث سمعك بمزيد من أكاذيب الحياة...فأنت تغادرنا الآن الى اللا شيء.. نعم...لست متأكدا من كلمة اللا شيء هذه كما لست متأكدا من كلمة شيء نفسها لكنني سأكون أمينا وعطوفا معك لذلك ربما سأخفف عنك ثقل ما يحدث لك الآن من انهيارات بايولوجية تبدو تماما كالاكرشيندو ..صوت صفقة باب متسارعة جراء الريح أو الأشباح يتبعها صمت كئيب... أعلم انك مستغرب من استخدامي لكلمات ذات خلفية موسيقية ولكن سوف تزول دهشتك حين تعلم أنني كنت رئيسا وراقصا في فرقة الماساباي بل وطبالا في تلك الفرقة..كان هذا خياري في الحياة وكان خيارا مدهشا لأنني عشت سعادة غامرة خاصة بعد أن تزوجت أجمل راقصة في الفرقة.. زوجتي التي جمعت بين الذكاء والجمال وهذا نادر في

النساء...أتذكر أنها أيضا كانت رومانسية جدا .. ففي مساء يوم ما عدت إلى المنزل ووجدتها توقد شمعة فوق طاولة .. فجلست اليها.. لقد أمسكت بيدي وقالت: أيها الراقص البائس كم أحبك... حينئذ انطفأت الشمعة فقالت لي: أين ذهب ضوء الشمعة؟ أجبتها: لقد انطفأت يا حبيبتي هذا كل مافي الأمر.. قالت: وأين ذهب الضوء؟ فكرت قليلا وأجبتها: ذهب حيثما ذهب..لا أعلم انا لست كيميائيا ولا فيزيائيا...حينها قالت: عليك أن تعرف يا راقص الماساباي المسكين...ثم تركت يدي وغادرت المنزل بغير رجعة...بحثت عنها لكنها اختفت تماما ويبدو أن تلك الليلة كانت ليلة وداع رومانسي...وبكبرياء ذكر جريح بدأت البحث عن إجابة لسؤالها..قرأت كتبا كثيرة عن النار.. النار التي نقول بأنها انطفأت.. لكن كيف انطفأت وما معنى ذلك....كيف انتهت كل تلك التفاعلات ثم تبخر الضوء الساطع هكذا فجأة كأنه لم يكن...لم أجد اجابة حاسمة.. أين ذهب ضوء الشمعة؟ قرأت عن التأين .. عن الغازات .. عن البلازما.. فيزياء الكم ...لكن لم يقنعني أي شيء...لقد كان هناك مبدأ مقدس لدى الجميع إنه لا شيء يفنى ولا شيء يستحدث من العدم...لكن... ألا يتخلخل هذا المبدأ كل يوم...المهم.. وحتى لا أضيع وقتك الثمين في سرد ما أجهله في هذا الكون الفسيح دعنا نستفيد من الوقت ونتحدث عن أشياء جميلة نعلمها...أشياء بسيطة ولطيفة .. دعني أحدثك عن رقصة الماساباي.. لقد بدأت هذه الرقصة في حقول قصب السكر .. كان أجدادنا العبيد رجالا ونساء يرقصونها قبل العمل لتنشيط الدورة الدموية.. إنها رقصة غريبة .. فمن يعلن بدايتها هو أصغر العبيد .. كان حينما يصيح: الماسا .. أي الرقص .. يبدأ الجميع في التحرك ببطء شديد... كانوا بالمئات رجالا ونساء وأطفالا شبابا وكهولا وعجائز....اخبرني جدي بأنه كان يشعر بالرعب حين يشاهد كل العبيد يتحركون حركات بطيئة جدا.. كان طفلا بريئا ... بعدها تتسارع الحركات رويدا رويدا ثم تنقلب إلى سرعة جنونية .. يقول جدي أنه كان حينئذ يضحك لأن مؤخرات الرجال وأثداء النساء كانت تهتز بقوة...وحينها يصيح رئيس العبيد (باي).. فتنتهي الرقصة وينتشر الجميع داخل مزارع القصب...قال جدي أن الدماء تتحرك وتنشط داخل عروقهم بسبب تلك الرقصة الصباحية الغريبة...لذلك انشأت فرقتي الصغيرة ثم توسعت بعد ذلك...بالتأكيد طورت الرقصة بحيث أصبحت أقل عفوية مما كانت عليه .. أصبحت البداية أكثر بطئا وأكثر إخافة للكبار قبل الصغار ... جعلت عيون الراقصين تنفتح على اتساعها دون أن ترمش .. وخلفية الطبول المتحمسة ترفع الادرنالين في الدم...لقد جاء الأجانب ليشاهدوا رقصتنا التراثية وأعجبوا بها

والتقطوا معي ومع بقية الراقصين الصور...لقد كتبت صحفية متفلسفة عنها في إحدى المجلات العالمية..مانشيتا عريضا (من حقول القصب قصة الانسانية).. لا أعرف ماذا عنت بقصة الانسانية فلم استطع ترجمة كل التحقيق الصحفي .. شاهدت صوري وانا ابتسم كأبله.. ثم تلقيت جوائز مالية وأدبية وعروضا للسفر .. أحسست حينها أنني حولت أجدادي إلى قرود في قفص بحديقة حيوانات...مقابل اثارة دهشة هؤلاء فقط ... زوجتي رفضت ذلك وقالت أن هذا فن والفن لغة عالمية...لكنني أصدق احساسي أكثر من الفلسفة...وبعد أن هجرتني وقفت أمام الراقصين وقلت لهم: أيها الراقصون..إنني كرئيس لهذه الفرقة أعلن التنحي عنها...فاختاروا بكل ديموقراطية رئيسكم الجديد... لقد اختاروا رئيسهم ولكن بدون أي ديموقراطية..لقد ضربوا المرشح المنافس حتى أشرف على الموت ثم طردوه رغم أنه كان أبرعهم في الرقص وربما كان ذلك هو سبب حسدهم له...المهم وحتى لا أضيع وقتك المتبقي وأنا أرى عقارب الساعة تقترب من الفجر حيث تودع هذا العالم.. سأضطر لاختصار القصة..لقد قام رئيس الفرقة الجديد بجلب تبرعات سخية من رجال الأعمال ثم تحول الرقص الى رقص الهيب هوب تقريبا ... وبدأت الفرقة في تقديم اعلانات التلفزيون الصاخبة ... لقد ماتت رقصة الماساباي ولم يتبق منها سوى الاسم فقط...ماتت ككل شيء في هذا العالم...واذا كنا نعزي أنفسنا بالانجاب وكان هذا عزاءا وهميا فإنني أعزي أجدادي ببقاء إسم رقصتهم .. لكن ربما أقول كما قال فويرباخ: حين تكون أنت كل شيء ، لذلك فعندما تموت ، لا يكون ثمة شيء.. ، ليس ثمة شيء يا عزيزي.. لا اسم ولا حتى مؤلفاتك الأدبية ولا حتى اختراعاتك السابقة... أين يذهب ضوء النار؟ .. لا زلت اجهل ذلك..(يصمت لبرهة).. (يتأمل وجه الرجل الجاثي.. يمد أصابع يده ويشد جفني الرجل) لم يتمدد بؤبؤاك بعد..لا زلت تقاوم... جيد..علي ان اكون كاهنا مخلصا لعملي.. علي أن ألقنك ما قالته الكتب المقدسة...لكنني أيضا علي أن أكون أخلاقيا قليلا لأن الكتب المقدسة لم تقل شيئا ذا بال.. ما تقوله ليس سوى تكرار ممل لما قاله الكهنة منذ انسان النياندرتال قبل اربعمائة وخمسين ألف سنة.. لذلك فأخلاقي تمنعني كملقن من أن ألقنك ما تعلمه مسبقا من أكاذيب.. أو ربما خيالات وآمال وطموحات بشرية قديمة ومستمرة.. لكنني سأخبرك بقصة بسيطة وهي أنني قبل أيام فقط..شممت رائحة عفنة في مطبخي...وبعد بحث صعب وجدت جثة فأر ضخم .. يمكنك أن تطرح سؤال الوجود على البشر لكن يبدو سخيفا أن تسأل عن موئل الحيوانات النافقة...إنه سؤال شبيه بسؤال زوجتي قبل أن تهجرني: أين يذهب ضوء الشمعة؟ لقد طرحت علي سؤالا

غبيا وخبيثا جدا في لحظة اعتقدت أنها لحظة رومانسية..لقد خدعتني وتركتني تائها في البحث عن إجابة سؤال هي نفسها لم تكن تعلم إجابته.. شاهدتها وهي تجمع أغراضها وتغادر وأنا غارق في البحث عن إجابة السؤال.. أين يذهب ضوء الشمعة يا ترى.. ذهبت الى قوقل وطرحت السؤال .. فتشت ولم أجد إجابة واضحة كانت كل إجابة تحيلني إلى علم آخر من العلوم الفيزيائية والكيميائية بل وحتى الاحصائية والرياضية .. غرقت في رموز لم اسمع بها من قبل.. ماهو الضوء وكيف يختفي وأين يختفي.. غرقت في مسميات غريبة..جسيمات.. موجات.. كواركات.. خزعبلات كثيرة.. جعلتني أعيد النظر في رؤيتي للحياة... إن الاسئلة البسيطة أكثر تعقيدا مما نظن...أين ذهب الفأر الميت وأين ذهب الضوء وأين ستذهب أنت بعد قليل يا سيدي؟..ليس علينا أن نجد إجابة حاسمة..فلا توجد إجابة حاسمة إلا إذا اعتبرناها نحن كذلك.. يمكنك أن تذهب إلى لا شيء كما قال فويرباخ أو تذهب إلى كل شيء كما تقول الكتب المقدسة..إن هذه الإجابات كلها متساوية في نظري... وعلينا أن نكتفي بذلك المجاز الرخيص حينما نسأل ذلك السؤال: أين يذهب ضوء الشمعة؟ إنه ينطفئ فقط..ألا تبدو لك إجابة واضحة وغير معقدة... تنطفئ فقط..أنت تنطفئ .. (يرفع رأسه عاليا..) لقد حضر الفجر (يمد أصابعه ويشد جفني الرجل الممدد).. لقد تمدد بؤبؤا عينيك...حسنا... سأتلوا عليك بعض التعاويذ المملة الآن..فاستعد..

(ستار)

الشخصيات:

رجل الأعمال

الساعي العجوز فتحي

رجلا الأمن

ضابط الشرطة

الشرطيان

المسرح: (لا شيء)...

(يدخل السيد رجل الأعمال ويضع كرسياً ثم يعود ويضع كرسيين قبالة بعضهما ... يجلس على الكرسي الأول ويرفع قدمه اليسرى على الكرسي الثاني ، يرتدي بدلة ورابطة عنق ويتحدث عبر هاتفه الجوال بسرعة)

رجل الأعمال: لن أنتظر حتى تصل شحنتك من الصين... أنا لن أتحمل اخطاءك يا سيد...سأمنحك حتى مساء الغد إن لم تورد غطاء للشيك فسأقدمه للنيابة. (يقفل الخط ويرفع جوالاً آخر) انتظرني دقيقة لا تقفل الخط.. معي شخص آخر... لا لا لا تغلق الخط احتاجك ضروري جدا .. ألو .. اسمع معي اتصال آخر أغلق وساعاود الاتصال بك.. اهلاً نعم...هل التقيت به.. حسناً .. كلام طيب .. سأنجز له خطاب الاعتماد غداً ... مليون ومأئتا ألف دولار ... (يدخل رجل عجوز يحمل كوب شاي فيضعه على الكرسي الثالث ثم يهم بالخروج) عم فتحي... (يشير للعجوز الذي لا يسمعه بل يخرج مباشرة) لماذا قمت بتعيين هذا الأطرش الذي لا يسمع... (يواصل حديثه في الهاتف بسرعة)...نعم..خطاب معزز يا سيد... نعم... وبمجرد تنفيذ العقد يتم تسييل الخطاب..القضية محسومة.. حسناً سأحدثك في وقت لاحق (يخرج هاتفا ثالثا ويرد عليه).. أنت مستشاري القانون يجب أن تطعن في قرارات وزير التعدين..هذه القرارات ستسبب خسائر بالملايين لنا وحتى للدولة... ركز على الدولة...حسناً (يرفع الهاتف الأول) لن نستطيع شراء عملة حرة بعد السياسات الجديدة..حاول أن تنجز بسرعة لا نملك الكثير من الوقت...حدد ميعاداً لنجتمع بالرئيس في أسرع وقت... (يرفع الهواتف الثلاثة ثم ينظر لها

فجأة).. ما هذا؟؟؟ (برعب) ماذا أفعل...؟؟؟؟ هذا ليس طبيعياً بالمرة....(ينهض من الكرسي ويسير ببطء وهو يتأمل السماء) إن حياتي تضيع مني وأنا ألهث وراء العمل..عمل ..عمل ..عمل... إلى أي شيء سأصل؟؟؟ هذا جنون... أين حياتي (يقبض بأصابعه على جبهته.. ينظر للهواتف بجزع).. لن أستمر... فلتذهب الأموال إلى الجحيم... (ترن أجراس الهواتف الثلاثة في وقت واحد وتصدر ضجيجاً عالياً)... اللعنة... ثم ماذا بعد... هل أموت .. هكذا بلا معنى... هكذا ... لكن... أين البديل... إنني لا أملك بديلاً ... علي أن أعيش.. علي أن أشغل عقلي وزمني بشيء...شيء يشتت انتباهي عن حقيقة العدمية.... لا شيء سوى العمل ..العمل..العمل...لكن..كل هذا هراء ... كل متعي الناقصة في الحياة التي لم تصل يوماً لنهايتها...إنهم يقولون أن هناك جنة...لكن...لا أحد منهم رآها .. لا أحد أكد وجودها... مجرد جمل لغوية.. جمل تحسم الظنون بلا أدلة ... تفرض علينا أن نتلهى بوعود ما بعد الموت...ولماذا كل هذا؟؟؟... (تستمر أجراس الهواتف في الرنين بإزعاج)... إنني مرهق جداً.. مرهق ويجب أن أعترف بأنني بت أشعر بالعبثية المطلقة كلما جاءتني رسالة من البنك تخبرني بنزول مليون دولار في حسابي... هذه الأموال الخضراء الشاحبة التافهة....إنها لا تعني شيئاً... لا تعني شيئاً... فما معنى هذه الحياة البائسة؟؟؟ (يدخل العجوز فتحي ويقف أمام الكرسي الذي عليه كوب الشاي)...

العجوز فتحي: لم تشرب الشاي يا سيدي...

رجل الأعمال: إنني أمر بلحظة غريبة فعلا... لحظة انتباهة مخيفة.... إنني أمضي نحو الموت...ولا طعم لهذا الوجود المتعفن...

العجوز فتحي: آآآآآآ... لم تشرب الشاي سيدي..هل هو سيئ؟

رجل الأعمل: (يلتفت خلفه حيث العجوز فتحي).. فتحي.. فتحي..(يمسك بكتف العجوز).. لماذا تعيش يا فتحي؟؟؟

العجوز فتحي: أرجو أن ترفع صوتك قليلا يا سيدي فأنت تعلم ضعف السمع عندي...

رجل الأعمال: (يقرب فمه من أذن العجوز ويصرخ) لماذا تحيا...ما الذي يدفعك إلى الحياة؟؟؟

العجوز فتحي:.. لم أفهمك سيدي.. هل أنت غاضب مني..؟؟؟ أدركت ذلك عندما وجدت كوب الشاي ممتلئا حيث لم تقربه...أنت تعرف أنني صرت عجوزاً واقترب من الموت .. لذلك لم أعد

ساعياً شاطراً كما كنت في شبابي...حتى عندما أتذوق كوب الشاي لكي أعرف إن كان جيداً أم لا قبل أن أقدمه لك ..لا أشعر بشيء..

رجل الأعمال: (بغضب) هل كنت تتذوق كوب الشاي قبل أن تقدمه لي طوال هذه السنوات؟ ألا تعرف أن هذا مقرف.. اللعنة...

العجوز فتحي: (يحرك يديه باضطراب) لا لا .. أقسم لك يا سيدي.. يا إلهي ماذا فعلت؟؟ لقد زدت الطين بلة... كنت أتذوقه بالملعقة فقط يا سيدي.. أقسم لك..

رجل الأعمال: (بغضب أكبر) اللعنة يا رجل .. ثم تعود وتقلب الشاي بالملعقة... يا للقرف يااااللقرف... لقد انقلبت أمعائي من القرف... لا يمكنك أبدا أن تأمن سلوكيات الطباخين والسعاة القذرة...لا يمكن...(يوجه حديثه للعجوز فتحي).. أجبني بصراحة يا فتحي .. طوال كل تلك السنوات كنت تفعل ذلك.. أخبرني بصراحة وقل لي أنك لم تفعل...؟؟؟

العجوز فتحي: (بجزع) لم أفعل .. لم أفعل ...

رجل الأعمال: ولكنك تكذب الآن .. قلت لك بصراحة...

العجوز فتحي: (يتجهم وجهه من الحزن) حسناً سيدي لقد فعلتها..(يجهش بالبكاء ويصرخ) ولكنني لم اكن أعرف أنها عمل دنيئ إلى هذه الدرجة...كيف لي أن أعرف يا سيدي...

رجل الأعمال: (بغضب) ولكنك يا فتحي لا يمكنك أن تشرب فضلة أحد غيرك.. هل تفعل؟ ها.. إخبرني بصراحة...

العجوز فتحي: (يتردد خائفا) .. أنا... فضلة ... أشرب... ماذا...

رجل الأعمال: (يتراجع إلى الخلف بذعر وهو يغطي فمه بيده) يا إلهي.. يا إلهي... لا لا .. (يحرك سباباته) لا تخبرني أنك تفعلها... تفعلها ثم تتذوق كوبي وأشربه أنا من بعدك؟!!!

العجوز فتحي: (يبكي) اللعنة .. اللعنة... ماذا فعلتُ بحق السماء.. ماذا اقترفت... يا إلهي...

رجل الأعمال: (يهرول إلى الجدار المقابل ويتقيأ).. سأموت... (أنفاسه تنقطع وتعلوا) لن أتحمل تخيل ذلك.. إن كل قرف الدنيا يتجمع في حلقي ولساني الآن... لا .. لا ...

العجوز فتحي: (يجهش بالبكاء) لم أكن اعرف يا سيدي..صدقني لم أكن أعرف.. كم أشعر بالبؤس والشقاء....

رجل الأعمال: (يتمدد على الأرض مغمى عليه)..

العجوز فتحي: (يهرع إليه ويجثو بركبتيه قربه).. ماذا ألم بك يا سيدي... اللعنة .. يا إلهي... (يجهش بالبكاء) لن أسامح نفسي أبداً..أبداً... أرجوك يا سيدي.. أرجوك لا تمت... أرجوك...سامحني... لا تمت قبل أن تسامحني...(يرفع رأسه للسماء) أيتها السماء لماذا وضعتني في التجربة... لماذا جعلت نهاية حياتي كئيبة هكذا؟؟؟ أنا الذي كافحت لأحيا كإنسان بلا ظل ... لكي أتنفس دون أن تحرق أنفاسي ندى وردة جميلة... لماذا تجعلينني أقتل سيدي دون أن أدري... (يسمع صوت طرقات على الباب فيرفع العجوز رأسه بجزع)..يا إلهي... لقد أتى رجال الشرطة... رجال أمن الشركة ... وسيجدونه ميتا... رباااه... لم أقترف ذنبا من قبل غير هذا الذنب...ذنب لم أقصده.. أقسم لك أنني لم أكن أقصد أن أخطئ مثل هذا الخطأ الشنيع... (تزداد طرقات الباب عنفا .. فيرفع العجوز جسده ويتجه نحو الكرسي ويحمل شيئا وهمياً في يده).. سأذبح نفسي بفتاحة الأظرف هذه علَّ الموت يكفر عن ذنبي هذا (يبكي ثم يذبح رقبته ويسقط ميتا .. حينئذ ينفتح الباب ويدخل رجلا أمن الشركة فيهرعوا ناحية رجل الأعمال ويرفعوه)

رجل الأمن: سيدي.. ماذا أصابك... هل أنت بخير...

رجل الأعمال: (يمسك رأسه بألم..) يا إلهي... ماذا حدث... أشعر بصداع شديد...

رجل الأمن الثاني: يبدو أن العجوز فتحي قد حاول قتلك ثم ذبح نفسه...

رجل الأعمال: (يلتفت نحو رجل الأمن بملامح متقشفة) ماذا تقول..؟؟ بماذا تخرف يا ولد..؟؟

رجل الأمن: (يتلجلج).. لا أعرف سيدي.. ولكن.. ولكن هاهي تلك جثة الساعي العجوز ممدة على الأرض والدماء الغزيرة تسيل من عنقه وبقبضته سكينة فتح الأظرف...

رجل الأعمال: (تتسع عيناه ، ثم يهرول بسرعة ويجثوا قرب جثة العجوز ويصفع خديه) ماذا فعلت يا مجنون... انهض.. انهض .. لا تكن أحمقا.. (يصفعه مرات أخرى فيتدخل رجلا الأمن ويحاولا إبعاده وهما يمسكانه من ذراعيه)..

رجل الأمن: إنه ميت يا سيدي... علينا أن نخبر الشرطة... تأكد يا سيدي أننا سنشهد لمصلحتك..سنقول بأننا سمعنا صوت عراك في الداخل وعندما اقتحمنا المكتب كان جاثيا فوقك ويهم بطعنك بسكين فتح الأظرف ثم لما رآنا ذبح نفسه... أليست هذه هي الحقيقة يا سيدي...؟

رجل الأعمال: (تتسع عيناه وينظر للأرض بصمت)..

رجل الأمن: تمالك نفسك يا سيدي .. تمالك نفسك.. لقد كان جميع الموظفين يشعرون بأن العجوز فتحي قد فقد صوابه في الآونة الأخيرة...عليك أن تتماسك ولتكن أقوالنا موحدة.. (يلتفت لرجل الأمن الثاني) أليس كذلك؟

رجل الأمن الثاني: هذا صحيح..

(يخرج رجلا الأمن ويبقى رجل الأعمال وحيداً في ذهول عظيم)

(تمض برهة ثم يدخل ضابط وشرطيان مع رجلي الأمن)

الضابط: نحن نأسف لما لحق بك سيدي ... سيأتي رجال الأدلة الجنائية لتفحص مسرح الحادثة... لقد نجوت من هذا المجنون...

(يرفع الشرطيان ورجلا الأمن رجل الأعمال ويجلسانه على الكرسي .. يخرج أحد رجلي الأمن ويعود ليقدم كوب ماء لرجل الأعمال)..

رجل الأمن: إشرب .. إشرب سيدي... حتى تهدأ قليلا...

(يشرب رجل الأعمال ثم يبدأ في البكاء)

(يجلس قربه ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة: الآن إحك لي ما حدث بالتفصيل...

رجل الأعمال: (يبكي) لقد.. لقد داهمني فجأة من الخلف وهو يصرخ .. كان يصرخ بصوت عال وهو يحمل مشرط الأظرف فارتعبت.. وسقطت على الأرض .. ولم اشعر بشيء بعد ذلك...

(ستار)

الشخصيات:

الماحي

بعشوم

الصبي

"المسرح: شارع معبد يمتد بلا نهاية ولا بداية من يسار ويمين المسرح ، في المنتصف قليلا إلى يسار المسرح مرحاض عام عبارة عن صندوق مستطيل الحجم من الخشب عليه لافتة كرتونية مكتوب عليها "مرحاض عام" بقلم الحبر وبخط قبيح...على بعد متر هناك كرسي حديدي قديم وأمامه طاولة خشبية أحد أقدامها أقصر من الثلاث الأخريات ولذلك دعمت بطوبتين متينتين ، .. المكان صحراوي والاضاءة ساطعة.

من على يمين المسرح في مواجهة الجمهور يظهر "الماحي" وهو شاب طويل ونحيل يرتدي بدلة كاملة بأناقة شديدة وهي بدلة قديمة من طراز السبعينات حيث نجد قطع جلدية على الكوع والاكتاف وبياقات مثلثة كبيرة ويرتدي نظارة شمس عريضة مع شعر الخنافس.. يسير على حافة الطريق المعبد ليس مشيا ولكن بعرض جسده.. حيث يواجه الجمهور ومع ذلك يتحرك نحو اليسار بخطوات مرتبكة.. يخرج منديل قماش ويمسح عرقه وهو ينظر من خلف نظارته إلى السماء بتوتر ....".

الماحي: (يحدث نفسه) لماذا ارتديت البدلة.. أليس هذا حماقة.. ألم أكن أعرف أن النهار قائظ والزوابع الترابية لا تتوقف عن الدوران وجلد وجهي وأقدامي بحبات رملها الساخنة؟

(يباعد قدميه خطوتين بجانبه ثم يتوقف..) ولا حتى عصفور في السماء.. ولا حتى سحابة صيف مزيفة...ولا حتى زهرة برية تقاوم ألم وحشتها هنا..بل .. بل ولا حتى عظاءة تقلب عينيها بحيرة وفزع وهي تمد رأسها من تحت هذه الكثبان.. رباه...هل أعود أدراجي.. هناك خطأ ما .. لقد قطعت نصف الطريق.. لست متأكدا .. لكن.. ربما لم أشعر بالتعب كما أشعر به الآن...هناك تاريخ كامل لحياتي .. تاريخ امتد لاثنتين وثلاثين عاما.. أليس هذا كافيا لأتوقف هنا.. هنا في المنتصف... لكن .. ماذا لو توقفت أو حتى لم أتوقف؟ ماذا سيحدث؟ ما هو الجديد الذي يمكن توقعه في مكان مثل هذا ... لا شيء يبدو مصيريا أبدا..

(يظهر بعشوم على يمين المسرح وهو اسود ذو طرش مدورة يرتدي جلبابا أبيضا قصيرا وطاقية برتقالية)

بعشوم: إيييه.. كان زمان ....(يخرج علبة نشوق ويتصعط منه).. الحمار كان أذكى من البشر هنا .. العجب العجلاتي أول من افتتح محل لتصليح الدراجات .. كانت الدراجات لأبناء الأغنياء والبسطجية .. مع ذلك فشل العجب في اصلاح أي دراجة ... كان يفكك الدراجة قطعة قطعة.. يحملق فيها بإعجاب..ثم يتصبب عرقا وهو يحاول تجميعها من جديد ثم يثور غضبا ويبدأ في ركل قطعها وهو يبكي...مع ذلك أصر على الاستمرار في هذه المهنة .. والأغرب أن أبناء الأغنياء لم يتوقفوا عن ارسال دراجاتهم المعطوبة له لإصلاحها .. وفوق هذا كانوا ينقدونه بضعة ملاليم مقابل تفكيكها...

الماحي: (يدير رأسه من على كتفه ملقيا نظرة لبعشوم) لا أحب التدخل في نقاش الإنسان مع نفسه..فهي لحظة فارقة لدى الإنسان حين ينعم بتحسس كينونته...

بعشوم (يحدق فيه بصمت)..

الماحي: نعم .. هي لحظات فارقة.. لكن دعني أتولى تصحيح بعض فرضياتك عن قصة العجب.. هل يمكنني ذلك؟ هل تسمح لي؟

بعشوم: (يستمر محدقا فيه بصمت)..

الماحي: أنت افترضت عدة افتراضات تحتاج لقليل من الاستيثاق.. مثلا... هل أنت متأكد أن الحمار كان يوما أذكى من البشر؟ وهل أنت متأكد أن من كانوا يرسلون بدراجاتهم الى العجب هم أبناء البرجوازيين؟ وهل تعتقد أنهم كانوا يقدمون له الملاليم كحسنة؟ هل تفترض أن العجب كان يبكي لأنه فشل في إعادة تركيب الدراجة؟..

بعشوم: (ينظر تجاه الجمهور بصمت)...

الماحي: دعنا نحاول تفكيك فرضياتك قليلا..وسأتجاهل فرضية الحمار لأنها قد لا تتفق ونظرية التطور لكن دعني أستعرض معك رؤيتي.. في الحقيقة إن مسيرة حياتي ليست قصيرة فهي تجاوزت الاثنتين وثلاثين عاما وهي فترة كافية تؤهلني لفهم العالم من حولي على نحو تقريبي طبعا...

بعشوم: (ينظر الى الماحي مرة أخرى بصمت)..

الماحي: دعني أقول بأننا لا نستطيع توقع الحسنة من أبناء البرجوازية .. الحسنة يقدمها الفقراء للفقراء ... هذه قاعدة .. وإذا كانت هذه القاعدة صحيحة..وهي على فكرة صحيحة...فعلينا أن نعيد تكييفنا لشخصية هؤلاء الصغار.. ألا تتفق معي أن الأكثر منطقية هو أن هؤلاء الصغار كانوا لصوصا يسرقون دراجات أبناء الأغنياء ثم يدفعون بها آلى العجب لتفكيكها ومن ثم إعادة بيعها كقطع غيار أو حتى إعادة تركيبها بشكل يخفي هويتها الأولى...

بعشوم: (يمط شفتيه بحيرة) فعلا والله... فاتت علي هذه الفكرة..عجيب..

الماحي: (يبتسم وقد شجعه رد فعل بعشوم) دعنا ننتقل لفرضيتك المتعلقة ببكاء العجب.. أنت اعتقدت أنه يبكي لفشله في تجميعها... ألا يمكن أن يكون العكس هو الصحيح.. ألا يمكن أن يكون السبب هو بلوغه لذروة اللذة وهو يفكك أوصال الدراجة.. أليس هناك احتمال بأنه لا يرغب أبدا في إعادة تركيبها؟

بعشوم: (يمط شفتيه بحيرة).. ممكن.. ولم لا..!

الماحي: هل تعتقد أن فهم تعقيدات البشر أمر سهل؟

بعشوم: (يحدق في الماحي بصمت)..

الماحي: يمكن لإثنين الامتناع عن أكل الطعام رغم جوعهما ويتبرع كل واحد منهما بنصيبه للآخر.. أليس هذا كرما وإيثار على النفس؟

بعشوم: حقيقي.. كرم لا شك فيه..

الماحي: (يبتسم) وماذا لو قلت لك أن كلا منهما كان قد وضع للآخر سما في الطعام بطريقة خفية؟.. هل ترى في ذلك كرما؟

بعشوم: (تتسع عيناه ويقول وخدوده ترتعش).. بحق الله .. لا بالتأكيد..

(يدخل صبي من الجهة اليمنى أيضا..يتوجه نحو الرجلين)

الصبي: البهائم لم تشرب منذ يوم كامل.. ألا يوجد أي ماء في هذا المكان...

بعشوم: لا أعتقد...لكن هناك مرحاض هناك... ربما تجد داخله ابريق ماء..

الصبي: إبريق ماء ؟؟؟ هل سيشرب قطيع كامل من ابريق ماء؟..

بعشوم: بحق الله.. كيف فات علي ذلك؟..

الماحي: لن يجد ماء في ذلك المرحاض...

بعشوم: لماذا؟

الماحي: هل ترى أي مصدر للماء في هذا المكان؟

بعشوم: لا ... ولكن.. ولكن لا مانع من أن يكونوا قد جلبوا ماء من مكان بعيد؟..

الماحي: من هم؟

بعشوم: (ينظر الى الأمام بحيرة) .. لا أعلم... من وضعوا هذا المرحاض هنا... هل انبثق عن العدم..بالتأكيد لا...

الصبي: بدلا عن ذلك سأدخل لأرى ..

بعشوم: (يضحك ضحكات صفراء).. صبي ذكي..

الماحي: إنه ذكي فعلا...لأن التجربة هي التي تحسم الأمر وليس التوقعات.. أليس كذلك؟

بعشوم: (ينظر للماحي بحيرة)..اسئلتك صعبة...

الماحي: (يبتسم) .. ربما وربما لا.. هي في الواقع جدلية لم تحسم بعد...لكن باعتباري مؤمنا بالتجربة .. بل مدله بها فإنني استطيع حسمها على المستوى الشخصي...

بعشوم: حسنا.. احسمها..

الماحي: سيحسمها هذا الراعي الصغير...

(يتحرك الصبي نحو المرحاض..يدور حوله وهو يتحسس خشبه..)

الصبي: لا يوجد مدخل لهذا المرحاض...

بعشوم:ماذا؟ ..ألا يوجد باب؟..

الصبي: لا يوجد باب ..

بعشوم: كيف هذا؟

الصبي: هكذا..

بعشوم: تأكد مرة أخرى...

الصبي: كيف اتأكد أكثر من ذلك...

الماحي: (يضع سبابته على ذقنه الحليق مفكرا).. أها.. دعنا نعيد ترتيب الصورة الممزقة.. هناك طريق معبد طويل..بلا نهاية ولا بداية.. في المنتصف ..اعتقد أنه المنتصف... يوجد مرحاض بلا باب...في الواقع هناك سؤال مهم وهو..لماذا يضعون مرحاضا عاما هنا...؟ (يلتفت الى الصبي).. يا صبي.. هل تعرف ما هو المرحاض؟

الصبي: (يهز رأسه نفيا بحيرة)..

الماحي: هل رأيت مرحاضا من قبل؟

الصبي: (يهز رأسه مفيا بحيرة)..

الماحي: ماذا تتوقع أن يكون المرحاض إذن؟

الصبي: لا أعرف...

الماحي: حاول.. إبذل مجهودا بسيطا وتخيل..

الصبي: حسنا...

(يضع الصبي سبابته على ذقنه مفكرا)

الصبي: مراح البهائم؟

الماحي: لا .. ليس كذلك...

الصبي: ولا حتى قريب منه؟

الماحي: ولا حتى قريب منه..

الصبي: صندوق خشبي هنا .. ماذا سيكون يا ترى؟.. ربما كان جرنا..؟

الماحي: لا ليس جرنا.. حاول من جديد...

الصبي: خن دجاج؟

الماحي: لا ليس خن دجاج..

الصبي: ولا حتى قريبا منه؟

الماحي: لا ولا حتى قريبا منه.

الصبي: إذا لم اعرف ..فشلت..

الماحي: إنه مكان للإخراج يا فتى..

الصبي: إخراج ماذا؟

الماحي: إخراج الطعام من البطن..

الصبي: كيف هذا؟

الماحي: هكذا...ألم تفعل ذلك من قبل؟

الصبي: فعلت ولكن لماذا داخل صندوق..؟ الخلاء ما عيبه؟

الماحي: هنا يكمن الفارق...

الصبي: ولكن أليس الصندوق ضيقا بما يكفي لتجمع كم كبير ومقرف من هذا الاخراج؟

الماحي: هناك حفرة..أقصد بئر أسفل المرحاض...

الصبي: وكيف سيقفوا على فتحتها..

الماحي: يبدو أنك لم تستطع تخيل الأمر بعد....

الصبي: لا ... يبدو الأمر معقدا أكثر من فهمي ..

الماحي: لا ليس أكثر من فهمك وإنما أكثر من تجربتك...لقد أمضيت إثنتين وثلاثين عاما بما يكفي تماما لتحديد موقفي من كل شيء..

الصبي: كل شيء؟

الماحي: نعم كل شيء...

الصبي: هل تعرف كل شيء؟

الماحي: لا لا أعرف كل شيء..سؤالك ذكي جدا ولذا سأجيبك بما يناسبه...

بعشوم: ما فائدة هذا الكلام..أعتقد أن الأجدى هو بحث قضية المرحاض..حقيقة هو شيء غامض ومثير للشك... هل هو فعلا مرحاض؟

الماحي: تحديد موقف من كل شيء يتم بالاستبعاد... أن تحصر اهتمامك بأشياء معينة وتستبعد كل شيء آخر ..هكذا تكون قد اتخذت موقف من كل شيء..

بعشوم: دعك من هذا يا فتى..اذهب وراقب بهائمك؟

الصبي: لماذا؟

بعشوم: كيف لماذا؟

الصبي: ليس لديها ماء .. العودة لن تفيدها بشيء إلا لو كنت سأراقبها وهي تموت...

بعشوم: يبدو حديثك منطقيا...لا تتعلم حذلقة هذا المدع...

الماحي: إذن فأنت أيضا حددت موقفك من كل شيء...

الصبي: أنا أم هو...

الماحي: كلاكما...

بعشوم: هذه طريقة تفكير معقدة وليست جميلة...إنني أفضل الطريقة الأولى الأكثر براءة....

الماحي: هل هناك باصات سفرية تمر بهذا الشارع..

الصبي: أعتقد ذلك..الناس لا يتوقفون عن السفر...

بعشوم: إلى أين يسافرون؟ يبدو لي أن هذا الطريق لا ينتهي لشيء؟

الماحي: إنهم يسافرون فقط..هذا ما قصده الصبي...وأعتقد أن المرحاض لم يخصص للتغوط داخله..بل مخصص للتغوط خلفه...

بعشوم: لماذا؟

الماحي: أعتقد انه يمثل ستارا أو حجابا للشخص بدلا عن أن يكون عرضة لمراقبة الآخرين له في تلك اللحظة الحاسمة...

الصبي: أنا أفعل ذلك في الخلاء ولا آبه إن كان هناك حيوان أم انسان..

الماحي: نعم هذه قضية ثقافية..

الصبي: ثقافية؟

الماحي: أووه يا صغير..لا تدقق كثيرا في الكلمات..حاول فهمها بشكل تجريدي..

الصبي: تجريدي؟..

الماحي: حسنا..الكلمات ليست كما تبدو عليه...

بعشوم: هناك كرسي وطاولة..سأجلس هناك...(يتجه نحو الكرسي ثم يجلس عليه) هذا مريح.. أعتقد أن من جلس عليه كان يتلقى أجرة الدخول إلى المرحاض.. أو في الحقيقة الاختباء خلفه...

الماحي: هو كذلك...

الصبي: الآن سأغادر للبحث عن الماء...

الماحي: جيد... دائما ابحث عن الماء.. لا تتوقف حتى عندما تجده ...

الصبي: ولماذا أبحث عن شيء وجدته..

الماحي: لكي لا تكون بلا هدف..

الصبي: هذا الطريق طويل جدا ..

الماحي: وهذا هو الجيد في الأمر..لديك مسافة كافية لتظل مسافرا..

بعشوم: خرافه ستموت ..كن منطقيا مع الصبي..

الصبي: خرافي لن تموت ..ستنتظرني حتى أعود لها...

بعشوم: براحتك..أنت لا تعرف أن هذه الكائنات سريعة الهلاك...ربما لأنها نباتية.. لا أعرف ولكنها تبدو كزوجة حسونة الجزارة كانت ممراضا..كانت دائما هزيلة ومريضة .وتسعل ولا تأكل اللحم .. كانت تشعر بقرف مستمر من كل ما حولها..حتى عندما تسعل تنظر لبلغمها

بقرف...وجهها مكفهر دائما ..مقدمة أسنانها بارزة كفأر مصاب بالسعار... كنا صغارا وكنا نسمع صوت لكمات حسونة لها حين تمتنع عن تلبية رغباته ..كانت تكره ذلك..ضربها بقسوة..وفي النهاية سكبت عليه زيتا مغليا وهو نائم... مات وتم إعدامها ... لقد حكى لي الشرطي الذي فك أنشوطة الحبل من على عنقها أنه شاهد أبشع كائن يراه في حياته .. كانت بشعة لدرجة أنها اصابته بحزن تفاقم لاكتآب حاد لم يتخلص منه إلا عندما سافر المدينة...

الصبي: ماذا كان اسمها..؟

بعشوم: لا أحد يعرف .. حتى في سجلات المحكمة تم تسجيلها تحت مسمى زوجة حسونة الجزار...

الصبي: مسكينة...

الماحي: هناك أشخاص هكذا.. كتب عليهم أن يعيشوا تعاسة ترويها الأجيال دون أن يعرف لهم أسم حتى.. (ينظر للصبي)..لذلك عليك أن تستمر في البحث يا فتى.. بهائمك لن تموت أبدا..

الصبي: أعلم ذلك..ما دمت أبحث فلن تموت...

الماحي: صحيح..

بعشوم: أنت توقع الصبي في شراك حكم كاذبة... توقف عن إيهامه...

الماحي: يمكنني أن أرد عليك ردا مباشرا ..لكنني أفضل أن أسمعك وأنت ترد على نفسك بنفسك...هذا يسرني جدا...

بعشوم: (ينظر للماحي بخوف) أعرف انك تستطيع فعل ذلك...أنت جن مصرم..

الماحي: (يضع سبابته على ذقنه متأملا)..جن مصرم.. جن مصرف...

الصبي: (يوجه حديثه لبعشوم) هل تريد نقودا؟

بعشوم: لماذا؟.. ما حاجتي للنقود؟

الصبي: أريد أن أخرج من بطني خلف مرحاضك...

بعشوم: يا للقرف..وماذا سأفعل بالنقود هنا.. إن هذا الطريق يسلب النقود قيمتها.. هنا يمكننا أن نمارس المقايضة فقط...في الواقع الأشياء كلها هنا متساوية القيمة..

الصبي: حتى الماء؟

بعشوم: ليس إذا كان لدى بهائم عطشى.. (يرفع قدميه على الطاولة)..يمكنك أن تتغوط مجانا يا صبي...

الصبي: حسنا...شكرا لك..

بعشوم: إن الرعي لم يسرق لطفك يا صبي..

الماحي: صحيح... لم تنله خشونة الصحراء...تلك مسألة شائكة جدا ..

بعشوم: ربما عندما يكبر..

الماحي: ربما...

(يختفي الصبي خلف المرحاض...)

بعشوم: ما قصة بدلتك هذه؟ لماذا تبدو لي وكأنك سقطت من السماء..؟

الماحي: لا ..لم أسقط من السماء.. إنني مرتحل فقط .. ارتديت هذه البدلة قبل اثنتين وثلاثين عاما..هم خبرتي في الحياة...وقررت الارتحال...

بعشوم: ألم تضق عليك؟

الماحي: لا ..لقد كانت تكبر معي..

بعشوم: هذا غريب..!!!

الماحي: هل تعتقد أن هذا منتصف الطريق؟

بعشوم: لا أعرف حقيقة...لنعرف المنتصف لابد من معرفة البداية والنهاية.. في السابق .. أقصد في المدرسة ..كانوا يعلموننا القياس بالخيط..حيث نضع الخيط على محيط أي شكل هندسي ثم نفرد الخيط ونقيسه.. هل مررت بهذه التجربة؟

الماحي: قلت لك أنني مررت بما يكفي من تجارب..إنها اثنتان وثلاثون عاما...

بعشوم: حسنا.. حياتك تبدو ثرية..

الماحي: هي كذلك .. لكن ربما يجب أن تعرف أن ثراء حياتنا يكمن في قوة ملاحظتنا.. ربما تدخل في تجارب عديدة ومع ذلك تتعامل معها كصور عابرة وهكذا تفقد متعة الوعي بحقيقتها...

بعشوم: نعم .. يبدو لي أن كلامك صحيح.. على أية حال أنا تاجر .. والتجارة لها عالمها الخاص...

الماحي: لقد تأخر الصبي؟

بعشوم: سأذهب لأراه..(ينهض من كرسيه ويدور حول المرحاض).. لا أثر للصبي..هذا غريب؟..

الماحي: (يضع سبابته على ذقنه متأملا).. أنت المسؤول عن زبائنك هنا..

بعشوم: (بخوف) أي زبائن..لقد كانت مجرد لعبة..

الماحي: هل تعتقد أن اللعب لا قيمة له؟

بعشوم: (بغضب وهو يشهر سبابته) لا تحاول توريطي..لا يوجد مشهد واقعي هنا...

الماحي: هل أنت متأكد؟

بعشوم: بالتأكيد..

الماحي: أليس اختفاء الصبي واقعي؟

بعشوم: نعم .. أنا أقصد .. أننا كنا نمزح هازلين فقط..والهزل لا يرتب التزامات ..

الماحي: لماذا تمارس الهزل؟

بعشوم: ليكون الوقت طيبا..

الماحي: ليكون الوقت طيبا...حسنا.. طيبا بالنسبة لمن؟ لك أم للآخرين؟

بعشوم: لنا جميعا..

الماحي: هل سألت الآخرين عن رغبتهم في مشاركتك الهزل..

بعشوم: بالتأكيد لا... هذا امر مفترضه من ملابسات الواقع...

الماحي: عندما عرض الصبي منحك مالا..هل كان هازلا؟

بعشوم: (يتردد)...أ..أعتقد ذلك..

الماحي: لماذا اعتقدت ذلك؟

بعشوم: لأنني لا أملك هذا المرحاض اللعين... ولم أقل أنني أملكه..

الماحي: لكنك جلست على كرسي محصل النقود..

بعشوم: لارتاح فقط...

الماحي: لم تقل ذلك...

بعشوم: وهل على أن اقول كل شيء..

الماحي: عندما تكن مع آخرين فكل تصرفاتك يجب أن تكون مبررة وبوضوح..

بعشوم: (بغضب) هذا غير منطقي..

الماحي: ابحث عن الفتى..

بعشوم: (بإصرار) لن أبحث ..

الماحي: سأبحث أنا عنه...

(يختفي خلف المرحاض)..

(يقف بعشوم غاضبا..)..

(تخفت الإضاءة ثم تظلم وتعاود السطوح بعد عشرين ثانية)...

(بعشوم لا زال يقف في مكانه)..

بعشوم: لقد تأخر هذا الأحمق أيضا... لكن ما معنى الزمن هنا؟ يبدو كل شيء ميتا...هذا المرحاض المخيف.. وهذا الطريق المعبد الطويل الذي بلا بداية ولا نهاية ... كثبان الصحراء الناعمة ...صبى يرعى البهائم .. وثلاثيني يسير منذ ميلاده ..

(يلتفت نحو المرحاض برعب)..

يا إلهي.. هل يكون هذا المرحاض هو نهاية الطريق... مستحيل طبعا.. مستحيل...

(يقترب من المرحاض بحذر)..

لماذا أنت هنا؟ .. من وضعك؟ .. لماذا يختفي الناس خلفك؟ لماذا أشعر برغبة عارمة في الاختفاء معهم...

(يمد قدمه خلف المرحاض).. حسنا... سيكون الطريق المعبد خاليا من بعدي..هل ستتكثف سحابة فوق السماء.. هل ستنزل الأمطار؟ هل ستنبت الحقوق والأزهار...؟ لا أدري...

وداعا... وداعا...

(يختفي خلف المرحاض)

(ستار)

الحكمة الأخيرة- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

المحامي جكود

المحامي الفاضلابي

التومة

القاضي

الحاجب

"المسرح: "قاعة محكمة خالية ؛ تواجه الجمهور"

(يدلف محاميان يرتديان روب المحاماة الأسود)

جكود: الساعة الآن الثانية عشر والقاضي لم يحضر بعد..

الفاضلابي: سيأتي.. لقد ذهب لعزاء ابنة بنت شقيقة خالته ..

جكود: يعني خالته الثانية..؟

الفاضلابي: هو من المتمة على ما أعتقد...

جكود: أها .. كان لابن عم ابن خالتي منزل واسع هناك...

الفاضلابي: هو من البديرية أليس كذلك...

جكود: أعتقد أمه من البديرية ووالده دنقلاوي...

الفاضلابي: اقصد مولانا القاضي معتصم..

جكود: أعتقد أنه من البني عامر من الشرق.

معتصم: يبدو أن موظفه والحاجب وحتى المشرف غادروا لأداء واجب العزاء...

جكود: يبدو ذلك....الشرطة جلبت المتهمين .. أعتقد سيتم تأجيل الجلسة..

الفاضلابي: هذا منطقي جدا ..

تدخل سيدة عجوز تبدو فقيرة تحمل صينية عليها كوب شاي يتيم.

السيدة: الجلسات تاجلت ليوم السابع عشر من هذا الشهر...

الفاضلابي: حجة التومة.. لماذا كوب شاي واحد...

التومة: (تضحك) لو عايز سآتيك بكوب شاي...

الفاضلابي: قهوة سادة وجكود كالعادة زنجبيل باللبن.

جكود: زنجبيل باللبن يا التومة وليس لبن بالزنجبيل..

التومة: (تضحك) الزنجبيل أصبح غاليا يا أستاذ جكود...

جكود: كل شيء أصبح غاليا...إلا البشر..

الفاضلابي: قتلوا طبيبا البارحة وخوزقوا معلما قبل اسبوعين حتى الموت...

جكود: شيء غريب...أعتقد أنه من كوادر الحركة الإسلامية...

(تخرج التومة)

جكود: نعم هو كذلك من المغضوب عليهم...لقد قبضوا على أحد المشتبه بهم....

الفاضلابي: اسمه العشاري كان زميله من قبل...

جكود: العشاري ..اذن هو من الكواهلة..

الفاضلابي: لا أعرف... ولكن من جنوب كردفان..ربما كادوقلي..

جكود: كادوقلي.. بلدة رائعة الجمال..زرتها قبل عشرين عاما ..

الفاضلابي: جميلة .. وأهلها طيبون جدا... مع ذلك لم تنل حظها من الاهتمام الاعلامي...

جكود: هل هي آمنة الآن ..

الفاضلابي: أحسب ذلك...لقد زارها الرئيس قبل اسابيع..

(تدخل حجة التومة وهي تحمل صينية عليها كوبي القهوة والزنجبيل)

التومة: المتهم في الخارج تبول على نفسه.. (تضحك)..

جكود: ما رأيك.. أعتقد أنه لن يفلت من الإعدام..

الفاضلابي: لا لا أظن.. أمه سيدة غلبانة جدا كانت تقطن في جبل أولياء...

(يأخذ كل منهما كوبه الخاص به)

التومة: (تكاد تبكي) مسكين الولد دة.. حنني..

جكود: القاضي معتصم مشهور بأحكام الاعدام... لا يتردد أبدا في قص أي رقبة ..

الفاضلابي: لو جاءته قضية دعارة سيحكم بالاعدام أيضا..

جكود: مسكين هذا الولد...

الفاضلابي: امه انتقلت من جبل أوليا إلى كرري..من أقصى الجنوب لأقصى الشمال..

جكود: البيوت في جبل أوليا صارت غالية سواء ايجارا أم بيعا..

الفاضلابي: جبل اوليا تحديدا صارت أسعار الأراضي فيها مخيفة جدا..تخيل قطعة أرض ستمائة متر بمليار ومائتي مليون جنيه..

جكود: كم بالدولار؟

الفاضلابي: لا أعرف..كم سعر الدولار اليوم...

التومة: ارتفع أصبح اربعة وسبعين جنيها كاش..

جكود: هل اشتغلت في تجارة العملة؟

التومة: لا ... لقد أرسل لي ابني في ألمانيا مائة دولار ...

جكود: ذهب لألمانيا؟

التومة: تهريب بالبحر من ليبيا ومن هناك لأوروبا.. كانت رحلة مخيفة كما أخبرني...

الفاضلابي: أفضل له.. لا مستقبل في هذا البلد..

التومة: ربنا كريم...يعدل طريقه..

جكود: آمين.... ألمانيا جيدة..

التومة: أخبرني ان فيها عنصرية..يمكن قتله في أي لحظة من قبل الغازيين؟

الفاضلابي: تقصدين النازيين؟

التومة: هو كذلك...

جكود: مجرد مناوشات فقط لكن الألمان شعب راق جدا.. أعرفه جيدا..

الفاضلابي: أتذكر أنك سافرت قبل سنتين أو يزيد للعلاج..

جكود: عيني كانت ستضيع لولاهم .. أنظر إليها الآن..إنها ترى أفضل من النسر...

التومة: قل ماشاء الله يا أستاذ..

جكود: ماشاء الله...

الفاضلابي: الطب عندهم متطور جدا...

جكود: أووووو .. متطور كلمة بسيطة جدا لا يمكن أن تصف ذلك العالم..

الفاضلابي: أفكر في السفر للعلاج هناك.. فقط انتظر انهاء هذه القضية..

التومة: سلامتك يا ولدي..مالك؟

الفاضلابي: أبدا.. عندي انزلاق غضروفي بسيط...وأخشى القيام بالعملية هنا فأضيع...

جكود: لا تجني على نفسك..فلا يوجد طب عندنا..

الفاضلابي: صحيح...سماسرة وتجار قساة..

جكود: يجب تأميم القطاع الصحي..

الفاضلابي: أعتقد ذلك...لكن التسيب متفش..

جكود: صحيح...

التومة: سأذهب فيبدو أن مولانا قد حضر..

(تخرج ويدخل القاضي والحاجب)

القاضي: أهلا يا أساتذة..

(ينهض المحاميان ويحيان القاضي بتوقير. ثم يجلسان)

القاضي: فرغت هذا اليوم من كل أسبوع لهذه القضية فقط ولكن حصلت وفاة..

جكود والفاضلابي: البركة فيكم..

القاضي: طفلة صغيرة مسكينة..لم تتعدى العاشرة من عمرها..

جكود: ماذا أصابها؟

القاضي: قيل بأنها اصيبت بالكنكشة وماتت في اليوم الرابع.. لكن لا أحد.يدري..لقد مرضت فقط هذا هو المؤكد..

الفاضلابي: لا حول ولا قوة إلا بالله...شهيدة بإذن الله...

جكود: ماذا تقصد بشهيدة؟ قال لك ماتت بالمرض وليس في حرب.

القاضي: من مات بالطاعون فهو شهيد..

الفاضلابي: والطاعون هو المرض الجائح.

جكود: غريب..هذا يعني أن الشعب كله سيكون من الشهداء..

(يقهقه الرجال)

القاضي: الله كريم...الفريق كله الآن مصاب بهذا الداء المجهول...والحكومة تنفي حدوث وباء..

الفاضلابي: وقيل بأنه لا يوجد علاج..

القاضي: هذا صحيح..يحتاج فقط للتغذية الجيدة والراحة..تعرف أن التغذية عندنا ضعيفة وغير صحية..

جكود: خاصة مع ارتفاع الأسعار المهول.

القاضي: كم سعر الدولار اليوم؟

(تمد التومة رأسها إلى الداخل)

التومة: شيك ولا كاش؟

القاضي: كاش يا حجة التومة.

التومة: كاش باربعة وسبعين.

القاضي: أريد أن اشتري ثلاثة آلاف دولار...

التومة: السعر سيختلف في هذه الحالة.

القاضي: هل لديك شخص مضمون؟

التومة: نعم ..

(ينهض القاضي من مجلسه)

القاضي: حسنا يا حجة التومة .. فلنذهب إليه..

التومة: لا حاجة لذلك.. أنا سأنجز لك المهمة...فقد جهز الكاش...

القاضي: جاهز...

الفاضلابي: يبدو أنك مسافر..

القاضي: نعم .. سأقدم استقالتي غدا...

جكود: هجرة إذن..

القاضي: نعم .. إبني الكبير وزوجتي يصران على الهجرة.. البلد لم تعد تطاق...

الفاضلابي: حقا...

التومة: يمكننا عمل بزبس جيد يا مولانا.. تحويلات دولار بعمولة صغيرة.

القاضي: جميل...سأفكر في الأمر..

(تختفي التومة)

الفاضلابي: احتجاجات مستمرة..

جكود: الحكومة والشعب يتناطحان بعناد...

القاضي: لقد اشتريت قطعة أرض ساتركها تيراب للزمن.

جكود: ستعود يوما ما ...

القاضي: لا أعرف... لكن اصدقكم القول بأن بيئة القضاء لم تعد نقية...

الفاضلابي: صحيح... لم يعد هناك نقاء في أي شيء...

القاضي: نعم... مصاريف العيال عالية جدا... تخيل أن رسوم روضة إبني الصغير خمسين مليون.

جكود: هناك رياض أطفال أرخص.

القاضي: أرخص ولكنها سيئة جدا ..

الفاضلابي: إذا فلن تستمر في هذه القضية..

القاضي: لا .. لقد عزمت أمري....

جكود: ما الحكمة لما حدث لهذا البلد..هل هناك حكمة...

القاضي: أعتقد ذلك...(يصمت قليلا).. الحكمة بكل بساطة أن هذا الانهيار والفساد دفعني إلى اتخاذ قرار المغادرة هذا..

جكود: أقصد الحكمة الكلية إذا احسنت التعبير..

القاضي: نعم فهمتك ولكنك لم تتركني أكمل كلامي..

جكود: تفضل مولانا..

القاضي: لقد تناقشت مع القاضي سيف حول هذه القضية...وكان لكل منا رأي مختلف...لو لم أتخذ قرار المغادرة هذا لكان إعدام هذا الولد مؤكدا.. أما اليوم .. فغالبا لن يحكم بإعدامه .. أعتقد أن الحكمة من انهيار كل هذه الدولة كان بغرض الحفاظ على حياة هذا الشاب...

الفاضلابي: تبدو حكمة عظيمة..

القاضي: ليس بالضرورة أن تكون عظيمة.. فيكفي أن تحدث كل تلك التعقيدات والتداعيات القدرية ليصل الله إلى نتيجة تبدو تافهة بالنسبة لنا ...

(ينهض القاضي ومعه المحاميان ويغادرا قاعة المحكمة)...

(تدخل التومة ... ولا تجد أحدا)..

التومة: أين ذهبوا... سمعت بأن الشاب شنق نفسه قبل قليل من شدة الإحباط... لقد انتهت القضية... (تضع سبابتها على ذقنها وتفكر بحيرة) لكن المهم الآن هو .. هل سينخفض سعر الدولار..... أشك في ذلك..

(ستار)

الشواش - مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الصبي

الفتاة

الشاب

الأربعيني

المسرح:

"ساحة رقص واسعة ؛ ظلمة تضيؤها أضواء مصابيح ملونة متداخلة وأضواء ليزر بأشكال مختلفة... ماكنات صنع الدخان تخرج دخانا ازرقا وأحمرا من على جوانب المسرح".

(يدخل ولد في السادسة عشر من عمره ، نحيل وأسود ، يرتدي تي شيرتا بنيا ممزقا وبلا أكمام وشورتا قصيرا ، ويعلق طبلة يتدلى حزامها من حول رقبته لتستقر هي تحت صدره.

الولد يضرب الطبلة بعصا طويلة خمسة ضربات بإيقاع متزامن).

الولد: (دل دل دل دل دل) ثورة .. (دل دل دل دل دل) ثورة... (دل دل دل دل دل) ثورة...

يخرج حزام الطبلة ثم يضع الأخيرة على الأرض ويجلس عليها.

الولد: الحرية.. الديموقراطية.. العدالة.... (يخرج علبة سجائر ويدخن).. (يسعل).. حرية .. (يسعل فيطفئ السجارة بقدمه).. هناك أشياء غريبة تحدث لي منذ قرابة سنتين..إنني أشعر بشبق مستمر... لكن ليس للأنثى.. بل للكلبات.. أنثيات الكلاب... (تتسع عيناه بجزع) رباه.. ما هذا... أكاد أنشطر كلما شاهدت كلبة تسير أمامي .. أثداؤها تتمرجح يمنة ويسرة.. وتحت ذيلها تتدلى تلك اللحيمة الحمراء النتنة...لكنني أشعر بأنني سأموت إن لم أتذوقها...(يغطي عينيه بساعديه ويبكي) رباه.. ماهذا الذي يحدث لي...هذا شذوذ غير طبيعي...أدرك أن هناك من يفعلونها مع الحمير لكن ليس مع الكلبات...هذا غير طبيعي بالمرة...أرجوك يا الله انقذني من هذا الشذوذ...اتضرع اليك (ينفجر في البكاء).. (يتقلد حزام طبلته ويضربها خمسة ضربات) ثورة... (دل دل دل دلدل) ثورة ... (يخرج من يسار المسرح)...

(تدخل فتاة عشرينية سمراء وهي تحمل أدوات رسم)

الفتاة: (تضع أدوات الرسم على الأرض وتجلس قربها مقرفصة) للخرائب معنى جمالي .. ربما أكثر عمقا لدى المتلقي من الحداثة..هناك شيء جاذب في الشحوب .. شيء جاذب في لوحة بقايا مدينة دمرتها حرب.. لا أعتقد أنني وحدي من يشعر بذلك العمق.. لكن ربما لأن مثل هذه

المشاهد تستدعي حقيقة الموت إلى وعينا... وربما هناك جينات اكتآب مندسة داخل غالبية البشر .. لا أعرف .. لكن هناك شيء ما لا شك في ذلك.. إننا بلا هوية إن لم يكن هناك آخر.. أعتقد أن المتناقضات تتبادل منح بعضها البعض هوياتها... (تضحك) الغريب أنها تتصارع بعد ذلك متبادلة سحق بعضها البعض... (تبتسم مندهشة) الأغرب من كل ذلك أن الهوية ليست أكثر من نسق غامض داخل الدماغ... (تبكي) لهذا يتبادلون قطع الرؤوس.. (تستعيد جديتها) الفن .. ماذا سيكون الفن إن لم يك وعيا..الفن وعي..وعي بكل ذلك...ولذلك لتلك الخرائب جمالياتها في وعي تكامل التناقضات...كل شيء غبي وغامض.. مشتت ومتماسك.. هل هو غبي أم أنه أذكى منا...؟ لا أعرف.. (تلتقط أدواتها وتنهض ثم تغادر المسرح).

(يدخل شاب ثلاثيني يرتدي قميصا وبنطلونا وربطة عنق ويشمر أكمام قميصه الى حد قريب من العضد..يحمل هاتفه المحمول بيمينه ويتحدث فيه بينما كفه اليسرى داخل جيبه ، بشرته سوداء لامعة وشعره خشن وكثيف)

الشاب: لقد طلقتها...نعم هي كذلك يا ماما .. هي كذلك.. نعم طيبة وكل شيء لكن هناك أشياء لا استطيع الحديث عنها... نعم أعرف أنك أمي لكن هذا بالتحديد ما يحول بيني وبين الحديث معك في هذه الأشياء.. لا لا .. ليس خجلا.. ولكن هذه مسألة نفسية محضة.. أرجوك لا تغضبي مني.. لا .. لا .. لن أخبر والدي...نعم أيضا لا استطيع أن أحدثه بهذه الأشياء...ولا شقيقتي.. نعم أستطيع أن أخبر أخي ولكن أخي نفسه لن يستطيع اخباركم فهو مثلي.. لا لا اقصد شاذا أقصد أنه مثلي أنا.. أنا لست مثليا يا أمي...ولكن كيف لي أن أشرح لك هذه الأشياء.. حسنا .. لقد طلقتها وانتهى الأمر فما الداعي للحديث عن الأسباب... ماذا؟ شن أهلها حربا ضدي؟!!!.. يشوهون سمعتي؟!!! هذا غريب لماذا فعلوا ذلك؟ لقد اتفقنا على الطلاق بشكل ودي...غريب هذا الأمر.. ماذا؟ قالت أنني أتبول في السرير وأنا نائم.. هذا غير صحيح طبعا.. يا إلهي.. ماذا؟!!! على العكس تماما لقد كان مرتبي كله تحت يدها... هذا أمر غريب...نعم يا أمي أنا غاضب ولكن ليس بالضرورة أن أرفع صوتي.. هل هذا ضروري.. لا طبعا لست باردا...غالبا النسوة يشنون حربا هن وأمهاتهن على الرجل بعد الطلاق ..هذا أمر طبيعي...لم تفعلي ذلك لأنك لم تتطلقي... طلقك والدي من قبل؟!!!.. هذه معلومة جديدة علي... طلقة واحدة....قبل كم سنة..أووه اربعين عاما... أها.. كمان... كان سكرانا... وكان

يضربك بعد أن يعود للمنزل وهو يترنح.. حسنا لا تبكي يا ماما..لقد قلبت المواجع على نفسك..ثم أن والدي توقف عن احتساء الخمر على ما أعتقد.. لماذا بعد فوات الأوان ... لم أشاهده يضربك بصراحة منذ أن تفتحت عيناي على الدنيا.. ها أنت تبشعين به رغم أنك قبل قليل أنكرت ذلك على طليقتي..لم تبشعي به..كيف هذا؟ نعم .. أها.. لم تختلقي أكاذيب كما فعلت هي... حسنا.. أنت من معدن ثمين يا ماما وليس كبنات هذه الأيام... نعم..أكيد.. لا صدقيني لا أستطيع إخبارك...أرجوك يا ماما..أرجوك... حسنا.. هات شقيقي.. (صمت) مرحبا.. نعم.. صحيح.. لقد طلقتها...ها؟ .. إنه سبب مقزز حقيقة يا أخي ... نعم .. أكيد هو متعلق بذلك الجانب...أكيد.. لا لا لم تكن باردة.. ولكنها كانت عفنة قليلا.. في الواقع عفنة بشكل لا يصدق.. نعم هذا مؤسف .. لكن ليس هذا بسببها.. انما لأنها كانت تعاني من اختلال في بكتريا ذلك المكان.. (بدهشة) ألا تعرف حقا؟ مدهش.. رغم علاقاتك المتعددة... نعم ذلك المكان هو أكثر الاماكن جمعا للبكتريا والفطريات.. لا لا تفعل ذلك مرة أخرى...نعم.. لقد أخبرني الطبيب بأن هناك خلل في نسبة بكتريا تدعى لاتوباسيلي.. نعم.. لا لا ليس الأمر كذلك.. لكن عندما تقل هذه البكتريا يفقد ذلك المكان حمضيته... نعم إنه حامضي الوسط... (يضحك) نعم حامض حلو.. المهم.. إذا قلت نسبة تلك البكتريا انتشرت بكتريا وفطريات أخرى وأصبحت الرائحة لا تطاق.. وكذلك اذا زادت بكتريا اللاتوباسيلي.... هذا طبيعي عند المرأة.. نعم... لا ..نحن ليس لدينا هذه المشاكل.. (صمت) صدقني لم استطع تحمل الرائحة... حقيقة هي ليست محظوظة رغم جمالها الفتان... نعم.. صحيح جميلة ولكن لديها اختلالات كثيرة وكلها من ذات الشاكلة... لا على العكس.. انها تستحم بشكل مستمر...لكن لا فائدة... ها.. نعم من الجيد أننا لم ننجب...نعم هذه مسألة محسومة... حسنا.. هل ستسطيع اخبار ماما بذلك؟ (يضحك) عرفت أنك لن تستطيع.. نعم يبدو الحديث مع الأمهات حول هذه الأمور مثيرا للغثيان... حسنا.. إن سيارتي عند الميكانيكي هذه الأيام ولذلك لن استطيع زيارتكم هذا الأسبوع.. حسنا... الى اللقاء.. الى اللقاء...

(يخرج من المسرح)

(يدخل أربعيني وهو يحمل بطيخة بيده اليسرى)

الأربعيني: (يضع البطيخة على الأرض ويظل واقفا) لقد نسيت أن أشتري بطيخة أخرى لزوجتي.. سأدخل المنزل ببطيخة واحدة.. لو أعطيتها لوالدتي ستغضب زوجتي وإن منحتها

لزوجتي فستغضب أمي. هذه هي مشكلة البقاء في منزل واحد حتى لو في الطابق الأعلى...حيث لا أسرار تكون معرضا دوما لهجمات اللبؤات المفترسات....لا استطيع شراء بطيخة أخرى فهي غالية جدا ... ماذا لو لم أضيع سنوات عمري في هذا البلد...هنا لن يستطيع أحد أن يكون غنيا إلا إذا سرق..لكن السير وفق القانون يوصلك إلى هذه النقطة.. حيث عليك أن تفكر في قطع بطيخة إلى نصفين ومع ذلك فلا أمي ولا زوجتي ستقبلان بأخذ نصف بطيخة.. يبدو الأمر مخجلا....ماذا لو كان العالم كله أغنياء...ماذا لو كنت غنيا..ما الذي كان سيدفعني للعمل كعامل في مصنع للحديد منذ الساعة الثامنة وحتى الساعة السادسة مساء؟ لو كان كل الشعب غنيا لوجب علينا حينها أن نستورد فقراء ليقوموا بالأعمال الصعبة والأعمال الوضيعة... ابن خالتي يغوص في حوض الصرف الصحي الممتلئ بالغائط والأبوال وكل عفن الدنيا لكي يفتح المجرى وينال مبلغا لا بأس به هو ربع ما تأخذه الشركة المغربية التي توفر له المعدات...لقد حاولت تخيل نفسي أفعل ذلك فتقيأت من مجرد التخيل...لكنه يخرج من الحوض ويستحم ثم يأكل بشهية مفتوحة...قال بأنه لم يعد محتاجا للمال لكنه لن يترك مهنته...كيف تنام زوجته معه في سرير واحد...على أية حال لقد استطاع بناء منزل هو الآخر والغريب أنه استأجر عاملا لتفريغ حوض منزله.. لقد سألته عن السبب فقال بأن الطبيب الجراح لا يستطيع أن يجري عملية جراحية لنفسه وأن للمهنة أصول لا يجوز تجاوزها.. غريب هذا العالم...يلزم نفسه بأشياء لا معنى لها.. تبدو لي المسألة مسألة مبدأ .. هي شعور باطني ليس بالضرورة أن يكون عقلانيا...ماذا؟ نعم.. نعم صحيح.. ماذا لو استطعت يوما أن أمتلك مصنع حديد.. بالتأكيد لن أعمل كعامل فيه... وهو كذلك لن يشعر بأنه مالك لمنزله إن لم يأت بعامل غريب ليفرغ له حوض المرحاض...شيء غريب..لماذا نحن البشر حساسون إلى هذه الدرجة..؟ اليوم تزوج العامل العجوز من صبية في الثامنة عشر.. هو وسيم رغم أنه يدلف إلى عقده السادس.. حيوي أيضا ونشيط..لكن..لماذا قبلت به؟ هل يمكنني أن أفعل مثله؟ هل أملك تلك الروح المتفائلة والمحبة للحياة؟ أشك في ذلك... (يبتسم) بائعة الشاي تبتسم لي وتجس نبضي .. عشرينية وجميلة..لكنني أتهرب منها..لماذا أخاف؟ إنها لا تطلب الزواج وانما تطلب ذلك الشيء..لماذا أخاف..لماذا اعتبرها خيانة لا تغتفر...زوجتي خانتني من قبل..نعم علمت ذلك وسكت..فعلتها مرة واحدة لتجرب طعم الخيانة...سكت لأنه لا توجد امرأة لا تفكر في الخيانة في هذا العالم..كذلك لا يوجد رجل لا يفكر في الخيانة.. في الواقع ..لماذا إذن نسميها خيانة؟ لماذا

يبدو ذلك الأمر مهما لهذه الدرجة .. وأين تكمن خطورته؟ يا إلهي.. البشر حساسون جدا...كل شيء أخضعوه لقاعدة سواء كانت منطقية أم لا...المدهش أن خرق هذه القواعد الوهمية قد يفضي إلى صدمات قاتلة... (يصمت).... أها.....حساسية زائدة.. والبطيخة خير دليل...ما سأفعله هو أنني سأترك البطيخة هنا...فليأخذها أي شخص... لا أهتم..نعم خسرت مبلغا كبيرا من المال لكن هذا أفضل من أن أخسر راحتي النفسية في المنزل...أليس كذلك؟

(يترك البطيخة ويخرج من المسرح)

(تدخل الفتاة ، وتضع أدوات الرسم على يسارها بعد أن تجلس القرفصاء)

الفتاة: لقد رفضت صاحبة القالاري عرض لوحاتي عندها...هل يجب أن يحبطني ذلك؟ لا أعرف.. إنني محبطة بالفعل.. سأحتاج لشهرين حتى أنسى هذه الإهانة...المسألة ليست إهانة المسألة هي تحطيم ثقتي بنفسي...دعني أقول أنني الآن سأعيد التفكير فيما إذا كنت سأستمر في عالم الفن .. نعم لقد بدأت أشك في قدراتي بسبب رفض هذه الألمانية الوقحة...لكن أليس من الأفضل أن اكتشف حقيقة مقدراتي بدلا عن الاستمرار في الوهم الذي تخلقه نرجسيتي؟ لا أعرف؟ لكن مالذي يجعلني أثق في حكم هذه الألمانية؟

(يدخل الشاب ، يقف إلى جوار الفتاة المقرفصة ، يخرج هاتفه ويبدأ الحديث)

الشاب: لم أخبر أحدا بسبب طلاقي من ابنتك .. هذا شيء لا يهمني البتة.. لقد انتهى كل شيء .. نعم انتهى كل شيء .. اسأليها فأنت أمها...لا .. لا دخل لي بفسخ خطوبتها ... لا أعرف سبب فسخه للخطبة هذا شيء يخصه هو ولا يخصني.. وأساسا أنا لا أعلم من هو...مضطر لإغلاق الهاتف .. آسف.. (يغلق الهاتف وينظر إليه بسخط) لا يمكن أبدا لعلاقة مع المرأة أن تنتهي ببساطة هكذا فقط... (يدخل الأربعيني) لماذا يتحول إنهاء العلاقات المختلفة بين الجنسين إلى عداوات مزمنة؟

الأربعيني: (ينظر للشاب) أي علاقة بامرأة إن لم تستمر فلا تنتهي أبدا على خير...لقد رأتني جارتي وأنا أحمل البطيخة وأخبرت زوجتي التي سألتني عن البطيخة التي اشتريتها فأخبرتها بأنني فضلت تركها حتى لا أثير شجارا بينها وبين أمي.. لكنها لم تصدقني!!! ماسأفعله هو أنني سأحمل البطيخة وأعود بها إلى المنزل...فحينها ستتشاجر مع والدتي وتصدقني.

الشاب: لن تصدقك..على العكس تماما.. سوف تعتقد أنك اشتريت بطيخة جديدة كوسيلة اقناع كاذبة... وهكذا تتأكد لديها الشكوك السابقة...

الأربعيني: حقا.. لماذا يمتلكن عقلية استخباراتية هكذا؟

الشاب: (بحنق) لا أعرف....لكن العلاقة بين الرجل والمرأة أصبحت مقيتة جدا وسخيفة ومليئة بالأكاذيب...

الأربعيني: هذه حقيقة..

(يدخل الصبي وهو يعلق طبلته.. يضرب خمس ضربات ويهتف)

الصبي: (دل دل دل دل دل) ثورة... (دل دل دل دل دل) ثورة... (دل دل دل دل دل) ديموقراطية..حرية..عدالة...

الفتاة: يمكنك أن تهتف أيها الصبي بدون حاجة للضرب على الطبلة..

الصبي: لا يمكن..

الفتاة: لماذا لا يمكن؟

الصبي: لن يكون هتافا حماسيا بدون طبلة..

الفتاة: (تنظر للصبي بغضب) لكن هذا مزعج...

الصبي: لا .. ليس مزعجا..

الفتاة: بلى .. هو مزعج بالفعل..

الصبي: لا ليس مزعجا.. المسألة فقط هي أنك لا تملكين روحا ثورية... لذلك لا تشعرين بنفس شعوري..

الفتاة: يستحسن ألا أشعر بالثورة وإلا لكنت رأيت وجها آخر لي..

الصبي: لا أتضارب مع الفتيات..

الفتاة: ولا تحترمهن أيضا...

الصبي: أحترمهن...

الفتاة: لا لا تحترمهن..

الصبي: لا أعرف .. لكن لماذا علي أن أحترمهن...؟؟؟!!!

الفتاة: لأنهن فتيات..

الصبي: وماذا يعني هذا؟

الفتاة: ستعلم حين تتزوج...

الصبي: لن أتزوج..

الفتاة: بلى .. ستتزوج...

الصبي: لا أعرف.. لكنني لا ارغب في الزواج...

الفتاة: يبدو أنك لم تعد طفلا..ولذلك أظن أنك تعاني من مشاكل تواصلية مع البنات..

الصبي: (يرتبك) .. (يهمس وهو ينظر بدهشة تجاه الجمهور) يا إلهي..كيف عرفت ذلك؟

الفتاة: عليك أن تبحث عن فتاة تقبل بك على علاتك...ستجدها على أية حال..

الصبي: لا أريد فتاة...

الفتاة: بلى .. تريد فتاة.. هل ستعيش من غير أنثى؟!!!

الصبي: سأعيش مع أنثى...

الفتاة: وكيف ستعيش مع أنثى وأنت لا تريد ذلك..

الصبي: أريد كلبة...وليس أنثى بشرية..

الفتاة: (تنظر بدهشة وتقزز) كلبة.. ماذا تقول يا ولد...؟!!!

الصبي: كما قلت...أنا أشتهي أنثيات الكلاب.. لا أشتهي أنثيات البشر...

الفتاة: (تمثل التقيوء) وع.. يا لك من مقرف... لا تبدو طبيعيا.. أنصحك بالذهاب لطبيب نفسي..

الصبي: هذا صحيح..

الشاب: (يخاطب الفتاة) الفتى ليس مضطربا نفسيا .. لماذا تحاولين تدمير ثقته بنفسه..

الفتاة: إنه يشتهي الكلبات.. هل يبدو لك ذلك طبيعيا...؟

الشاب: وما المانع...بل وما الفرق أساسا...على أي حال لا أود المجادلة في هذا الأمر لكنني جربت النساء ولم أجد فرقا يذكر بينهن وبين أنثيات الكلاب..

الفتاة: (تنهض بغضب) أنت أيضا مريض نفسي...عليك أن تجد علاجا من غطرستك النرجسية هذي.. يكفين وقاحة الألمانية صاحبة القالاري...هل فهمت؟!!!

الأربعيني: إن الشجار إيجابي أيضا...فمن الأفضل أن نصرخ لننفس الكبت داخل أنفسنا قليلا...لكنني أتفق مع الشاب جزئيا... فإنت زعزعت ثقة الصبي بنفسه رغم أنك تعلمين أنه في فترة المراهقة... مع ذلك فالنساء لسن مثل أنثيات الكلاب..

الشاب: وما الفرق؟

الأربعيني: الفرق..(يفكر).. الفرق هن أنهن آدميات...لهن عقل .. ويتحدثن إلينا...

الشاب: هذا مجرد اختلاف في الفصيلة.. لكن الكلبات هن أنثيات أيضا..مثلهن مثل أنثيات البشر والقرود والحشرات...

الأربعيني: من هذه الناحية فهذا صحيح..لكن من غير الطبيعي أن ينجذب القرد لأنثى الثعلب..أليس كذلك...؟

الشاب: أعتقد أن الفتى يملك عينا مختلفة عن أعيننا فقط.. كل مافي الأمر أنه يستطيع الإحساس بروح أنثى الكلب أكثر من الإحساس بروح أنثى البشر وهذه ميزة.. تماما كالوطواط الذي لديه حواس لا نمتلكها نحن البشر...

الفتاة: ماهذا التفلسف المتكلف؟

الشاب: هذا ليس تفلسفا.. إنه تحليل منطقي؟

الفتاة: وما الفرق؟

الأربعيني: الشاب لديه مفاهيم عميقة إلى حد ما وهذا ما يزعجنا أنا وأنت يا سيدتي..

الصبي: (دل دل دل دل دل) ثورة...

الفتاة: توقف عن الأزعاج..

الصبي: أيها الشاب.. يبدو أنك تدافع عن حالتي ..أليس كذلك؟

الشاب: ربما نعم..وربما لا.. في الواقع انا لا ادافع ..أنا اطرح وجهة نظر أخرى فقط...

الصبي: وما الفرق؟

الشاب: الفرق هو أنني لا اسعى لاقناع احد.. إنني فقط أسعى للتفكير بشكل مختلف..

الصبي: لماذا تفكر بصوت مسموع إذن..كان بامكانك التفكير سرا ما دمت لا تهتم باقناع أحد؟

الشاب: حتى أصل الى صوابية التفكير أو خطئه يجب أن أسمع كل نقد موجه له... وهذا لن يحدث إن حشوت فمي برأيي وتركته مغلقا...

الأربعيني: أعتقد أننا كبشر نحتاج لتجديد فهمنا للحياة .. نحن نكرر أنفسنا منذ ملايين السنين...

الشاب: هناك بردية مصرية قديمة كانت عبارة عن شروط زوجة في عقد زواج..هذه البردية حررت قبل خمسة آلاف عام... لذلك..نعم .. كلامك صحيح...يبدو أننا نكرر أنفسنا بلا قدرة على التوقف والتقاط الأنفاس ثم الاعتراف بأن علينا أن نتغير...

الفتاة: أنت تعقد الأمور... أنت في الواقع غير متكيف مع حقيقتك البشرية...وهذا خطؤك الذي لا يجب أن يجعل من حياتنا الطبيعية امرا خاطئا...

الصبي: لماذا تعممين.. لماذا تعتقدين أن كل الناس مثلك؟

الفتاة: لم أعمم..هذا غير صحيح ولكنني أغلب.. فالغالبية تشترك في سلوك اجتماعي واحد...

الأربعيني: الكثرة العددية لا تعني الصواب يا سيدتي .. إنها ليست معيارا صالحا للقياس.. في الواقع إن غالبية البشر حمقى وقلة هي وحدها الذكية...إن هذه الأغلبية بليدة الذهن مهمة جدا...على سبيل المثال...وأنا في العاشرة من عمري رفضت الذهاب للمدرسة.. والدي لم يحاول اجباري على الذهاب.. لقد اخترت العمل الحرفي...ربما أنا نادم قليلا على غباء الطفولة الآن...لكن تخيلي لو أن كل الناس اختاروا أن يكون عباقرة....حينئذ من كان سيعمل لإدارة ماكينات المصنع كما أفعل... ظللت عاملا فقيرا نتيجة خيار خاطئ وحيد في حياتي.. وأنا لا أنكر أنني نادم على ذلك القرار..مع ذلك فلست نادما ندما قاتلا...فأنا في كل الأحوال جزء هام من منظومة الحياة البشرية...

الفتاة: هذا صحيح..

الشاب: لا أعرف.. لكن من قال بأن المنظومة البشرية كلها هامة يا سيدي لتكون أنت هاما..ثم كيف تعرف أنك جزء هام إذا لم تكن قد جربت عدم وجودك في هذه التي اسميتها منظومة.. دعني مثلا أفترض أنك مت .. هل تعتقد أن هذه المنظومة ستتوقف عن الحركة.. دعني أفترض أن كل عمال العالم انقرضوا .. هل تعتقد أن البشرية المتبقية لن تجد حلولا لأزمة ندرة الأيدي العاملة؟ تخيل أن الديناصورات كانت تعتقد أنها هامة للتوازن البيئي.. مع ذلك فهي لم تكن تدري أنها بعد ملايين السنين لن يكون لها أي قيمة سوى قيمة هياكلها التي تشعر الانسان بحالة تواصله مع ماضي الكون الغامض...

الصبي: (يضع طبلته على الأرض) هل تعتقدون أن هناك حاجة للثورة؟!!! إنني بت مقتنعا بكلام الشاب.. يبدو أننا نكرر أنفسنا.. هل علي كمراهق أن أكون صاحب روح ثورية...ماذا لو كانت ثورتي خطأ كقرار الأربعيني الخاطئ..ولكن ماذا علي أن أفعل.. إن حديثكما يجعلني مضطربا تجاه الحياة...هل علي ان أثور حتى لو كان موتي نتيجة لهذه الثورة...أم أن علي أن أهرب لأتمتع بالحياة؟

الفتاة: عليك أن تقاوم..

الشاب: عليك أن تهرب...

الأربعيني: عليك أن تقاوم بذكاء وأن تهرب عندما تتأكد أن الهزيمة باتت وشيكة....

الصبي: كيف أقاوم بدون أن أتحمل مخاطر المقاومة؟

الأربعيني: عليك أن تحمي نفسك دائما... ليس بالضرورة أن تقاوم بفتح صدرك للموت.. فهذه حماقة...لكن في بعض الأحيان يمكنك أن تقاوم بالذوبان مع عدوك...في الواقع هناك كلمات ذات طابع أخلاقي مغالى فيه مثل كلمة عدو...صحيح أنني أقدم لك خلاصة حكمتي في الحياة لكن ليس هذا إلا لأنني لا أعتقد أن هذا قد يتصادم مع مصالحي....لا يوجد عداء بل صراع .. وهناك فرق...والفرق في رأيي أن العداء قد يحتمل نوعا من الصراع غير المبرر فهو أمر نفسي لكن الصراع دائما مبرر ...الصراع هو ما أنتج قيمة حياتنا هذي...لذلك فإنني لا أفضل كلمات ذات حمولة أخلاقية كالعداء والمقاومة...إنني افضل تجريد الحقائق من الأكاذيب...

الصبي: (يلقي عصاته) ربما كان من الخطأ أن التقي بكم... في بعض الأحيان يكون الانجراف وراء الشغف الأعمى أكثر ايجابية من التعرف على وجه الحياة المظلم... هل كان علي أن أموت.. حسنا.. أعتقد ..لا ..لا أظن أنه كان علي أن أموت.. ولذلك فأنا أسحب كلامي... من الجيد أن التقيت بكم هنا...

(تحمل الفتاة الطبل وتعلق حزامه حول جيدها ثم تأخذ العصاة وتضرب خمسة ضربات متتالية)

الفتاة: (دل دل دل دل دل) ثورة (دل دل دل دل دل) ثورة...(دل دل دل دل دل) حرية..ديموقراطية..عدالة...

(تخرج من المسرح)...

(يأخذ الصبي أدوات الرسم ويخرج من المسرح) .. (يأخذ الشاب البطيخة ويشرع في الخروج من المسرح)

الأربعيني: (يهتف) اترك لي رابطة عنقك..

(يخلع الشاب رابطة عنقه ويرميها على الأرض فيأخذها الأربعيني ويرتديها حول رقبته..)..

(يخرج الاثنان من المسرح)

(ستار)

حظيرة الدجاج الأعمى – مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

نهلة

الأم

خطيب نهلة

الرجل الأحمر

المسرح: " على يسار الخشبة طاولة وثلاثة مقاعد يجلس عليها رجل وسيدة خمسينية وفتاة تقترب من الثلاثين . على الطاولة كؤوس وقناني عصير أصفر اللون. لافتة على يمين الخشبة ، فوق

باب خشبي بعنوان (مقهى حظيرة الدجاج الأعمى) ، المسرح تغطيه اضاءة صفراء قوية لدرجة الازعاج ، وكل شيء مصبوغ بالأصفر ، الجدران ، المقاعد الثلاثة ، الطاولة ، الأشخاص الثلاثة ، ملابسهم وشعرهم ولون جلدهم...ولا شيء غير ذلك".

نهلة: لن أزعجك بطلبات كثيرة يا عزيزي... المهر فقط .. بضع جرامات من الحلي الذهبية .. فساتين وقليل من العطور وملابس داخلية.. (قالت ملابس داخلية بصوت إيحائي وهي ترمق الرجل بابتسامة خبيثة...

الأم: ولا تنسى أيضاً الثلاجة والبوتوجاز وأهم شيء الميكروويف ... ففي بداية أيام حياتكما سويا لن تطبخا كثيرا حتى تستمتعا بالوقت .. ستعتمدان على الطعام الجاهز وغالبا يحتاج الطعام الجاهز الى تسخين سريع...(التفتت الى الجمهور ثم تأوهت بحسرة).. صدقاني هذه هي الأيام الوحيدة التي سيهرول فيها وقتكما كجناحي الطائر الزنان... بعدها..

نهلة: أمي..كفى...

خطيب نهلة: تعرفين يا..... حسنا لن أقول خالتي فنحن قريبان في العمر بل ربما تكونين أصغر مني بعقود (تبتسم الخمسينية بفرح).. تعرفين يا حماتي... آآآه .. حتى حماتي لا تناسبك ... لماذا كنتِ أمها.. لكنت تزوجتك معها .. (يقول بجدية) طبعا إذا كان ذلك يناسبك...

الأم: (تضحك وتبرز أسنان رمادية غير منتظمة) ... طبعا كان ليناسبني يا عزيزي فأنت رجل تتمناه كل النساء.. وسيم .. وغني ... ووالدتك متوفية وهذه معجزة... آه يا عزيزي .. قل لي يأ أختي.. أختي الصغيرة تسعدني... صحيح أنها لا تتناسب مع كونك خطيب ابنتي .. لكن لا بأس حتى لا..

نهلة: أمي...كفى...

خطيب نهلة: حقيقة أنا مستعد أن أبذل روحي رخيصة من أجل نهلة... وأموالي كلها تحت يديها ومعها روحي ... تعرفين يا نهلة أننا شعب قليل التعبير عن مشاعره .. لكنني لم أكن مثل هذا الشعب... لقد كنت دائما أطلق العنان لمشاعري .. أبكي كالنساء ولا أخجل.. أغضب كالأسد ولا أخجل .. أسب وألعن ولا أخجل.. وأحبك أيضا ولا أخجل...

(صمتَ ، ونهلة تنظر اليه بخوف وقلق في حين ترمقه أمها بابتسامة مدلهة)

خطيب نهلة: لماذا لا تقولي شيئاً يا نهلة؟

(تستمر نهلة في التحديق فيه بخوف وقلق)

الأم: (توكزها بكتفها) استيقظي يا حمقاء.. أنت هبلة ولست نهلة...

نهلة: (تنهض بسرعة وقلق).. أريد الذهاب إلى الحمام... استئذنكما.. (تدور وراء كرسي أمها التي تمسكها من بنطالها..)

الأم: انتظريني .. سآتي معك... تلاحظين طبعا التكييف الضعيف في هذا المقهى..

خطيب نهلة: نعم إنه مقهى قديم منذ منتصف القرن العشرين .. هم لا يريدون تحديث نمطه على ما أعتقد ليظل متمتعا بطرازه الكلاسيكي هذا.. والتكييف كما تعلمون توحي برودته بالانتقال من أفريقيا إلى القارة القطبية..

(تتحرك المرأتان إلى يمين المسرح)

الأم: ماذا دهاك يا حيوانة؟

نهلة: ألم تسمعي ما قاله يا أمي...

الأم: لم يقل شيئا لأسمعه.. كل ما قاله لطيف...

نهلة: لقد قال بأنه يبكي ويضحك ويغضب دون خجل...

الأم: وماذا في ذلك؟

نهلة: أليس هذا دليلاً على الجنون... هذا الرجل مجنون..

الأم: إيييييه يا حمقاء.. الرجال يحبون استعراض حماقات وهمية أمام حبيباتهم... هل تصدقينهم.. اسأليني أنا... أبوك حينما خطبني قال بأنه يكره النظام ويلعنه وأنه صاحب تاريخ نضالي ضد الدكتاتورية ... قال لي بأنه اعتقل مئات المرات... قال لي بأنه شارك في عشرات المظاهرات ضد النظام....

نهلة: من.؟!!... أبي!!!؟

الأم: صدقي أو لا تصدقي... المهم أنني بمجرد أن انتهى من أفلامه هذه أو كما تسمونها أنتم جيل هذا العصر بالطلس.. بمجرد أن انتهى حتى خلعت دبلة الخطوبة وألقيتها في وجهه...فأنا لا أريد أن أتزوج رجلا حالما وثوريا .. الثوري هو ثور .. تماما ثور .. ليس ثورا عاديا بل ثور من ثيران المصارعة الإسبانية... يهجم على خرقة حمراء ليتم قتله في النهاية أمام جمهور من الساديين الساخرين...

نهلة: يا إلهي يا أمي.. كنت مادية ووصولية منذ ذلك العهد وحتى اليوم... هذا جيد...

الأم: بالتأكيد: فنحن نعيش عمرا واحدا يا بنيتي...ولا أحد يستحق أن نهدر هذا العمر من أجله... ولذلك كما أخبرتك.. هذا عريس لقطة.. ساقه القدر إلينا...مليونير .. يمتلك مصانع.. يمتلك منازل وقصور .. أرصدة في البنوك.. سفر كل عام لأوروبا وآسيا والأمريكتين...فحتى لو كان مجنونا : ولا أعتقد أن المجنون يمكن أن يصبح مليونيرا: فيجب أن تقبلي به...(تنظر نحو نهلة بقسوة وعنف) أم تراك لا زلت تحنين لحاتم الصعلوك؟

نهلة:(اكفهر وجهها) التافه حاتم.. طبعا لا ... المخادع التافه.. التافه الحقير .. (يتهدج صوتها) .. الملعون الكلب...(تبدأ في البكاء)... الحقير .. الحقيير ... (ترتمي على صدر أمها وتبكي...)

الأم: حسنا.. لا زلت تحنين إلى الصعلوك الصغير... يقول المثل إن المرأة قد تنسى من انتشلها من الوحل ولكنها لا تنسى من دفعها فيه.... امسحي دموعك السوداء هذه ولنعد إلى مقاعدنا... هيا يا جزرتي الحلوة...

نهلة: جزرتك الحلوة!؟

الأم: نعم.. جزرتي الحلوة.. عندما حبلت بك توحمت على ورق الجرائد...

نهلة: ورق جرائد؟

الأم: نعم .. أبوك اشترى جرائد خصيصا لآكلها..

نهلة: وهل أكلتها؟

الأم: بالتأكيد وكأنها خروف محشي بالأرز والمكسرات...

نهلة: وما علاقة الجزر بذلك طيب؟

الأم: لا أعرف وتوقفي عن الاسئلة ولنعد إلى مقاعدنا...

(يعودان الى الطاولة...)

(ينفتح باب المقهى على يمين الخشبة ، ويدخل رجل يصبغ شعره الكث وجلده ووجهه وجلبابه باللون الأحمر... ينظر إلى الجالسين الثلاثة .. يحدق فيهم ويحدقوا فيه .. يحدِّجهم بنظرات ساخطة ... ويحدقون نحوه بفضول...)

الرجل الأحمر: يا رجل... أنت يا رجل... نعم أنت أنت...

خطيب نهلة: نعم .. ماذا هنالك؟

الرجل الأحمر: لماذا تضع ساقيك على الشاطئ.. ممنوع تلويث الشاطئ بالقاذورات.. الا تقرأ اللافتة؟

خطيب نهلة: أي لافتة..؟ وأي شاطئ؟

الرجل الأحمر: ماذا تقصد...؟

خطيب نهلة: أقصد أن وصول أمريكا الى القمر كان خدعة... هل أنت كميرا خفية...؟

الرجل الأحمر: كميرا... قمر... هل تقصد أن السحالي تتزوج البط.. يبدو أنك تسخر مني..

خطيب نهلة: حقا لا أسخر منك.. إنني أتحدث بكل جدية يا سيدي...

الرجل الأحمر: ولكن كيف تكون جادا ومعك كلبتان لهما أنياب حادة...

الأم: (بغضب) ماذا تقصد بكلبتين أيها الصعلوك..

نهلة: ماذا تريد...سنأكلك إذا لم تفصح عن نواياك بوضوح..

الرجل الأحمر: لن يستطيع أحد أكلي.. هل تظنون أنني لحمة طرية... لا .. لا وألف لا... أنا لحمي مر.. مر .. مر...

خطيب نهلة: لا تصدقها يا سيدي إنها كلبة لطيفة..

نهلة: (تتسع عيناها بذهول)... أنا .. أنا .. أنا لطيفة.. يا للهول.. متى كنت كلبة لطيفة أيها السباح الذي يغرق في ماء المطر؟

خطيب نهلة: لطيفة .. صدقني.. إنها تكذب.. هكذا هن الكلبات على أي حال.. يكذبن لحبيبهن...

الرجل الأحمر: وتلك الكلبة السمينة؟

الأم: سمينة في عينك يا هلفوت... سمينة في عينك... احترم نفسك ولونك الأخضر الجميل...

الرجل الأحمر: تبا لي .. هذا خطأي أنا .. لم يكن يجب علي أن أنحط لمستوى الكلبات السمينات أبدا...(يغطي عينيه بساعديه ويبكي...

نهلة: أمي.. كفى...

الأم: ألا تسمعين ماذا قال عني؟

نهلة: (بحنان) .. لقد أبكيته يا أمي...

الأم: فليبك كما يشاء... هذا جزاء كل من يحاول قلب النظام الدستوري...

خطيب نهلة: عفارم عليك يا حماتي.... قفي (تقف الأم).. إضربي بيد من حديد (تجلس)... قفي (تقف الأم) ... الخزي للجبناء وللعملاء (تجلس)... قفي (تقف الأم) ...اسحقي الطابور الخامس.. (تجلس...)

الرجل الأحمر: (بحزن) لوثت الشاطئ بقدميك العفنتين... يا شاطئي الحبيب... يا شاطئي الحبيب... (يبكي وهو يغطي عينيه بساعديه..)

خطيب نهلة: (ينظر للأم).. عليك أن تعلقيهم على المشانق بشارع النيل... بالجسور ... بالميادين العامة ... نحن من ورائك يا كلبتنا الصامدة .. من ورائك بقلوبنا وسواعدنا من أجل عدالة إجتماعية...

نهلة: حبيبي.. كفى .. إن أوداجك انتفخت ووجهك ممقتع من الغضب...إن كل كلبات العالم لا يستحقن هذا الدعم.. صدقني .. إنها ليست كلبة بوليسية بل كلبة لصة ... لصة... إنها تحمي اللصوص وتنبح لتنبههم بقدوم صاحب المال حينما يسرقون...

الأم: أصمتي أيتها الكلبة الخائنة الوضيعة...

الرجل الأحمر: كل شواطئي تلوثت بأقدامهم ... كيف سأبحر في أمواجها المسمومة المتعفنة برائحة الأقدام النيئة...

خطيب نهلة: أيها الرجل الأخضر... أيها الرجل...

(يتبادل الرجلان النظر بصمت..)

الأم: ليث عبثا إذن إذا كنتما قد تحالفتما أنت أيتها الكلبة الوضيعة مع ذلك الصعلوك...

الرجل الأحمر: ارفع قدميك النيئتين عن شاطئي لو سمحت؟

خطيب نهلة: وماذا إن لم أفعل؟

الرجل الأحمر: ستذهب إلى مزبلة التاريخ... صدقني... إن العظماء وحدهم من يذكرهم التاريخ... والعظماء كلهم دخلوا إلى شاطئي ولكنهم احتفظوا بأرجلهم بعيدا عنه....

خطيب نهلة: لكننا لسنا على الشاطئ يا سيد .. فلتنه هذا الهراء .. نحن بمقهى حظيرة الدجاج الأعمى...

الأم: هل رأيتِ من قبل دجاجاً أعمى يا جزرتي الحلوة؟

نهلة: أمي.. كفى... لست جزرتك الحلوة...

الأم: كلبة .. حقا كلبة وضيعة...

نهلة: هذا أفضل من جزرة حلوة...

الرجل الأحمر: هناك عشب أخضر نما على شاطئي.. عشب طري .. يرتوي بجرعات قليلة من الماء... إنه يحتجز بعض الحشرات والغذاء للأسماك الملونة الصغيرة... والأسمالك تدلف إلى قلبه .. تأكل وتدغدغه... فيسعدان سوياً... يسعدان بهذا التفاعل المشترك...هل تظن أن تلويث شاطئي بقدميك المتعفنتين هذا سيلحق الأذى بالعشب والسمك الملون معاً.... لماذا إذن تتعمد إدخال قدميك في شاطئي...

خطيب نهلة: (يدور بجسده كاملا نحو الرجل الأحمر).. هة .. هأنا ارفع قدميَّ عن شاطئك...

(يفرح الرجل الأحمر...)

الرجل الأحمر: إذن فقد اعترفت أخيرا بجريمتك...

خطيب نهلة: (بنفاد صبر).. نعم أعترف .. أعترف...

الرجل الأحمر: وهذا شاطئي النقي الجميل الرائق وليس مقهى حظيرة الدجاج الأعمى؟

خطيب نهلة: هو كذلك...

الرجل الأحمر: وهاتان الكلبتان .. هل هما مسعورتان؟

خطيب نهلة: (ينظر الى المرأتين)..لا .. إنهما تمازحانك فقط... هما كلبتان طيبتان...(يستدرك ويرفع سبابته).. إلا إذاااا؟

الرجل الأحمر: (بجزع)... إلا إذاااا؟

خطيب نهلة: إلا إذا قبلت أن تكون أنت ايضا كلباً شرساً مسعوراً...

الرجل الأحمر: (يهز رأسه نفياً بجزع)... لا .. لا يا سيدي .. أنا كلبٌ طيب أنا الآخر... إنني لا أنبح أبدا .. أنا كلبٌ منزلي مدجن .. إنني أنونو فقط ... كالقطط...

الأم: نحن كذلك ننونو ... اسمع...

(تنهض)... نونو نونو نونو نونو نونو...

نهلة: (تنهض) نونو نونو نونو نونو...

خطيب نهلة: (ينهض) نونو نونو نونو نونو نونو نونو..

الرجل الأحمر: نونو نونو نونو نونو..

(يتجه ببطء ويخرج من الباب.. ويظل الثلاثة واقفين وهم ينونوون...)

(ستار)

الوصية لمن يستحق- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

صاحب الكشك

المرأة

الكهل

المنظر:

شارع واسع، لا توجد حوله بنايات، فقط كشك صغير، يقف على نافذته صاحبه وهو في نهاية الأربعين..وخارج الكشك على الجانب الأيسر منه امرأة تشرب زجاجة مياه غازية.

صاحب الكشك: إن عيالك –لو كان لك عيال– هم أيضاً لا يستحقون..(صمت) البارحة جئت بورقة وقلم لأكتب وصيتي، وبالتالي فكرت في توزيع ممتلكاتي، الكشك لكذا، الهاتف المحمول، علب السجائر، ومركوبي الجلدي، وثلاثة عشر ألف جنيه وأشياء أخرى أخف. لقد قمت بعمل جدول، ووضعت كل نوع في سطر لوحده، وحاولت توزيع ثروتي هذي، لكنني فوجئت بأنه لا أحد يستحقها.. أليس هذا مدهشاً. لا أحد يستحق أن يرث مني قشة كبريت..لقد عشت مع نفسي طوال حياتي، لم أجد من أحدٍ فائدة تذكر..كائنات تافهة ووضيعة في نفس الوقت، ولا حتى الفقراء يستحقون شيئاً من تركتي..نعم فهم كائنات جحودة خؤونة..لا يطمر فيها لا عيش ولا ملح..وبالرغم من أن الكلاب هي الأكثر استحقاقاً للميراث، لكن الكلاب لا تعرف معنى الهاتف الجوال، ولا تدخن السجائر، وحتى لو منحتها كومة ذهب فستفتش داخلها عن جيفة وتترك الذهب..وغالبا لو ورَّثت ثروتي لكلبي الوحيد فسيخدعه البشر بعظمة ويأخذون الثروة..وتتعمق المشكلة، لأنني لا أعرف متى سأموت لأستعد فأدمر ممتلكاتي قبل أن الفظ أنفاسي الأخيرة. بل وتتعقد المشكلة أكثر لو دمرت أموالي ثم لم أمت وكان الموت مجرد إحتضار كاذب.. فحينها من أين سأجد ثمن الطعام والشراب والسكن..لا أعرف ولكن يبدو أن الأثرياء يعانون معاناة شديدة وهم يعلمون أن جهد سنوات عمرهم سيذهب للآخرين بلا بذل أي مجهود من قبلهم، بل ولا حتى بذل عاطفة زائفة، من أشخاص لا تربطهم بهم أي علاقة عميقة عمقاً كافياً للموالاة. لذلك قررت أن أنتحر، نعم، سأدمر كل ممتلكاتي، ثم أشنق نفسي، لا، بل سأطلق عليها الرصاص، ليكون موتاً مؤكداً بلا أي احتمالات للنجاة. أخلع ملابسي وأقف عارياً فوق قمة الجبل ثم أطلق رصاصة على جمجمتي فيختفي العالم،..وهكذا أكون قد خرجت من الدنيا كما دخلت إليها. صفراً كبيراً أو لا شئ ولا حتى صفر.

(تجرع السيدة زجاجة المياه الغازية بصوت مسموع ثم تتجشأ)

المرأة: هناك تفاهة ما مختبأةٌ داخل حياتنا، لكن هذا لا يستدعي الإنتحار، فلنفترض أن أحد أقاربك ورث علبة السجائر، فما الفرق الذي ستحدثه له في حياته..؟ لا شيء..

صاحب الكشك: فرق كبير، عندما يحمل علبة السجائر المجانية، سيفرح، سيفرح وهو لم يحزن على موت صاحب العلبة، أليس فرحه هذا طعناً في نباهتي، عندما أمنحه بموتي ما يسعده.. لست إلى هذه الدرجة من البلاهة لأكون مثالياً..إن المثالية تفاهة الضعفاء حقاً...لكن فلنفترض أنك –وانت امرأة جميلة بلا أدنى شك– وافقت على النوم معي، ثم أثناء ذلك توقف قلبي من شدة الحب، وحصلتِ أنتِ على ممتلكاتي، ألن يكون هذا مكافئاً لمنحك لي لحظة من السعادة.. منحتني لها في حياتك وسامنحك لها بعد موتي..وهكذا تستحقين بالفعل أن تكوني وريثتي؟

المرأة: (تنظر للبعيد) أنام معك؟ كأرملة لا أمانع من حيث المبدأ، ولكنني لا أجد علب سجائرك كافية كمقابل لذلك..

صاحب الكشك: ألن تشعري بالسعادة عندما تحصلي على قرابة مائة وعشرين علبة سجائر مجانية، وهاتف محمول، عليه رصيد بقرابة ألف جنيه، وكرتونة شيكولاتة وأشياء أخرى؟

المرأة: بالتاكيد سأشعر بالسعادة.

صاحب الكشك: والسعادة يا سيدتي هي السعادة..سعادتي بجسدك كسعادتك بثروتي، إنها لحظة صغيرة إيجابية في محيط من الإنكسارات.. لذلك فسعادتانا متماثلتان..

المرأة: ها.. حسنٌ..إذاً فلنعقد الصفقة.. سأمنحك جسدي بالفعل ولكن مقابل عقد مكتوب بيننا بأن تنتحر فور نهاية الأمر وأن تترك لي كل ممتلكاتك..

صاحب الكشك: (يمد يده) موافق..

المرأة: (تخرج منديلاً وتغطي به يدها، وتصافحه)..

صاحب الكشك: ما قصة هذا المنديل؟

المرأة: إنني أقرف من مصافحة الرجال.

صاحب الكشك: ولكنك ستنامين معي؟

المرأة: هذا شيء وذاك شيء آخر.. فهناك طقوس تطهرية تسبق العلاقات الحميمة..أليس كذلك؟

صاحب الكشك: طقوس تطهرية؟!!! لا بأس، رغم أنني لا أعرف شيئاً عن هذه الطقوس..لكن لا بأس..

المرأة: ستعرف..إن كل علاقة جديدة تكسبك ربحاً ما..

صاحب الكشك: لا أعرف..ولكنني أخسر..إنني أخسر دائماً..

هكذا.. لاحظت أنني أخسر.. أخسر باستمرار..وأنني يجب أن أحدد موقفي برؤية واقعية تضع كل مجموعة من المعطيات في قوالبها الحقيقية.. لقد فعلت وحينها عرفت أنني لن أستطيع أن أتغير، وتأكدت بأنني سأستمر في الخسارة، وهكذا قبلت أن أترك كل شيء وبآخر ما أملك أنشأت هذا الكشك الصغير.. إن هذا الكشك هو قصيدة الموت الأخيرة بالنسبة لي..

المرأة: ربما تقودك الخسارة إلى الفوز؟

صاحب الكشك: هكذا ظللت أحاول إقناع نفسي..لكنني شاهدت الخاسرين من أمثالي يُدفنون ويُهال عليهم التراب دون أن يحدث ذلك..إن قانون الحياة لا يسمح بالأوهام ولكننا نصر عليها..

المرأة: أيها اليائس..لا تطلق طاقتك السلبية على مزاجي المغتبط هذا الصباح..

صاحب الكشك: لك كل الحق..إن هذه الطاقة تزحف تحت جلدي كدم أسود..

المرأة: إنني لست شغوفة بالجنس.. ولكنني أحاول أن أنجز شيئاً ما في حياتي الخاوية..لقد توفى زوجي وترك لي طفلة في السابعة، ثم قضت نحبها بدورها بعد حُمى غير مفهومة للأطباء.. لذلك أزلت صورتيهما من الجدران وصورة زفافنا، وأحرقت كل مقتنياتهما لأبدأ من جديد..لكنني فشلت..لقد كانت علاقة كابوسية دمرتني تماماً..ربما لو لم ألتقِ به أبداً لكنت الآن متزوجة منك وأعيش بسعادة.. أنام معك ليلاً وأبيع في الكشك نهاراً ولدينا كومة من الزرازير الصغار.

صاحب الكشك: أعرف أنك لن تستطيعي فعل ذلك الآن..أليس كذلك؟

المرأة: لا...لقد جثم الخوف داخلي بما يكفي..(تسلمه الزجاجة) لا زلتَ تبيع المياه الغازية في القوارير الزجاجية؟

صاحب الكشك: أرخص من البلاستيك بما يناسب الفقراء..إلى حد ما.. فثمن هذه الزجاجة يكفل لأسرة فقيرة عشر أرغفة طازجة من فرنها..لكنهم كالطبقة المتوسطة، يتحلون كل أسبوع بزجاجة أو زجاجتين كسراً لروتين الفقر..

المرأة: لقد ترك لي المرحوم ثروة طائلة تتزايد كل سنة..ولكنني لا أعرف بأي شيء ستفيدني وأنا مهشمة هكذا..لستُ محتاجة لها..هل تأخذها؟

صاحب الكشك: لو كان هذا العرض قبل عشرين عاماً لقبلت على الفور..أما اليوم فقد تغير كل شيء..

المرأة: هل تريد فعلاً النوم معي؟

صاحب الكشك: لا..

المرأة: حسنٌ..ولا انأ..ولكن..ماذا سنفعل لتمضية السنوات القادمة؟ تبدو الرتابة مرهقة...

صاحب الكشك: لا أعرف حقيقة..لكننا نستطيع أن نرتكب جريمة..جريمة قتل مثلاً..

المرأة: (تضحك) مجنون..

صاحب الكشك: لا أعرف.. لكن.. هل ترين تلك الطفلة البريئة التي تلعب مع القطة في آخر الزقاق؟

المرأة: (تنظر).. لقد أصابني السكر بضعف الرؤية..لكنني أرى لحماً أصفراً يتحرك وقطعة قطن تتقافز..

صاحب الكشك: ماذا لو ذبحناها؟

المرأة: (بخوف) هل إنت جاد فيما تقول؟

صاحب الكشك: لو قتلتِها فستنتقمين لموت ابنتك..إن الأشقياء إما أن يعيشوا تعساء أو يتحولوا لمجرمين..للجريمة إحساس كابوسي بالإمتلاء..إمتلاء بالسخط..بالحقد والكره.. بالثورة .. بالكفر..بالإنتقام من النظام المتعالي برمته..هل جربتِ ارتكاب جريمة من قبل؟

المرأة: (تنظر إليه بخوف) لا..

صاحب الكشك: إستدرجيها إذاً..

المرأة: (بجزع) لا.. لا.. لا أستطيع...

صاحب الكشك: إهزمي خوفك الذي جعلك مليونيرة تافهة لا تستطيع حتى ممارسة الحب مع تافه مثلي..

المرأة: (تهز رأسها) أنت مجنون.. لا.. لا..

صاحب الكشك: خاطري.. إكتشفي متعة تنامي القوة داخلك..هيا.. هيا...

المرأة: (تبتلع ريقها وتلتفت تجاه الزقاق الذي لا يظهر في المشهد، ثم تتجه بتردد نحوه وتخرج من المسرح، ثم تعود وهي تقود طفلة صغيرة تحمل دمية عروس على يدها، تتحدث إلى الطفلة وهي تنظر إلى صاحب الكشك بذعر) أي نوع من الشيكولاتات تحبين يا زهرتي؟

(تشير الطفلة إلى إحدى علب السجائر، فيشير صاحب الكشك إلى الباب الخلفي للكشك، تدور المرأة بالطفلة إلى الباب الخلفي ويدخلان الكشك..يُشاهد صاحب الكشك وهو يخنق الطفلة من نافذة الكشك دون أن يظهر جسد الطفلة...والمرأة تراقبه بفزع، وبعد دقائق، تتراخى يد صاحب الكشك، فتدور المرأة إلى الخلف بسرعة وتتقيأ..)..

صاحب الكشك: سندفنها الآن..

المرأة: أين؟

صاحب الكشك: هنا تحت أرض الكشك مباشرة...

المرأة: (تبكي) يا ألهي..ماذا فعلنا؟

صاحب الكشك: (يكفهر وجهه ويبكي) لقد أنجزنا شيئا ما سيلازمنا طيلة حياتنا.. ولو انكشف.. لو انكشف فسنُعلق في حبل المشنقة...

المرأة: كيف سأمر فوق قبرها..كيف سأنظر إلى هذا الكشك وأنا أعرف أنها قُتلت بلا ذنب وأن جثتها تحته..

صاحب الكشك: لا أحد مذنب فينا.. نحن ننفذ قانون الأرض فقط..ولو تم شنقنا فسنموت ونحن راضيين عن موتنا..هكذا لن يكون موتنا مجانياً...أليس كذلك..هل كان موت زوجك مجانياً؟ ها؟ أجيبيني؟

المرأة: (تغمغم اثناء بكائها) نعم..

صاحب الكشك: هل كان موت ابنتك مجانياً؟ ها؟ أجيبي؟ (يهزها من كتفيها بعنف)..

المرأة: (أثناء بكائها ورأسها مرمي إلى الخلف) نعم نعم...

صاحب الكشك: هل سيكون موتك أو موتي مجانياً لو شنقنا؟ ها؟ أجيبي .. أجيبي عليك اللعنة؟ (يهزها بعنف وهي تزداد بكاءً)

المرأة: لا لا لا..

صاحب الكشك: إذهبي لمنزلك..سأغلق الكشك بعد دفن الفتاة..

(ظلام)..

(يضيء المسرح عن الكشك وقد توسع قليلاً بحيث شمل حديقة عليها طاولات ومقاعد على اليسار وهناك بعض العشاق يجلسون ويتناولون المياة الغازية والكعك، كما أن هناك كهلاً يبدو مثقفاً يطالع الصحيفة ويقلب صفحاتها، وكلما قلب صفحاتها لوى شفتيه ونظر إلى المانشتات من فوق عدسات نظارته. داخل الكشك، المرأة وصاحب الكشك يعدان وجبات سريعة، وهما يرتديان مريلة العمل.

صاحب الكشك: لم تتحدثي منذ أن بدأنا العمل هذا الصباح؟

المرأة: (تقطع الخبز بالسكين) لست في مزاج يسمح بالكلام..

صاحب الكشك: (يحمل صينية عليها كوبي شاي والكوبان من الورق المقوى وتنزل من بوقيهما خيوط كيس الشاي، ثم يخرج ليضع الشاي أمام طالبين مراهقين، قبل أن يعود ويقطع الخبز)

المرأة: أشعر بخواء..

صاحب الكشك: أفضل من الشعور بالخوف قبل أربع سنوات من الآن..

المرأة: أفضل بكثير..ولكن..ولكنني أحتاج لتكرار تلك التجربة..

صاحب الكشك: تكفينا تجربة واحدة..إنني لا أكاد أنام بسببها (يبكي)..

المرأة: (تلتفت إليه بغضب) لا.. بل أحتاج لتجربة أخرى وسأنفذها بنفسي هذه المرة..

صاحب الكشك: (مستسلماً) حسنٌ.. سيغادر العشاق والمراهقَيْن ويبقى هذا الكهل كالمعتاد... سنجهز عليه...

(يضع العشاق والمراهقَين النقود على الطاولات في وقت واحد ويغادروا المكان ليبقى الكهل وحده)

المرأة: (تمد رأسها من نافذة الكشك) يا سيدي..أرجوك ساعدني..لقد أغمى على زوجي..أرجوك بسرعة..

الكهل: (يقفز من مقعده ويتجه داخلاً إلى الكشك، ثم ينحني فاحصاً الرجل الذي لا يظهر جسده من النافذة) ماذا حدث له .. هل هو مصاب بمرض السكر..

المرأة: (تقف خلف الكهل، وترفع سكينتها وتبدأ بتسديد طعنات قاتلة على ظهره وهي تئن عند كل طعنة.. وبعد لحظة تتكئ على نافذة الكشك وهي تلهث.. فينهض صاحب الكشك وقد تطايرت بقع الدم في وجهه وملابسه)

صاحب الكشك: كانت جريمتنا الأولى نظيفة..ستقودنا هذه حتماً إلى حبل المشنقة..

المرأة: علينا أن نحرك الكشك إلى الأمام قليلاً لكي نتمكن من دفنه قرب رفاة الفتاة..

صاحب الكشك: يا إلهي.. لقد أصبحتِ قاسية جداً..

المرأة: لم أعد أتحمل ضعفك..لقد أصبحت عبئاً ثقيلاً فوق ظهري..

صاحب الكشك: لن نستطيع الافتراق..لقد أصبح مصيرنا واحداً..سأجر الجثة (إنحنى لحمل جثة الكهل، فوقفت المرأة خلف ظهره ثم سددت له طعنات سريعة متتابعة..بعدها أخرجت ذراعيها من نافذة الكشك وهي تلهث وتبتسم بتلذذ)..

المرأة: تافه.. ضعيف..سأحرق الكشك وأغادر إلى دولة أخرى.. هناك.. هناك سأشتري منزلاً صغيراً به حديقة خضراء مزينة بالأزهار الملونة.. وسأتبنى كلباً من النوع غالي الثمن وسأجلب له مدرباً محترفاً.. ولكن فليكن المنزل داخل مزرعة في الريف.. مزرعة من آلاف الهكتارات... مع إصطبل للخيول وحظائر للأبقار والخراف والدجاج.. سأشتري خادمة.. خادمة مثلية لنستمتع معاً.. خادمة مازوخية.. أعذبها أثناء الحب.. سأكتب إعلانا بذلك في الأنترنت..وسأجد الخادمة المثالية..العبدة المثالية.. وفي هذه المزرعة سأحفر نفقاً.. نفقاً طويلاً طويلاً لأضع فيه جثث الأطفال الذين سأذبحهم..الأطفال والرجال والنساء...لن أتحمل الحياة بلا رائحة الدم...(تدور بلسانها على شفتيها كمصاصة دماء) كم هو لذيذ ذلك الدم النافر من الرقاب الناعمة.. كم هو عذب..(تخرج أثناء حديثها من الكشك، وبعد مترين، يُشاهد صاحب الكشك وهو يزحف بصعوبة والدماء تسيل من ظهره، ثم يليه الكهل، والطفلة..يزحفون تجاه المرأة التي لا تراهم.. ثم ينقض صاحب الكشك على المرأة فيطعنها في ظهرها بالسكين فتصرخ وتسقط على الأرض، ثم يطعنها الكهل وهما كلاهما على الأرض، ثم تطعن الطفلة الرجل، ثم يبقون على الأرض جاثمين)...

(ينهض الأربعة بصعوبة، ويبدأون في الرقص بدون موسيقى وهم يضحكون ضحكات هستيرية)..

(يظلم المسرح)

(ستار)

التوجه- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

المعلن

صوت المدعي..

صوت رجل

صوت إمرأة

صوت المدعى عليه

المسرح:

خلفية خشبة المسرحة، يجب أن تكون قابلة للتغيير، عبارة عن عمارات شاهقة ذات مداخل متعددة ومرقمة، يفصل بينها زقاقان ضيقان بمدخلهما لافتة تعلن إسميهما، فالزقاق الأول على اليمين يسمى شارع "الضيوف" والثاني على اليسار فشارع "حارة الدببة"، اما تحت العمارات فمحلات تجارية، أقصى اليمين محل ملابس رياضية بلافتة تحمل إسمه "لاكتوز" وأقصى اليسار حلاق "المقص الذهبي"، وبينهما، محلات أخرى أصغر... هذه الخلفية يمكن عكسها، بحيث يكون محل الحلاق أقصى اليمين ومحل الملابس الرياضية أقصى اليسار، كما يكون شارع حارة الدببة على اليسار وشارع الضيوف الى اليمين.. وهكذا.

(يدخل المعلن من يسار المسرح؛ وهو رجل في بداية الستين، يرتدي بدلة صيفية قديمة، وينتعل حذاءً معفراً بالتراب، رأسه أصلع في المنتصف وعلى عينيه نظارة ذات إطار بني من النوع القديم جداً، ويضع ثلاثة أقلام حبر ملونة على جيب جاكيت البدلة الأيسر (قلم ازرق، أخضر، أحمر). يسير بإنحناءة خفيفة إلى الأمام ويبدو مرهقاً، تحت إبطه الأيمن ملف عليه أوراق، وفي كفه الأيسر جوال من الطراز القديم، وهو حين يستعمله في الإتصال أو الإستقبال، يقربه لعينيه بشدة، ويضغط بسبابته على أزراره ضغطة ضغطة.

يسير ببطء وهو يتلفت يمنة ويسرة، باحثاً عن العنوان المطلوب، يرفع الملف ويقربه لعينيه بشدة، ثم يعيده تحت إبطه).

المعلن: شارع الضيوف، قرب محل لاكتوز للملابس الرياضية..شارع الضيوف..شارع الضيوف..شارع الضيوف (يتوقف فجأة) هة!! ها هو.. أليس هو.. (يقترب من الزقاق ويقرب عينيه من اللافتة) هو.. نعم هو .. (يقرب الجوال إلى عينيه، ويضرب على أزراره رقماً رقماً، ثم يقرب الجوال إلى أذنه).. ألو.. ألو.. ألو الو الو...(يصمت) ألو...

صوت من الجوال: ألو..

المعلن: ألو ألو ألو...ألو...ألو..

صوت الجوال: ألو.. نعم ..

المعلن: سينتهي رصيدي..لقد ضيعت رصيدي..ألو..ألو..

صوت الجوال: ألو انا أسمعك...

المعلن: تسمعني؟

صوت الجوال: نعم أسمعك..

المعلن: ولماذا ضيعت لي رصيدي بدون رد؟

صوت الجوال: رددت عليك ولكن أنت من لم يسمعني..

المعلن: اغلق الخط وارجع لي حتى لا ينتهي رصيدي..

صوت الجوال: طيب..

المعلن: (يغلق الخط) اللعنة.. يعطونك ملاليم ويعودون فيسحبونها منك رصيداً من الهاتف...أربعون عاماً وأنا في هذه المحكمة.. منذ العشرين من عمري.. مئات الآلاف من إعلانات الدعاوى سلمتها للخصوم..وحتى الآن مرتبي لا يكفي لشراء سماعة أذن طبية تعينني على السمع.. والأولاد أصبحوا حسرة بدلاً من أن يكونوا قرة أعين..الفتاة أصيبت بمرض نفسي.. والولد سافر إلى الخليج وهو يعمل راعي إبل رغم أنه يحمل شهادة جامعية.. والولد الصغير في السجن..سيقضي عشرة أعوام بعد قتله لشاب آخر في مشاجرة.. وزوجتي توفيت..وأنا أصبت بالسكر والضغط..رغم أنني امشي كثيراً كثيراً... آه.. هل هذه هي الدنيا بالفعل؟ .. الحمد لله على أية حال...(يرن الهاتف) ألو..ألو..

صوت الجوال: ألو.. نعم.. ياعم عبد الفتاح...

المعلن: ألو ألو..

صوت الجوال: ألو.. ألو .. نعم أنا اسمعك..

المعلن: تسمعني؟

صوت الجوال: نعم أسمعك..

المعلن: ولماذا لا ترد؟

صوت الجوال: رددت عليك..

المعلن: طيب طيب.. الآن أنا أمام شارع الضيوف قرب محلات لاكتوز للملابس الرياضية..

صوت الجوال: شارع الضيوف..لاكتوز؟؟ ماهذا؟

المعلن: عنوان خصمك المدعى عليه الذي سأسلمه إعلان الحضور للمحكمة؟

صوت الجوال: ليس ذلك هو العنوان.

المعلن: أليس هذا هو العنوان؟

صوت الجوال: لا يا سيد.. ليس هذا هو العنوان..

المعلن: كيف ذلك؟.. هذا مكتوب على الورقة كما دونها الموظف القضائي نقلاً من عريضة الدعوى...

صوت الجوال: لا لا.. العنوان هو شارع حارة الدببة قرب صالون المقص الذهبي للحلاقة..

المعلن: هذا غير صحيح..

صوت الجوال: إرجع للورقة..

المعلن: (يرفع الملف قرب عينيه ويقرأ) شارع حارة الدببة قرب صالون المقص الذهبي للحلاقة (يسبل يده الحاملة للملف وينظر تجاه الجمهور مشدوهاً) ولكن كيف؟!!! (يعود ويقرأ الملف) شارع حارة الدببة قرب صالون المقص الذهبي للحلاقة...(يتحدث إلى الجوال بخجل) حسنٌ..خطأ بسيط..سأسلم الإعلان للسيد حسين عبد القادر أليس كذلك؟

صوت الجوال: لا يا سيد..حسين هذا توأمه وقد توفى قبل خمس سنوات..ستسلم الإعلان لحسن عبد القادر وليس حسين..

المعلن: ولكن مكتوب في ورقة الإعلان حسين..

صوت الجوال: لا .. مكتوب حسن..حسين أحد الورثة ولكنه توفى..

المعلن: (يرفع الملف ويقربه من عينيه) المدعى عليه حسن عبد القادر..(يتحدث إلى الجوال) حسنٌ..هو حسن وليس حسين..

صوت الجوال: نعم..

المعلن: طيب طيب...(يغلق الهاتف) يتجه إلى شارع حارة الدببة، ويقف أمامه..ثم يجد زر جرس فيضغطه...يأتي صوت من أعلى فيرفع المعلن رأسه)

الصوت من أعلى: نعم.. ماذا تريد؟..

المعلن: أنا محضر من المحكمة وأريد تسليم إعلان بالحضور للسيد حسن عبد القادر...

الصوت من أعلى: تقصد حسين عبد القادر..

المعلن: لا .. حسن عبد القادر..حسين توأمه توفى منذ خمس سنوات..

الصوت من أعلى: من توفى إلى رحمة الله هو حسن وليس حسين..

المعلن: ولكن مكتوب في الإعلان بحسب ما هو مدون في عريضة الدعوى أن المدعى عليه هو حسن عبد القادر..

الصوت من أعلى: إذاً أنت تبحث عن شخص لا أعرفه...

المعلن: كيف لا تعرفه؟

الصوت من أعلى: حسن هذا توفى قبل خمس سنوات..الحي هو توأمه حسين...

المعلن: ولكن ورقة الإعلان مدون فيها (يرفع الورقة إلى عينيه ثم يقرأ) ح..س..ي..ن.. حسين؟!! (يقف مشدوهاً) ولكن كيف؟ كانت حسن..كيف أصبحت حسين؟

الصوت من أعلى: ألم أقل لك...

المعلن: طيب..وأين حسين الآن؟

الصوت من أعلى: لم يأتِ إلى شقته منذ أسابيع يبدو أنه مسافر...

المعلن: ومن أنت؟

الصوت من أعلى: أنا جاره...

المعلن: هل يمكنك تسليمه الإعلان..

الصوت من أعلى: لا.. لا علاقة لي به..

المعلن: (يدون على صورة المحضر بالقلم الأزرق) حضرنا إلى منزل المدعى عليه ولم نجده..ولا يوجد من يستلم الإعلان بدلاً عنه وهذا بتاريخه وبتوقيعي..هة.. (يرفع رأسه) شكراً يا سيد..

الصوت من أعلى: العفو..

المعلن: (يتصل بالخصم) ألو...

صوت الجوال: ألو...

المعلن: أللووو.. ألو ألو..

صوت الجوال: نعم أسمعك..

المعلن: تسمعني؟

صوت الجوال: نعم أسمعك..

المعلن: لماذا لا ترد عليّ بسرعة إذاً؟

صوت الجوال: رددت عليك بسرعة..

المعلن: أنا اخسر رصيد الهاتف بسبب تأخرك في الرد..

صوت الجوال: إغلق الخط..سأعود لك..

المعلن: (يغلق الخط).. لا يبدو العالم حقيقياً أبداً...سأنزل المعاش بعد بضعة أشهر.. ولكن كيف سأتحمل البقاء بلا عمل..وماذا يعني هذا المعاش؟ إنه يعني عدم صلاحيتي لأكون مواطناً منتجاً.. وهل أنا كذلك؟ نهايتي كإنسان؟!! (يرن الهاتف) ألو..

صوت الجوال: أسمعك..

المعلن: عندما تتصل أنت تسمعني بسرعة..على أية حال لم أجد حسين.. أخبرني جاره بأنه سافر ولم يعد بعد..

صوت الجوال: تقصد حسن..

المعلن: دعني أتأكد (يقرأ الورقة) نعم..حسن..هو حسن..

صوت الجوال: وماذا سيحدث في هذه الحالة..

المعلن: في هذه الحالة أثبت عدم وصول الإعلان للخصم وسيقوم القاضي في الجلسة القادمة بالأمر بإلصاق ملصق على باب الشقة..وهكذا سيعتبر ذلك إعلانا قانونياً صحيحاً...

صوت الجوال: حسنٌ.. لا بأس.. جلسة أخرى وتأجيل آخر ليس بالشيء الكثير..

المعلن: عليك أن تكون صبوراً في مراحل التقاضي.. لا شيء يحدث بسرعة..

صوت الجوال: طيب.. سأرسل لك رصيد بالمبلغ المتفق عليه...

المعلن: جيد (يغلق الخط.. ويعود ليخرج من المسرح)..

(ظلام)

(ينقشع الظلام ببطء عن نفس المنظر ولكن كل شيء معكوس، فشارع حارة الدبة على اليسار وشارع الضيوف على اليمين، وكذلك الصالون على اليمين ومحل الملابس الرياضية على اليسار..يدخل المعلن بذات ملابسه، يقف متأملاً العمارات والمحال) .. شيء غريب... حياتي كلها مقلوبة رأساً على عقب... سرت اليوم في طريقي المعتاد من الجنوب إلى الشمال.. لكنني شعرت بأنني أرى المشاهد لأول مرة.. توقفت وسألت الناس..فأخبروني أنني اسير من الشمال إلى الجنوب وليس من الجنوب إلى الشمال.. لم أصدقهم... واصلت في سيري.. حتى التقيت بصديق..فأخبرني بذات ما أخبروني به..عدت أدراجي وتبين لي بالفعل أنني كنت مخطئاً إذ اعتقدت أن الشمال جنوب والجنوب شمال..هل كبرت في السن إلى هذه الدرجة؟!! إنني مرهق جداً... معي الملصق بأمر المحكمة... (يرفع الملف إلى عينيه ويقرأ بصعوبة) شارع حارة الدبة

جوار صالون المقص الذهبي للحلاقة المدعى عليه حسن عبد القادر..(يتجه نحو شارع حارة الدبة . يقف أمامه.. يجد زر جرس فيضغط عليه عدة مرات.. يأتي صوت امرأة من أعلى فيرفع رأسه ويخاطبها)..

صوت المرأة: هل طرقت الجرس..

المعلن: نعم ..

صوت المرأة: إسمع.. خذ.. (تنزل سلة عبر حبل) هل ترى ذلك الدكان.. أرجوك إشتري لي منه مرقة دجاج.. النقود في السلة...(تُنزل السلة ببطء)..

المعلن: طيب..(يدخل يده في السلة ويخرج النقود..يغادر المسرح ببطء.. يعود بعدها ويضع مرقة الدجاج وباقي النقود في السلة فتسحبها المرأة)..هل السيد حسن عبد القادر موجود..

صوت المرأة: تقصد حسين...؟

المعلن: (يرفع الملف قرب عينيه ويقرأ بصعوبة) ح..س..ي..ن نعم..حسين عبد القادر..

صوت المرأة: إنه يقطن في الشارع الآخر...

المعلن: أليس هذا هو شارع حارة الدبة؟

صوت المرأة: نعم ولكن حسين في شارع الضيوف..

المعلن: (يرفع الملف ويقرأ بصعوبة) شارع الض..الض..ي..و..ف.. أها..حسنٌ..شكراً لكِ..

صوت المرأة: ولكنك لن تجده..فقد توفى والده قبل أسابيع وسافر إلى الولاية الأخرى..وربما لن يعود قبل شهر.. هكذا أخبرتني زوجته قبل أن يسافروا..

المعلن: أها.. طيب.. شكراً لك..(يتجه نحو شارع الضيوف.. يخرج ملصقاً من الملف ويلصقه على الجدار...ثم يتصل بالجوال) ألو..

صوت الجوال: نعم اسمعك.. اقفل الخط لأرجع واتصل بك..

المعلن: (يقفل الخط) لم أعد أفهم شيئاً في هذا العالم.. أصبحت غريباً فيه.. العالم يتغير بسرعة.. بسرعة رهيبة.. وأنا لا زلت في زمان واحد.. حسن..حسين.. حارة الدبة .. الضيوف.. لاكتوز..المقص الذهبي.. هذا سخيف جداً.. لم أعد أحتمل (يتلقى اتصالاً) ألو..

صوت الجوال: نعم أسمعك..

المعلن: لقد توفى والد حسين...

صوت الجوال: تقصد حسن؟

المعلن: لم يعد مهماً.. المهم أن والد خصمك قد توفى...

صوت الجوال: نعم..أعلم ذلك.. لقد سافرت أنا أيضاً والتقيت بحسن هناك وسوينا القضية..

المعلن: طيب..

صوت الجوال: أشكرك على المجهود وسأرسل لك المبلغ المتفق عليه..

المعلن: طيب.. (يغلق الخط..يعود لشارع حارة الدببة.. يقف ويضغط الجرس، يأتي صوت المرأة)..

صوت المرأة: معلش.. أريد فقط ملحاً .. لقد اكتشفت (تنزل السلة أثناء حديثها) عدم وجود ملح.. تعرف أن الطعام بلا ملح لا يمكن أكله.. أرجوك بعض الملح من الدكان..

المعلن: طيب..(يأخذ النقود من السلة..يتحرك ببطء إلى خارج المسرح يغيب لبرهة ثم يعود ومعه كيس ملح، يضعه على السلة ومعه باقي النقود.. فتجر المرأة الحبل وترتفع السلة ببطء)..

صوت المرأة: شكراً أخي..

المعلن: بل أنا الذي اشكرك يا سيدتي..

صوت المرأة: على أي شيء..

المعلن: أرجو أن لا تعتبريها وقاحة مني إذا قلت أنك جميلة.. جميلة جدا..

صوت المرأة: (تضحك ضحكات متوترة) أشكرك..أشكرك..

المعلن: لقد توفيت زوجتي منذ سنوات...

صوت المرأة: يا للأسف...لها الرحمة..

المعلن: وأنتِ؟

صوت المرأة: لا يصلح هذا الحديث من هنا.. يمكنك الصعود لنتسامر قليلاً..

المعلن: إذا لم يكن هذا يضايقك؟..

صوت المرأة: لا على العكس..(تهمس) فقط..لدينا جارة فضولية.. وأنا أخشى أن تسمعني..

المعلن: أها..حسنٌ...سأصعد حالاً..

(يغادر المسرح من جهة اليمين...ثم يعود بعد ذلك بقليل.. يقف أمام شارع حارة الدببة.. يطرق الجرس) لم أعرف شقتك بالتحديد...(يأتي صوت رجل)

صوت الرجل: نعم.. هل طرقت الجرس؟

المعلن: (بتردد) .. ن.. نعم.. (يتحدث إلى نفسه) ولكن كيف.. في هذه الشقة كانت المرأة وليس الرجل؟

صوت الرجل: كيف يمكنني أن اساعدك؟

المعلن: (يصمت قليلاً).. هل.. هل تعرف منزل حسن عبد القادر؟

صوت الرجل: تقصد حسين عبد القادر..

المعلن: نعم.. أقصد حسين عبد القادر..

صوت الرجل: نعم.. أنا حسين عبد القادر..

المعلن: (يتحدث إلى نفسه) ولكن كيف.. كيف..كيف..

صوت الرجل: ماذا تقول.. لم أسمعك؟

المعلن: أنا محضر من المحكمة ومعي إعلان جلسة في دعوى مدنية مرفوعة ضدك..

صوت الرجل: دعوى مدنية؟

المعلن: نعم..

صوت الرجل: ومن رفعها؟

المعلن: (يرفع الملف ويقرأ بصعوبة) المدعي تاج الدين الحبر...(يرفع صوته) تاج الدين الحبر..

صوت الرجل: (بدهشة) تاج الدين الحبر؟!!

المعلن: نعم..تاج الدين الحبر..

صوت الرجل: ولكن هذا مستحيل..

المعلن: ماذا تقصد؟

صوت الرجل: تاج الدين الحبر توفى قبل ثمانية أعوام.. بعد أن كسبت القضية التي رفعتها أنا ضده مباشرة.. صدر الحكم وبعدها أعلنت المحكمة إفلاسه.. ثم مات بعد أسبوعين أو ثلاثة..

المعلن: أمر غريب حقاً...

صوت الرجل: إقرأ تاريخ الدعوى في إعلانك هذا..

المعلن: (يرفع الملف ويقرأ بصعوبة) إن تاريخها قديم..قديم جداً...

صوت الرجل: أرأيت؟

المعلن: ربما أخطأت.. أو..أن موظف القاضي قد سلمني ملفاً قديماً عن طريق الخطأ..

صوت الرجل: لقد أقلقتني حقاً.. هل رفع تاج الدين قضية ضدي.. ولماذا لم أعلم بها.. وما الذي حدث فيها؟

المعلن: لا أعلم شيئاً...

صوت الرجل: أرجوك إقرأ لي عريضة الدعوى إن لم يكن هذا يزعجك..

المعلن: (بارتباك).. لا.. لا يزعجني (يرفع الملف ويقرأ بصعوبة) إن.. إن المدعي في الحقيقة هو أنت.. أنت وليس تاج الدين.. تاج الدين مدعى عليه..

صوت الرجل: أها.. ألم أقل لك..

المعلن: آه.. كم هذا مخجل.. لا أعرف ماذا ألمَّ بي يا سيد حسن..

صوت الرجل: تقصد حسين.. لا بأس لا بأس.. ربما كنتَ تحتاج لقليل من الراحة فقط..

المعلن: لم أعد أفهم شيئاً يا سيد حسين..

صوت الرجل: تقصد حسن.. لا بأس لا بأس..

المعلن: هل أنا حقاً في هذا العالم؟ هل أنا داخله؟ أم أنا في حلم كبير؟ بت أشك في كل شيء.. هل لدي أبناء بالفعل.. هل زوجتي توفت..أم انني لست متزوجاً.. هل أنا معلن في محكمة حقاً.. لم يعد العالم مفهوماً يا سيد حسين أو حسن.. (يرفع رأسه) سيد حسن..(يصيح منادياً) سيد حسين...سيد حسن... سيد حسين...أين أنت؟... (يسقط الملف من تحت إبطه.. يسقط بعدها جواله من يده اليسرى.. يسير في إتجاه الخروج من الجانب الأيسر للمسرح وهو يغمغم) سيد حسن.. سيد حسين.. سيد حسن.. سيد حسين... سيد..

(ستار)

لا تهتم بالتفاصيل- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

حارن

الضابط

العشيقة

مجموعة المدعويين

المنظر:

صالة صغيرة في شقة تتوزع فيها الأرائك وطاولة في المنتصف خلفها مقعد جلوس مبطن بالاسفنج المغلف بالقماش يجلس عليه "حارن" وهو في منتصف الثلاثين من العمر، لكنه يبدو أكبر قليلاً من ذلك..له كرش صغير ويرتدي نظارة يرفعها بحركة من أنفه بين الفينة والأخرى، على الطاولة حلويات وزجاجات مشروبات غازية وأكواب شاي وفي السقف زينة من قصاصات ورق ملون وبالونات، وتتوزع مجموعات من المدعوين للحفل يتحدثون بدون صوت طوال المسرحية. المتحدث الوحيد هو حارِن..

حارن: إنها موضة جديدة..لقد دعتني إلى حفلة طلاقها..لا أعرف هل هي عبيطة أم تحاول إغاظتي أم ماذا.. لكن كيف لا أعرف وأنا عاشرتها لستة أشهر كاملة كانت كالجحيم..هل تستحق ستة أشهر حفلة طلاق..إنني أخجل في الواقع من أن أقول لمعارفي أنني تطلقت بعد ستة أشهر فقط من الزواج..أما هي فتحتفل.. ولكن من يهتم لتلك التفاصيل..لا أعرف إن كان زواجنا تقليدياً أم لا.. فكلمة تقليدي تعني أننا لم نعرف بعضنا يوماً قبل الزواج ولم تنشأ بيننا قصة حب، والواقع أن هذا حدث ولم يحدث في نفس الوقت..ولكن ..من يهتم لهذه التفاصيل..كانت قصة حب عبر الانترنت تعرفت عليها قبل أسبوع من الزواج..دفعنا الشوق نحو خوض التجربة فخضناها بالفعل..وبدون تفاصيل.. كانت تجربة فاشلة بكل المقاييس..بكل بساطة لقد اكتشفنا بعضنا كما يفترض أن يحدث..إكتشفت أنها قيادية..وأنها مدمنة على الحب الرأسي أي حباً استخواذياً ساقطاً من أعلى لأسفل..تحبني في الوقت الذي تريده هي وتهجرني في الوقت الذي لا تريده هي..واكتشفت هي أنني سبهللي .. نعم.. لا أحب النظام ولا أقلم أظافري..رغم أنني لم أبحث عن ثغراتها ولم أُبدِ أي ملاحظات على سلبياتها فأنا لا أحب التفاصيل.. أما هي مثلاً لم تكن تطبخ بل تعمد إلى إنفاق المال على طلبات الوجبات من الخارج..وعندما نخرج تختار أغلى الأكلات واغلى المشروبات وكأنما كان غرضها أن تنتقم مني وبعد هذا كله لا تأكل الكثير مما تطلبه بل تترك الباقي لإشعاري بمزيد من الخسارة..رغم أنها أنفقت على هذا الحفل كما ترون أكثر مما أنفقناه سوياً على معيشتنا المشتركة خلال الستة أشهر

لكنني لم أهتم أبداً بالتفاصيل..خلال الستة أشهر لم تنفق هي مليماً واحداً.. كانت فقط تصدر الأوامر..نظف أطباق الأكل فأنظف أطباق الأكل..اغسل الحمام فأغسل الحمام اغسل الملابس فأغسل الملابس..لقد حولتني لعبد لكنني صمت لأن التفاصيل ليست مهمة كثيراً بالنسبة لي..ستة أشهر اكتشفت فيها تناقضات غريبة جداً..فهي تصبح رومانسية جداً للحظات ثم فجأة تهرب بعيداً لتعيش مع نفسها..لم أفهم هل ذلك حب أم اضطراب عقلي..أعتقد أنه اضطراب عقلي..وكانت متوترة وعصبية..لا تقبل أي اعتراض على أوامرها فوجهها الطويل يحمر كالطماطم وأذناها العريضتان تنتصبان كأذني القط ثم يتوتر صوتها وتتحدث بسرعة حتى يتطاير البصاق من فهمها وعيناها غاضبتان..أقل رد مني كان يغضبها..صوت اكلي أو شربي أو غطيطي..ناهيكم عن أشياء أخرى لا أستطيع قولها صراحة ولا ضمناً فالتفاصيل ليست مهمة.. اكتشفت كائناً مختلفاً عن ذلك الذي كانته في الانترنت..حتى صورتها لم تكن هي بل كانت لفتاة من إقليم البنجاب..ولم تكن تشبهها البتة..مع ذلك لم أهتم بتلك التفاصيل..وواصلتُ معها..سنها المكتوب على الفيس أصغر بكثير من سنها الحقيقي عندما دونه المأزون في قسيمة الزواج.. قالت بأنها بكر ولم تكن كذلك .. صحيح أنها لم تك ثيباً لكنها لم تك بكراً ولا أعرف كيف أشرح أكثر من ذلك ولكن لا تهتموا بالتفاصيل..كنت أرى أهمية تكوين أسرة.. لقد كبرتُ على الاهتمام بتلك التفاصيل الريفية..وكل شيء عندي أضحى براغماتياً جداً..إذ أنني بت أهتم بالفعالية أكثر من إضاعة الوقت في احتساب التفاصيل الصغيرة.. طوال الستة أشهر لم أكن أملك الجرأة على إبداء رأي معارض لها..حتى تجرأتُ أخيراً وأعلنتُ رغبتي في الطلاق.. لقد اخترت الوقت المناسب تماماً ..أي في اللحظة التي كانت تهجرني وتختلي بنفسها في الغرفة..كنت قد فكرت طويلاً في المدخل الذي سأبدأ به الحديث وجهزت مقدمة تمهيدية طويلة نسيتها بمجرد أن رمقتني بعيني ذئب مخيفتين فتقيأتُ الكلام كله في عشر ثوانٍ.. ولكنها لم ترد بل صمتت وعادت لطلاء شفتيها بأحمر الشفاه وكأنها لم تسمع شيئاً.. على أي حال فهذه تفاصيل تافهة ولا قيمة لها.. تم الطلاق وحملت حقائبي وغادرت الشقة لكنها أمرتني بدفع إيجار ثلاثة اشهر قادمة حتى تنتهي عدتها..ففعلت.. حينها شعرت وكأنني قد خرجت من سجن مؤبد عن طريق معجزة..لكنني لم أفكر أبداً في حفلة طلاق..لقد أصبحت موضة هذه الأيام..بعد الطلاق ذهبت لعملي وبعد اسبوع تلقيت دعوتها لحضور الحفل..وها أنا هنا لا أفهم شيئاً.. فهي لم تحضر حتى الآن رغم انقضاء

ساعتين على المواعيد بل وغادر بعض المعازيم وبقيت قلة منهم كما ترون..أين اختفت ولماذا لم تأتِ حتى الآن..(يسمع رنين جرس الباب فيذهب ويفتحه ليجد شرطياً) مرحباً..

الشرطي: مرحباً.. هل هذه شقة السيد حارن؟

حارن: نعم وها أنا ذا..

الشرطي: لا أعرف كيف أنقل لك الخبر..ولكن زوجتك..يبدو.. يبدو أنها انتحرت..(يتوقف جميع المدعوين عن الحديث ويلتفتوا نحو الشرطي) وهذه رسالة لك يا سيدي يبدو أنها كتبتها لك قبل الانتحار..

حارن: (يقرأ الورقة) لماذا فعلتَ ذلك... لا تنسى أن تغلق سدادة انبوبة الغاز..واطفاء المصابيح الكهربية قبل أن تغادر الشقة.. وإذا قلمت أظافرك عليك دفنها حتى لا تجلب لي النحس.. لا تنسى أن تدفع ثمن ايجار الزينة وثمن المشروبات للبقال الذي اشتريتها منه... لحظة..لقد نسيت: أختي الكبيرة لديها أطقم صحون لا تكسرها وأعدها إليها سليمة..وهناك خمسة وعشرون جنيهاً سلمها لها..حسابي البنكي سيغلق اوتامتيكياً فلا تحاول تزوير شيكات بإسمي..وداعاً يا حبيبي..

الشرطي: ما الذي فعلته لها لكي تنتحر؟

حارن: طلقتها..

الشرطي: هذا فحسب؟

حارن: نعم..

الشرطي: لا أعرف ولكن تبدو رسالتها غريبة بعض الشيء..

حارن: ليست غريبة لو عرفتها..ولكن لا تهتم بالتفاصيل..

الشرطي: حسنٌ..هل تذهب معي لرؤيتها..

حارن: لا أعرف..سأبدوا قاسياً قليلاً..ولكن هل أنت متأكد أنها ماتت؟

الشرطي: هذا مؤكد دون شك..

حارن: كيف انتحرت؟ هل شنقت نفسها؟

الشرطي: لا لقد..لقد أدخلت رأسها داخل مكثف الكهرباء المركزي للمدينة.. فصعقت وماتت..

حارن: آه ..حسنٌ..

الشرطي: أليس هذا غريباً..

حارن: ليس غريباً لو عرفتها.. تفعل أكثر من ذلك..ولكن لا تكترث لهذه التفاصيل..

الشرطي: إذا كانت كذلك فاسمح لي يا سيدي أن أبارك لك النجاة منها..

حارن: أنت مُحق..والآن..لا أعتقد أنني أهلٌ للذهاب معك..فأنا طلقتها وأضحت أجنبية عني ثم ماتت..سيذهب معك أحد اقاربها..هذا أفضل..

الشرطي: صحيح..

(يهم الشرطي بالمغادرة)

حارن: هل أنت متأكد أنها ماتت؟

الشرطي: كل التأكد يا سيدي..

حارن: هذا مؤسف.. أشكرك على إبلاغي بالخبر..

(يخرج الشرطي ويغلق الباب فيعود حارن لمقعده ويستمر المدعوون في أحاديثهم السابقة)..

حارن: لماذا أنتم هنا؟.. لقد ماتت صاحبة الحفل فماذا يبقيكم؟

(يخرج المدعوون من يمين ويسار مخارج المسرح بصمت وارتباك، يخرج حارن هاتفه ويجري اتصالاً)

حارن: آه حبيبتي..وأنا كذلك مشتاق لك.. أشعر فقط بإكتآب بسيط.. طليقتي انتحرت قبل قليل..لا..لا تنشغلي بتلك التفاصيل..نعم بالتأكيد يمكنك أن تأتِ الآن في المنزل الأول الذي تركته لها.. مسكينة..نعم..منذ أن ضبطتنا معاً تشوش عقلها وأصبحت لا تُطاق..لا تهتمي بالتفاصيل ففي النهاية هي من اتخذ قرار الانتحار رغم انفصالنا..صحيح..ضبطتنا ونحن متلبسين..لكن هذا موضوع ثانوي.. المهم ..أنا انتظرك الآن..(يغلق الخط ويضع الهاتف داخل جيب قميصه) هذه تفصيلة بسيطة نسيت أن أخبركم بها..ولكن لا تهتموا بالتفاصيل.. في النهاية نحن نرتكب الأخطاء لكي نعرف الصواب..أليس كذلك..وهي نفسها وقعت في الخطأ مع احدهم لكنني لم أهتم بتلك التفاصيل..ولن أهتم أبداً..فستة أشهر يمكنها أن تُكتب في عشرات الآلاف من الصفحات وفي نفس الوقت من الممكن أن تكتب في سطر واحد لتؤدي نفس الغرض، يمكنها أن تكتب في شكل خبر صحفي أو رواية أو مسرحية طويلة أو مسرحية من منظر واحد كما هو الحال هنا أو حتى أن تكتب في شكل بلاغ جنائي يقدم إلى الشرطة..فما الفرق..إن الحديث في حد ذاته ترف..والحديث عن زواج فاشل ترف أكبر..فهناك ملايين الزيجات الفاشلة..الزيجات التي اتسمت بالخيانة والزيجات التي ظلت باقية لمجرد الصبر والتصابر بين الطرفين لسبب ما كالحديث عن الأولاد..الحقيقة أن المشكلة ليست في الأولاد..بل في

الأرادة..البعض لا يملك إرادة الخروج عن عبودية الطرف الآخر.. يخشى الحرية..يفكر بسوداوية في مستقبله وهو بلا مال ولا عمل.. أليس كذلك؟ ربما.. لكن ها هو الاحتفال بالطلاق قد انتهى..ربما أرادت أن تنتحر أثناء حفلة الطلاق ليحملني الناس ذنب موتها..هذا تصرف خبيث جداً.. منها...(يرن جرس الباب فيفتحه ويتبادل مع المرأة قبلات الترحيب على الوجنات) مرحباً بك من جديد يا حبيبتي (تدخل المرأة وتستلقي فوراً على الأريكة فيجلس على الأرض تحتها متوجهاً إلى الجمهور) تبدين متألقة اليوم..منتشية .. ترتدين فستاناً جميلاً كعادتك..فس..ت..ا..ن..اً.....قبل عشرة آلاف عام كان الرجال والنساء يرتدون ما يغطي عورتهم..ولم يختلف الأمر بين رجال ونساء..لكننا تطورنا كبشر وقسمنا الملابس لنوعين..ملابس نسائية وملابس رجالية ثم قسمنا كل شيء بعد ذلك..سجائر رجالية وسجائر نسائية ..عطور رجالية وعطور نسائية ..سيارات رجالية وسيارات نسائية..أحذية رجالية وأحذية نسائية..ألوان غرف نسائية وألوان غرف رجالية..لم يتبق إلا فرشاة الأسنان.. إننا ننفصل يا حبيبتي رويداً رويداً عن بعضنا..حتى يكون الإقتراب بيننا أشد صعوبة..ربما كان ذلك منا حتى نحب لحظات اللقاء ثم نرتاح عندما نعود منفردين بأنفسنا.. لقد انتحرت المسكينة بدون سبب.. ولكن من يهتم للتفاصيل.. (تنهض المرأة وتذهب نحو الطاولة فتملأ كوباً فارغاً بالشراب وتجرع منه ثم تجلس في كرسي آخر بعيد عنه وهو يراقبها بصمت) أها.. هذا حسن..أتخيلك وقد انجبت طفلاً (تضحك ضحكة واحدة مجلجلة) أعجبك ذلك ها.. حسنٌ.. بطنك سينتفخ قليلاً بعد الانجاب وستحتاجين لعملية شد .. هذا البطن الصغير الأبيض الناعم (تحاول منع نفسها من الضحك اثناء امتلاء فمها بالشراب لكنها لا تتمكن من ذلك).. في تلك اللحظة لا نهتم بالتفاصيل كثيرا.. هناك مناطق محددة وقليلة جداً تتمركز فيها العملية كلها..أليس كذلك يا حبيبتي (ينظر إليها باسماً فتومئ برأسها باسمة) هذا هو الفرق بينك وبينها (ترفع حاجبيها بدهشة) إنها كانت تهتم بكل التفاصيل في الوقت الذي لا يجب فيه أن تهتم بالتفاصيل أبداً..تلك اللحظة التي يجب أن نسعد فيها فقط..كانت هي تتأمل كل شيء لترى فيه شيئاً مُنفراً فتنتقده.. رغم أنني أبداً لم أنظر لقدميها ولا أصابع قديمها المعوجة..كانت بعض أصابع قدميها غير متساوية..لديها اصابع قصيرة وسط الطويلة بعضها ضخم كما لو كان متورماً وبعضها قزم وبعضها نحيل..لكنني لم أهتم أبداً بتلك التفاصيل..لكنها على العكس من ذلك تنظر لأصابع أقدامي وتقول بأن أظافري تحتاج لتقليم..هل تتخيلي ذلك..في تلك اللحظة الحميمة تقطع كل نشاطنا وحيويتنا لتبدي تلك

الملاحظة التافهة.. ثم تشتكي من برودي بعد ذلك.. كيف لا أكون بارداً وأنا معرض للإتهام في كل لحظة لقد أصبَحَت تلك اللحظات مرعبة بالنسبة لي..أما معك (ينظر إليها فتبتسم بدلال وهي تغمض عينيها) أما معك فكنت طيراً طليقاً ..عصفوراً حراً.. كنت شقياً أليس كذلك؟ (تضحك ضحكة واحدة مجلجلة)..آه.. وها هي قد انتحرت..وضعت رأسها داخل مكثف الكهرباء المركزي..لا أستطيع تخيل المنظر..لا بد أن شعرها قد وقف كما في أفلام الكارتون (تضحك ضحكة واحدة مجلجلة) .. حسنٌ..وبشرتها.. بشرتها المليئة بالدمامل والثآليل قد اسودت واحترقت..(يبدو الأسف على وجه المرأة)..لكنني أبداً لم أهتم بالنظر إلى جلدها..فالتفاصيل لا تهمني كثيرا يا عزيزتي (ينظر إليها مبتسما فتنظر إليه وتطلق ضحكتها الواحدة، يعود للنظر تجاه الحمهور) كانت ستة أشهر كافية لتوريطي بإنجاب طفل..لكن ذلك لم يحدث لحسن حظي.. لم تكن تنجب.. جيد.. فلربما كان طفلها سينشأ محطماً مع أم مجنونة وأب مقهور..وربما انتهى به الأمر إلى جنونه أو انتحاره بدوره فالعرق دساس..وإن لم يحدث ذلك وحاول أن يعيش محتفظاً بعقله فلربما أصبح رساماً أو شاعراً أو فيلسوفاً.. وليس من المستبعد أن يصبح مجرماً قاتلاً أو مغتصب أطفال..أو يصبح محتالاً صغيراً اما لو كان محتالاً كبيراً فغالباً سيكون سياسياً بارعاً أو ربما وزيراً..لا أعرف فكل الاحتمالات متوقعة في مثل ظروفه تلك..فيمكن أن يكون أيضاً طبيباً أو مهندساً أو حرفياً بارعاً..لا مانع.. هل هناك مانع؟ (ينظر إليها فتهز رأسها نفياً وهي تجمع شفتيها)..لكن..لماذا نهتم بكل تلك التفاصيل المهمة..فالمهم أنني أحبكِ أنتِ (تبتسم وتفتح ذراعيها).. وأنت تحبينني (تضم ذراعها الأيسر وتضع سبابة راحتها اليُمنى على شفتيها مفكرة) لا تحبينني؟!!! هة؟..(تعود وتفتح ذراعيها وهي تضحك).. آه..كنتِ تمزحين..لقد خفت لوهلة..وأنا قادم لحضور حفلة الطلاق.. رأيتها تسير ساهمة.. ترتدي معطف فرو غالٍ رغم أن الموسم صيفي وليس شتوي..أوقفت سيارتي ونزلت فأشعلت سجارة ووقفنا قرب مكثف الكهرباء المركزي..(تحمل المرأة الكوب وتشرب جرعة واحدة صغيرة)..سألتها عن هذه الحماقة التي قامت بها.. لماذا فعلتها مع أحد أعز أصدقائي..لكنها أخذت سجارتي ورمت بها على الأرض فدفعتها وحشرت رأسها داخل المكثف..ثم انتفضت مبتعداً عنها حتى لا تصيبني الكهرباء (يسقط الكوب من فمها وهي تحدق فيه بفزع) رفعت السجارة ووضعتها في جيبي ثم أدرت سيارتي وجئت إلى هنا.. تذكرت ذلك الآن..فأنتِ تعرفين أنني لا أهتم بالتفاصيل (تحمل حقيبتها الصغيرة وتهرب من الباب..يصيح) أين تذهبين؟ (تخرج) آه.. ألم اقل لكم أننا لا يجب أن نهتم

بالتفاصيل..(ينهض ويشعل سجارة ثم يدخنها ببطء وتأمل) هكذا تخلصت من هذه أيضاً...هكذا تخلصت من كل ما تبقى من تفاصيل..سأستمتع بحياتي الآن..بالصورة الكلية.. كما كان يجب أن يحدث بالفعل..

(ستار)

أشياء تتساقط – مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الجالس الأول

الجالس الثاني

الجالس الثالث

الجالس الرابع

الملاك الأول

الملاك الثاني

الملاك الثالث

الملاك الرابع

المسرح: (مساحة خالية الا من أربعة مقاعد ذات مساند اسفنجية مهترئة ، يجلس على كل مقعد رجل ، لا تستبين ملامحهم لسقوط الاضاءة على جزئهم السفلي من أجسادهم ، فيما يقع الظل في وجوههم ، لا يفصل بين كل كرسي وآخر أكثر من عشرين سنتمتر ، وتتراص المقاعد بشكل نصف دائرة ، ولكنها كلها مواجهة للجمهور ، باقي مساحة المسرح تتوزع فيها بقايا اشياء مختلفة ، تبدو كقمامة أو مخلفات ، ملابس ، ادوات موسيقية ، قشر موز ، حجارة ، اغصان جافة ، ...الخ يبدو الجالسون الأربعة متكاسلين في مقاعدهم أياديهم مرتخية ومتدلية على جانبي المقاعد).

(يسمع صوت دوي..يرفع الجالسون الاربعة رؤوسهم الى السماء بصمت ثم يخفضونها) ، تسقط ثلاث مظلات من السماء على المساحة الخالية)

الجالس الأول: سقطت ثلاث مظلات من السماء

الجالس الثاني: سقطت ثلاث مظلات من السماء..

الجالس الثالث: سقطت ثلاثة مظلات من السماء..

الجالس الرابع: سقطت ثلاث مظلات من السماء...

الجلوس الأربع: (لا يوجد شمس...لا يوجد مطر.). ..

صمت ....

(صوت صفارة... يتوقف صوت الصفارة ... تسقط ثلاث قنابل يدوية دون ان تنفجر)...

الجالس الاول: سقطت ثلاث قنابل يدوية من السماء..

الجالس الثاني: سقطت ثلاث قنابل يدوية من السماء ...

الجالس الثالث: سقطت ثلاث قنابل يدوية من السماء...

الجالس الرابع: سقطت ثلاث قنابل يدوية من السماء...

الجلوس الأربع: (لا توجد حرب...لا توجد حرب .. لا توجد حرب)

الجالس الأول: لقد ناضل الرجل حتى النهاية ...

الجالس الثاني: كان رئيس الكتلة اليسارية هو عدوه الأول ..

الجالس الثالث: أما اسعار البطيخ فكانت باهظة الثمن بالرغم من أنه كان فصل الخريف...

الجالس الرابع: لم يكن هناك ميزان للعدالة ، هل رأيتم قاضيا لديه ميزانا في طاولته السميكة البنية؟..

(صوت دوي ... يتبعه بعد فترة صمت سقوط ثلاثة أحزية مختلفة النوع)

الجالس الاول: سقطت ثلاثة أحذية من السماء.

الجالس الثاني: سقطت ثلاثة أحذية من السماء..

الجالس الثالث: سقطت ثلاثة أحذية من السماء..

الجالس الرابع: سقطت ثلاثة أحذية من السماء...

صمت ..

الجلوس الأربع: (لا توجد أقدام ... لا توجد أقدام .. لا توجد اقدام..)..

الجالس الأول: كان السيد س سياسياً بارعاً... لا اعرف كيف ولكنه كان كذلك..

الجالس الثاني: الأتربة أعاقت بصره وهو يقود السيارة .. كان يريد ان يقبل الدبابير التي على كتفيه في نفس الوقت ... لقد مات...

الجالس الثالث: وكذلك اسعار الباذنجان .. كان هناك باذنجان احمر ..هل تصدقون هذا..هل تصدقون ..

الجالس الرابع: لم تتوقف السياسة بسبب الحرب بل توقفت الحرب بسبب السياسة ..كانت هذه معجزة..

(صوت أزيز يليه سقوط ثلاثة بيضات واحدة وراى الأخرى)

الجالس الاول: سقطت ثلاث بيضات من السماء ..

الجالس الثاني: سقطت ثلاث بيضات من السماء..

الجالس الثالث: سقطت ثلاث بيضات من السماء..

الجالس الرابع: سقطت ثلاث بيضات من السماء..

صمت...

الجلوس الأربع: (لا يوجد جوعى ...لا يوجد جوعى .. لا يوجد جوعى..)..

الجالس الأول: لقد كان انصرافيا محضا .. رأيته كيف يسقي الورود يوم وفاة زوجته ..

الجالس الثاني: ارتفعت اسعار الخبز ..اتذكر اننا كنا نقف في طابور طويل جدا ..

الجالس الثالث: لم يتحمل وحشة التعذيب طويلا لقد اقر بجميع المتآمرين معه ..وتم اعدامهم جميعا بدون محاكمات عادلة ..

الجالس الرابع: هناك سخونة في مجرى البول..في المستقيم تحديدا..ولكنها ليست البروستاتا... لقد كان عجوزا جدا ..

صمت ...

(يهبط اربعة ملائكة من السماء..)...

الجالس الاول: سقط اربعة ملائكة من السماء...

الجالس الثاني: سقط اربعة ملائكة من السماء..

الجالس الثالث: سقط اربعة ملائكة من السماء ..

الجالس الرابع: سقط اربعة ملائكة من السماء...

(يقف كل ملاك خلف رجل من الجالسين)...

الجالس الأول: إن المشهد كان فظيعا... كانت القطة تصرخ وهي داخل الزيت المقلي.. كان ينتظر أكلها بفارغ الصبر..

الجالس الثاني: والبطاطس والفلفل الأخضر .. وتاريخ البيزنطيين ..كل شيء كان له رائحة مختلفة..

الجالس الثالث: إن جدنا النياندرتالي او كيفما اسموه كان يملك الأرض كلها .. كان كل ظل شجرة ملكه ..وكل ثمرة تسقط منها يهبها لبطنه الجائعة ..

الجالس الرابع: انه ثرثار مثل حلاق أعمى .. لقد قطعت له زوجته لسانه ومع ذلك لم يتوقف عن الاشارة بيديه واصابعه ..

(يتسلط الضوء على رؤوس الملائكة الاربعة ، باجسادهم الصغيرة ووجوههم الطفولية ، واجنحتهم الملونة ...)

الملاك الأول: أيها الجالس الأول ..

الجالس الأول: نعم يا ملاكي الصغير.. انني مصغ..

الملاك الأول: لقد تذوقت طبيخ الجنة .. كان شهياً ولكن طبيخ السيدة كان أشهى .. هل تعرف لماذا؟

الجالس الاول: نعم أعرف .. كان هناك ثوم وبصل .. والجنة لا تتحمل الروائح الكريهة .. دعني أقول بأن عالمكم العلوي لا يتفق البتة مع عالمنا السفلي..انا لا أعرف حقيقة ايهما اكثر ثراء ..لكن..وبما أنني بشري ..وبما أنني اناصر جنسي حد العنصرية أستطيع ان اقول بأن الجنة فقيرة جدا .. انها كلوحة جميلة لكنها لن تضاهي الطبيعة ...

الملاك الثاني: أيها الجالس الثاني؟

الجالس الثاني: نعم يا ملاكي ..هل انت ملاك حارس؟

الملاك الثاني: انا لم اتخصص بعد يا سيدي .. لكنني اعرف مهامي جيدا .. في الواقع هل تعرفون انتم مهامكم .. لماذا تبدون لي فوضويين هكذا؟..

الجالس الثاني: إن تاريخ الفواكه في الارض كان مضطربا جدا... لم تبين لنا النظرية كيف تطور الموز ليكون موزا ... ولماذا لم يصبح شيئا آخر ... ان الفوضى التي تتحدث عنها ليست حقيقية ..لأن عالمكم ثابت .. خاضع .. لا يمكن اكتشاف شيء فيه .. مع ذلك فغموض عالمنا السفلي يجعله هكذا ... مثل السيد س الذي شنق زوجته لأنها كانت تضغط معجون الأسنان من الأعلى وليس من الأسفل ...

الملاك الثالث: ايها الجالس الثالث..

الجالس الثالث: هل تعرف انني كنت اتوقع ذلك.. اتوقع جملتك هذه؟

الملاك الثالث: أتريد القفز على الواجبات؟

الجالس الثالث: لا لا اريد القفز على الواجبات ..لكنني لاحظت اهتمامكم بالتكرار..التكرار الممل ..حتى في نصوصكم ... لقد تبادر الى ذهني ان الاسطورة السومرية غسلت ادمغة السومريين الاوائل عبر التكرار ذي الطبيعة المقدسة ... هناك شيء نمله نحن البشر.. التكرار ... ومع ذلك ينفي البعض التكرار.. يقولون بأنك لا تستطيع ان تكرر شيئا وانك لا تستطيع ان تنزل في نفس النهر مرتين .. اصدقك القول ان ما يتكرر عندنا هو الشعور فقط... الشعور يتكرر بدون ادنى

شك... حتى الكلبة التي كانت حبلى للمرة الخامسة كانت تشعر بذات شعورها حين حملها الأول...

الملاك الرابع: ربما تجاوزاً عن ملاحظة الجالس الثالث سأسألك مباشرة ايها الجالس الرابع قبل ان امنحك تأشيرة الخروج .. هل تريد الخروج...

الجالس الرابع: انني اتذكر الاشياء التي سقطت جميعها يا سيدي الملاك الرابع..اتذكر انني في الواقع لم احرك ساكنا ابدا ، لقد كنت مستسلما تماما ..ليس جبنا مني ولكن لأنني لا أملك سوى ألا افعل شيئا .. هل تعتقد أنكم في عالمكم اقل عجزا منا.. هذا وهم .. ان عالمنا السفلي هذا هو الاقل عجزا رغم انه في النهاية عجز .. لأننا مثل طفل صغير يملك ثلاثة دمى ..وهو مضطر لأن يلعب بالثلاثة حتى يكبر .. نحن نلعب بدُمانا بشكل دائم..لكن بدلا من ان تقف الدمية دائما نجعلها جالسة..وبدلا عن ان تسير الى الامام نجعلها تسير الى الخلف .. وفي كل الاحوال فنحن وبشيء مما نسميه ذكاءً نحاول طرد فكرة العجز عنا بلعبة التباديل هذه .. ان الفلاحة وهي تحلب ضرع البقرة تختار زوايا مختلفة لقبضة يدها رغم ان الضرع واحد ..

يردد الملائكة الاربعة في صوت واحد:

(فلنجهز مشانق الارواح .. الزهور البرية في الشتاء .. عسل السدر في شمعه ... والفتاة تصاب بصرع مفاجئ كل يومين او ثلاثة)..

(ينهض الرجال الاربعة من جلستهم وهم يرددون بصوت واحد)

(قبة العماء.. مِثلُ سياسي يكذب دائما .. لا شيء يدفعنا الى الوجود سوى اكتشافه .. ولا شيء سوى العجز ... فلنرتفع الى السماء)

(يرتفع الرجال الاربعة الى السماء ويختفون... ويجلس الملائكة الاربعة في مقاعدهم..)

(يسود صمت لنصف دقيقة...)

(تسقط ثلاثة كتب من السماء...)

الملاك الأول: سقطت ثلاثة كتب من السماء..

الملاك الثاني: سقطت ثلاثة كتب من السماء..

الملاك الثالث: سقطت ثلاثة كتب من السماء..

الملاك الرابع: سقطت ثلاثة كتب من السماء ..

(ستار)

أشخاص أحياء- مسرحية من مشهد واحد

اشخصيات:

جابي

الفتاة

الموظف

الفتى

روحا

المنظر:

"قاعة دي جي خالية، في المنتصف، أجهزة الصوت يقف خلفها جابي وهو في الستين من العمر ويضع سماعات ضخمة على أذنيه وعلى الأطراف مكبرات صوت ضخمة"

" يرقص جابي وهو مغمض العينين"

تدخل الفتاة وهي في الثامنة عشر..تتجه نحوه بفضول وتأخذ السماعة وتضعها على أذنيها.."

الفتاة: (مندهشة) لا يوجد صوت..

جابي: يوجد صوت..(يخلع السماعة من رأسها ويضعها على اذنيه ويغمض عينيه ويرقص"

الفتاة: (تضع كفيها على خصرها وتنظر له باستغراب..ثم تخلع السماعة من أذنيه وتضعها على أذنيها) ولكن..لا يوجد صوت..

جابي: أنتِ صماء..

الفتاة: لستُ صماء..

جابي: ما اسمك..

الفتاة: لا اسم لي؟ وأنت؟

جابي: جابي...

الفتاة: لماذا جئت إلى هنا؟

جابي: ولماذا لا آتي؟

الفتاة: عذراً ولكنك عجوز...

جابي: (تتسمر نظراته) أووه.. عجوز...أنتِ متنمرة..

الفتاة: (تحتج) لست متنمرة..ولكن هذا ديجي..هذا لنا نحن..

جابي: إحتكار غير مؤسس على أرضية صلبة..

الفتاة: ماذا تعني؟

جابي: أعني أنني أرقص أفضل منك..واستمتع بالموسيقى الصاخبة أكثر منك..

الفتاة: ليست صاخبة..

جابي: (بحيرة) آها..ليست صاخبة..لقد اخطأت..هذا هو الفرق إذاً...

الفتاة: إن حبيبي راقص ماهر..لقد واعدني هنا..لكنه تأخر..

جابي: لن يأتي..

الفتاة: (محتجة بغضب) وكيف تعرف أنت؟

جابي: (بحيرة) هل أفقد الأمل؟

الفتاة: (تضحك)

جابي: ما معنى ذلك؟

الفتاة: ماذا؟

جابي: هذه الضحكة؟

الفتاة: إنني في عمر حفيدتك؟

جابي: ليس لدي حفيدة..

الفتاة: أقصد..لو كان لك حفيدة..

جابي: إنني نظيف..لدي عضلات قوية..سيقاني كذلك قوية..لست قبيحاً..قليل من المال..منزل وسيارة..

الفتاة: هل هذا عرض؟

جابي: لا...ليس عرضاً...لكنه سؤال..

الفتاة: (تنظر في ساعتها) آه..متى سيأتي؟...

جابي: هل ترتدين نظارة شمسية في الليل؟

الفتاة: (مندهشة) نعم..كيف عرفت؟

جابي: الورقة .. إنك لم تقرأي الورقة التي على مدخل المرقص..المرقص مغلق اليوم...

الفتاة: (بفزع) يا إلهي..لابد أنه قد أتى وقرأ الورقة فغادر..

جابي: إنه لم يقرأ الورقة..

الفتاة: وكيف عرفت؟

جابي: لأنه لم يأتِ..

الفتاة: وكيف عرفت؟

جابي: ببساطة لأنه لم يتصل بك في لحظتها..

الفتاة: لعله كان مشغولاً..

جابي: بالتأكيد كان مشغولاً..

الفتاة: كيف عرفت؟

جابي: يبدو أن حبيبك يمتلك سيارة رياضية..

الفتاة: (مندهشة) نعم كيف عرفت؟

جابي: أليس لديك سؤال غير هذا؟

الفتاة: (بشراسة) لا وعليك أن تجيبني..هل رأيته..هل تعرفه؟

جابي: لا..ولكنك تتمسكين به بقوة رغم أنه يسخر منك باستمرار....

الفتاة: (بغضب) ماذا تقول؟ من أخبرك بهذا الهراء؟

جابي: غضبك الآن..

الفتاة: (تهم بالبكاء) لست غاضبة..

جابي: من أي بلد أنتِ؟

الفتاة: لماذا تسأل؟

جابي: لهجتك غريبة..هل أنت لاجئة؟

الفتاة: كيف عرفت؟

جابي: هووووه يا فتاتي الصغيرة...إن شبكة من التكرار تحاصر سلوكياتنا فتجعلها مفهومة للآخرين...

الفتاة: لم أفهم..سأغادر...

العجوز: (يمد ذراعه) يمكنك أن تبكي في حضني إن أحببتِ..

الفتاة: لا..لا أريد (تتحرك نحو الخروج ثم تعود وترتمي في أحضانه وتجهش بالبكاء)

جابي: إنك خائفة..لكنه لا يناسبك يا بنيتي..(تظل الفتاة تبكي في حضنه).. كلنا كنا نخاف..وكان الخوف يحزننا..نحن الآن نحزن دون حاجة للخوف..ولكننا أحياء..إن كل شيء

يستقر..وكل من التقينا بهم ونحن في مثل عمرك اختفوا تماماً حتى نسينا ملامح وجوههم..حتى حبنا الأول أضحى قضية قابلة للتأويل المضحك..

الفتاة: (تمسح دموعها) سأغادر..

جابي: ادخلي إلى الحمام واغسلي وجهك وضعي الأصباغ عليه..هذا سيساعدك قليلاً...

الفتاة: حسنٌ..(تغادر ببطء)..

جابي: (يضع السماعات على أذنيه ويرقص)..

(يدخل موظف الضرائب، وهو قصير ومنتفخ الكرش)

الموظف: آه يا جابي المتصابي..لا زلت تلاحق الفتيات الصغيرات..

جابي: لا تقل هذا أمام صديقتي الصغيرة..

الموظف: (بدهشة وحسد) صديقتك الصغيرة؟ أنت تمزح؟

جابي: سوف ترى..

الموظف: ولكن كيف تفعلها كل مرة..؟

جابي: الخبرة..

الموظف: ولكنك عجوز...

جابي: لذلك أنت لا تصدقني..أنت تفهم الوجود من حولك بحسب ما قاله لك المجتمع..

الموظف: أراهنك بتخفيض ضرائبك على أنك تكذب..

جابي: موافق..

الموظف: وأين هي؟

جابي: إنها في الحمام.. تستعد...

الموظف:(يضرب بقدمه الأرض معترضاً) ولكن هذا جنون..

(تخرج الفتاة وتتقدم نحو جابي وتطبع على خده قبلة ثم تغادر وموظف الضرائب يراقبها بحنق ودهشة حتى تخرج)..مستحيل..أكاد أجن...

جابي: كم ستخفض الضريبة؟

الموظف: ولكن كيف؟

جابي: أنت من ورطت نفسك..

الموظف: كيف تفعل ذلك؟ أريد أن أفعل مثلك..

جابي: آه...يبدو أنك انجبت ستة أطفال..

الموظف: (بدهشة) كيف عرفت؟

جابي: زوجتك غالباً ربة منزل..إنها لا تعمل..إن رجلاً مثلك يصعب عليه أن يتزوج بامرأة عاملة..

الموظف: (بغضب) ماذا تقصد برجل مثلي؟

جابي: أقصد رجلاً لا يستطيع إيقاع الفتيات في حبائله..

الموظف: أنت لم ترني أيام الشباب..

جابي: أشك في ذلك..

الموظف: أقسم لك...

جابي: لقد كنتَ إنساناً أقل من عادي أيام الشباب..منطوٍ على نفسك..تخاف من المغامرات..تفضل السلامة..توظفت في وظيفة لا تسمح لك بأي ترقية..لكنها أفضل من لا شيء..ثم تزوجت ابنة امرأة تسكن جوار خالتك.. فتاة نصف سمينة ترتدي نظارة طبية..واخترتما الحياة هكذا..

الموظف: (بفزع) اللعنة..كيف عرفت ذلك؟

جابي: إن شبكة من التكرار تحاصر سلوكياتنا فتجعلها مفهومة للآخرين...(ثم فتح ذراعه) يمكنك أن تبكي في حضني يا عزيزي..

الموظف: (بغضب) لست شاذا لأفعلها مع رجل...(يهم بالمغادرة لكنه يرتد بسرعة ويلقي بنفسه في أحضان جابي ثم يجهش بالبكاء)..

جابي: هناك أزمة إنسانية..ويبدو أنها تاريخية ومزمنة..والأفلام الأمريكية تعمق إحساس البشر بوجود نقص كبير في ممارسة حياتهم..(يمسح الموظف دموعه ويغادر)...بعد التغيرات التي حدثت كان عليَّ أن أستفيد منها..فأنشأت هذا المرقص..تركت التدريس الجامعي وتفرغت للمرقص..لم أشعر بأي انحطاط بل على العكس..لقد انتابني إحساس فريد بالحياة..من رؤية الطلاب البائسين الذين يندفنون داخل الكتب المقررة، إلى الشباب الراقصين هنا...الطلاب يتخرجون وقلة منهم تنال فرصتها في التطور العلمي لحماية الحياة..والأكثرية تفشل في ذلك وتأتي للمرقص هنا لتمارس الحياة..إن ذلك تكامل مدهش...

(يدخل رجل عجوز وهو استاذ مدرسي سابق)

الأستاذ: عمت مساءً يا جابي..

جابي: لماذا أتيت لمرقصي..لقد كنت أحد من قادوا الحملة القضائية ضد إنشائه هنا..

الأستاذ: آه..لم أعد أعرف إن كان موقفي كان صحيحاً أم خاطئاً..في بعض الأيام يشتعل الحي بالشجارات الدموية بين رواد المرقص..لكنني أصدقك القول بأن المرقص قد جعل شوارع المنطقة أكثر حيوية..بائعو المشروبات تجمعوا حول المرقص..ثم تلاهم أصحاب البازارات..ثم محلات الموسيقى وخلال سنتين فقط ارتفعت أسعار العقارات بيعاً أو إيجاراً..وكل ذلك بفضل مرقصك..

باجي: لولا أمر وقف التنفيذ المؤقت الذي أصدرته المحكمة بسبب دعواكم لكان المرقص قد أنشيء قبل أربع سنوات من الآن..

الأستاذ: كل شيء مقدر يا عزيزي..

جابي: لا.. إن التقديرات الخاطئة يجب أن ننسبها للبشر الذين قدروها وليس لله..

الأستاذ: حقاً...أنا آسف على ما حدث..لكنك أنت أيضا انقلبت من رجل محترم لصاحب مرقص..

جابي: رغم أنني أفهم هذا النوع من اللمز ولكن صدقني..أنت نفسك كنت ترقص قبل أن تصبح عجوزاً فهل كنت شخصاً غير محترم عندما كنت ترقص..دعني أذكرك برقصك في زواج حفيدتك...

الأستاذ: رقص عن رقص يفرق..

جابي: هكذا يستطيع الناس دائماً التبرير لأنفسهم..حتى المجرم الذي يذبح إنساناً يكون قد برر جريمته لنفسه قبل أن يرتكبها...

الأستاذ: هذا صحيح..يبدو أن التطرف وعدم فهم الذات مزروعة في جيناتنا البشرية..

جابي: إنني أفهم ذاتي جيداً..

الأستاذ: هذا جيد..

جابي: هل تريد أن ترقص..

الأستاذ: (يضحك)

جابي: هيا (يشغل أغنية) أرقص الآن..دعنا نرى إن كنت حاذقاً كأيام شبابك أم لا..

الأستاذ: حسنٌ (يبدأ في الرقص)

جابي: (يصفق) برافو برافو...أنت تنجز جيداً..

الأستاذ:(يتوقف) لكنني تعبت..

جابي: لو رقصت كل يوم فسصبح جسدك أقوى..وروحك أيضاً..

الأستاذ: واقترابي من الموت أيضاً..

جابي: لو رقصت فلن تخاف من الموت...

الأستاذ: لا أعرف..لكنني بت أخاف كثيراً من الموت..

جابي: ولذلك انشأتُ هذا المرقص.لأكون سعيداً حتى آخر لحظة من حياتي..هذا العالم مليئ بالمتفلسفين..وحماة العقلانية.. والكتب التي لا يقرؤها أحد..وملايين الأبحاث المركونة على الأرفف بلا فائدة...إنهم يزيدوننا تعاسة..

الأستاذ: لماذا نحن هنا؟

جابي: (يفتح ذراعه) لا أحد.يعرف..هيا..ارتمِ في أحضاني وأبكِ كما تشاء..

الأستاذ: (يرتمي في حضن باجي ويجهش بالبكاء)..

جابي: يكفي هذا..تحتاج للشرب..

الأستاذ: (يكفكف دمعه) الشرب يزيدني كآبة...سأغادر..(يخرج)..

جابي: ما هي الريح؟ يقولون أنها حركة ذرات الهواء والتي تنتج عن سخونة الأرض وبرودتها..يقولون أنها تنتج عن حركة الأرض حول الشمس أيضاً..لم أعرف أبداً أن الهواء ذرات..كنت اعتقد أنه مجرد فراغ..ولكن في كل الأحوال فهناك ريح تضرب أجساد الراقصين عندما يتحركون بخفة..تلك الذرات الصغيرة غير المرئية تمنحهم شعوراً بالنشوة وهم يحطمونها بحركات سيقانهم وأيديهم..إنهم يمثلون دور البرودة والسخونة..وحركة الأرض..ويمكنني أن أجزم أن هناك رابطاً يوحد كل الوجود مع الراقصين في تلك اللحظة..

(يدخل فتى في الثامنة عشر من عمره)

الفتى: يا جابي...لماذا أغلقت الدي جي.

جابي: لأمنحكم فرصة صنع تشكيلات جديدة من الرقص..لقد أصبحتم مملين في الآونة الأخيرة..

الفتى: (بدهشة وحزن) حقاً؟

جابي: حقاً...لا يوجد سوى رقصة المروحة ورقصة البطة ذات الساق المكسورة ورقصة العنكبوت المجنون ورقصات أخرى تتكرر وتتكرر..أين الإبداع..يبدو أنكم قد فقدتم براعتكم وخيالكم..

الفتى: بالعكس..سوف ترى رقصات جديدة يا باجي أقسم لك..إن مجموعتنا مجموعة عقارب السماء ستلدغ باقي المجموعات لدغات سامة قاتلة..أقسم لك..سوف نفوز هذه المرة..لقد أستعددنا جيداً..

جابي: سنرى..

(يخرج الفتى)

جابي: هذا وحده الذي لا يحتاج ذراعي ليبكي.. ألا يمكننا أن نستعيد روحهم هذي؟.. كل شيء يمضي لا يعود...

(تدخل السيدة روحا في منتصف الخمسينات)

روحا: جابي أيها الفتى الوسيم..

جابي: (يتحدث إلى نفسه) روحا روحا.. السيدة الخفيفة (يتحدث إليها) حبيبتي روحا..

روحا: كم أتمنى أن ترقص معي يا جابي..

جابي: ساقي تؤلمني يا روحا...البارحة حاولت القيام برقصات غبية مقلداً الشباب..لكنني بدلاً عن ذلك لويت كاحلي..

روحا: (بجزع) سلامتك حبيبي..(تنحني لترى ساقه)..

جابي: لا لا ..لا داعي لرؤيتها..رغم أن لمس يديك لها سيشفيها لا محالة..

روحا: (بغضب) أنت تتهرب من الرقص معي..

جابي: أبداً أبداً..كل مافي الأمر أن ساقي فعلاً تؤلمني..

روحا: متى نعيش سوياً يا جابي..أنا محتاجة لك...

جابي: أووه حبيبتي..هل تعلمين أين نحن الآن؟

روحا: لا..أين نحن..

جابي: إننا في اللا مكان يا حبيبتي..في اللا مكان..

روحا: كيف هذا؟

جابي: نحن لسنا في دولة محددة..ولا داخل ثقافة محددة.. نحن نتشارك بشريتنا الضائعة فقط...

روحا: لسنا في دولة محددة؟ كيف هذا؟

جابي: اخبريني أنتِ..في أي دولة نحن؟

روحا: (تفكر بحيرة).. لا أعرف..

جابي: وما هي ثقافتنا؟

روحا: (تفكر بحيرة) لا أعرف...(تحتضنه بخوف) جابي..إنني أشعر بالفزع..

جابي: لك الحق في أن تفزعي يا حبيبتي..لك الحق..من أين أتيتِ الآن يا روحا؟..هل تعلمين؟..

روحا: (تخفي وجهها داخل حضن جابي وتهز رأسها) لا أعرف..لا أعرف..جابي..جابي..من نحن..

جابي: هل تحبينني يا روحا؟

روحا: أكيد يا جابي..

جابي: متى أحببتني يا روحا؟

روحا: (تهز رأسها داخل أحضانه) لا أعرف يا جابي..لا أعرف...

جابي: (يمسح شعرها بيده) .. لا شيء جديد يا فرحا...إن شبكة من التكرار تحاصر سلوكياتنا فتجعلها مفهومة للآخرين...لماذا؟ لأن الآخرين متطابقون معنا...؟ هل فهمتِ؟ إذا لم تكوني تعرفين فتأكدي أن الآخرين أيضا لا يعرفون...لذلك فليس عليك أن تخافي...كل ما يجب عليك أن تفعلينه هو الرقص...(يدفعها بخفة عن جسده ويشغل الموسيقى الصاخبة)..أرقصي الآن..

روحا: سترقص معي؟..

جابي: بالتأكيد..

(يلتقط يدها ويبدآن في الرقص)

(ستار)

حدود بلا حدود- مسرحية من مشهد واح

الشخصيات:

الرجل

المرأة

المسرح:

ينقسم المسرح إلى قسمين بجدار في المنتصف، على القسم الأيمن غرفة بها نافذة تطل على أبراج سكنية عالية عليها حبال غسيل بها ملابس متنوعة. وفي الغرفة الأخرى نافذة أيضاً ولكنها تطل على حديقة وجبال زرقاء..، الغرفة الأولى مؤثثة بسرير صغير ومقعد ومطفأة سجائر فوق طاولة إلى يسار المقعد. أما الغرفة الثانية فهناك دولاب خشبي، وسرير صغير ولكنه وثير، وهناك ستارة مجموعة على جانبي النافذة ولا تغطيها، أما الحوائط فمزركشة بورق الجدران..وعلى اليسار لأقصى الخلف هناك منضدة بمرآة كبيرة، وعليها عطور وبعض الحاجيات النسائية.

في الغرفة الأولى وعلى المقعد يجلس رجل في الثالثة والستين من العمر بملامح تلك السن، يرتدي قميص أزرق وبنطلون أزرق غامق، ويشمر قميصه حتى منتصف الساعدين. وعلى يده اليسرى ساعة فضية قديمة من النوع المجنزر الكبير.

في الغرفة الأخرى، تقف سيدة خمسينية على النافذة وهي تعطي الجمهور ظهرها..تقف متأملة الأفق، وعلى رأسها لفت قطعة قماش ملونة معقودة من الخلف على شكل فراشة.

في الأداء، يغلب الجلوس على الرجل، والحركة على المرأة، التي تعدد مواقع جلوسها أو وقوفها باستمرار، تفتح الدولاب، ثم تغلقه، تجلس أمام المرأة، تمسح شفتيها بأحمر شفاه، أو تنهض وتقف امام النافذة. تجلس على السرير، أو ترقد نصف رقدة ثم تتحرك مرة اخرى وتنظف الأرض بمكنسة ذات عصا خشبية طويلة..وهكذا..

المرأة: الغرفة نظيفة.. (بقلق) هل هي نظيفة؟ لا أعرف لماذا لم يعد النهار يمنحنا إضاءة كافية..(تعدل من وضع نظارتها) لعله من ضعف نظري..(تفتح الدولاب وتخرج عود ند، ثم تشعله وتعلقه بشكل أفقي على المرآة)..هذا أفضل..لا أحب رائحة الغرف المغلقة..(تنظر إلى النافذة) مع أن النافذة مفتوحة ولكن لا هواء..لا رياح..(تتجه نحو النافذة) كأنما الأرض قد توقفت عن الدوران..(تنظر للسماء) أين الشمس؟ (تترك النافذة وتجلس على السرير وهي تحدق أمامها بفزع) لن تكون هذه هي النهاية..بالتأكيد لا..بالتأكيد لا...(في الغرفة الأخرى يشعل الرجل سجارة ولا يدخنها بل تظل بين أصبعيه) ..لماذا لم تزقزق العصافير هذا الصباح..(تتجه نحو

النافذة وتقف بزاوية ممسكة بطرف الستارة رغم أنها لا تغطي النافذة) هذا اليوم طويل جداً..وهذا..هل هو جيد أم سيئ؟ لا أعرف؟ سيمنحني ساعات إضافية من الحياة..ولكنها ستظل ساعات بلا معنى..هنا هدر كامل للزمن..أيْ هدر للحياة..فلا هدر في الموت..لأنه لا زمن هناك..هل من الخطأ أنني تركت دراستي لأتزوج؟ (تترك النافذة وتجلس على طرف السرير..ثم تنهض وتجلس أمام المرآة وتتعطر) وماذا كنت سأفعل بالدراسة؟ إنني كنت أمقتها..ولا زلت أمقت مشاهدة الكتب..بل والصحف..بل حتى لافتات المحلات التجارية..إنني أمقت القراءة..لا أعرف كيف يزعم البعض أنهم يستمتعون بها؟ يبدو أنهم مدعين...تماما كطليقي السابق..كان مقاول بناء..يقرأ كثيراً دون أن يفهم كلمة فقط ليتجاوز عقدة النقص التي تعشعش داخله..(يطفي الرجل السجارة دون أن يدخنها) .. لماذا أتذكره أساساً بعد أن نسيت حتى اسمه...(تفتح الدولاب وتخرج منه حقيبة نسائية جلدية) سأبحث عن صورته..(تدخل يدها داخل الحقيبة) لا شيء في الحقيبة..(تقلب الحقيبة وتهزها فتسقط صورة)..صورة واحدة؟!! (تهز الحقيبة عدة مرات) لا شيء غير صورة واحدة؟!! إنها صورته هو فقط..(تهمس) لم أعرف رجلاً غيره..(تتأمل الصورة وهي تضم شفتيها وتقرن حاجبيها)..كنت أراه وسيماً..لماذا يا ترى؟..(ينهض الرجل وينظر من خلال النافذة..يضم يديه ويمسح بكفيه ذراعيه محاولاً تدفئة جسده..ثم يغلق النافذة ويعود ليجلس من جديد)..هل كرهته فعلاً؟ لا اتذكر حقاً طبيعة شعوري تجاهه في ذلك الوقت.. (تترك الحقيبة وتتجه إلى النافذة وتقف بجنبها كأنما تتلصص النظر إلى الخارج)..لماذا لا يمضي الوقت؟..السماء كما هي ..يوم طويل جداً...لا أعرف ما إذا كان هذا شيء جيد أم سيئ..يبدو أنه سيئ..هدر بلا مقابل..(تجلس على السرير وتخفت الإضاءة في غرفتها قليلاً)..

الرجل: يجب أن أرحل عن هنا..الأرض جبلية ومرتفعة..الأجواء باردة دائماً..لا يصلح هذا مع رئتَيَّ المريضتين..لا أستطيع تدخين سيجارة واحدة دون أن أسعل..إن التدخين متعتي الوحيدة...لكن إلى أين سأذهب؟..(يشعل سيجارة دون أن يدخنها) البارحة تسلل أحد قرود الجبل وعبث بكل مخزوني من الطعام.. وحين ضبطته متلبساً بيده الممتلئة بالحلوى نظر لي بفزع وقفز قفزات واسعة وغادر عبر النافذة...قرود الجبل قبيحة وغير مستأنسة..وأحيانا تكون خطرة .. خاصة بالنسبة لرجل مثلي..يعيش وحيداً..ويمتلك مقاومة عضلية ضعيفة...(يطفئ السيجارة ثم ينظر متأملاً) ألا يمكن أن أجد شخصاً يسكن معي؟ طالب جامعي..لا لا.. الشباب نزقون..كما..كما أنه لا توجد جامعة هنا...لكن..لكن لابد من أن أجد شخصاً يعش معي

هنا..أراقبه ويراقبني.. لكن لا .. لن أتحمل شخصاً غريباً معي.. لم أعتد على الحياة مع الآخرين..(تتحرك المرأة نحو المرأة وتجلس أمامها، في حين ينهض الرجل ويفتح النافذة...يقف امامها ويضم يديه إلى صدره من البرد، يتأمل الأبراج) كل الشرف خالية من البشر..فقط حبال الغسيل..إنهم يغسلون كميات هائلة من الملابس..هل يرتدون كل هذه الملابس حقاً..(يغلق النافذة) برد..(يجلس إلى الكرسي، تنهض المرأة وتفتح الدولاب ثم تعود لتجلس أمام المرآة..يبقى الرجل جالساً..)..ولكن..يجب ألا أفكر كثيراً.. التفكير يعود بذاكرتي إلى الوراء حيث لا أملك حاضراً يشغل عقلي...ولكن..ألا يبدو هذا اليوم طويلاً أكثر مما ينبغي؟ أعتقد ذلك.. لكن..ألم يكن طويلاً كذلك البارحة؟ ألم أتساءل ذات السؤال؟..هل أذهب إلى السينما؟.. سينما؟..هل هناك سينما هنا؟.. لا أعتقد...لكن حتى لو كانت هناك سينما .. هل سأستمتع؟ ربما..هل بالقبلات..لا تجذبني الأفلام الرومانسية.. وأكاذيب الإثارة تبدو سمجة.. لا شيء يبدو مسلياً..لا شيء مُسَلٍّ مثل العودة إلى الذكريات القديمة...(يهمس) الذكريات القديمة..آه.. تبدو كقصص محمولة على الريح..أو على لحن سماوي..(يبتسم).. عالية جداً وبعيدة جداً...ما يخلق الذكريات هي الحماقات..لا حماقات لا ذاكرة.. الصبا والشباب.. الحب..أو الإنهمام بالبحث عن الحب..ثم إيجاده..ثم الصراع داخل أكذوبته..ثم محاولة التملص منه والمروق منه بأقل الخسائر...(تنهض المرأة وتقف بزاوية أمام النافذة) لم تتحمل..لم تصبر..وأنا كذلك لم أتحمل ولم أصبر... لا أتذكر كل شيء بوضوح..بعض الوقائع لا تتناسب مع تاريخها..سأدخن(يشعل سجارة ويدخن..يسعل بشدة فيطفؤها) ماذا أفعل..(يغمض عينيه، تتحرك المرأة تاركة النافذة وتجلس على السرير)..

المرأة: (تنظر للصورة المسجاة على السرير..ترفعها وتحدق فيها)..لست نادمة.. لكن هناك شيء ما يدفعني إلى الشعور بالندم.. ربما هذا النهار الطويل..(يمدد الرجل قدميه ويسترخي مغمضاً عينيه) كم عاماً مضى دون أن أتذكره؟ عشرون عاماً؟ ربما..أكثر....أقل.. لا أتذكر..لا يهم..إن الفراغ هو السبب..نعم.. لكن ما الذي يمكنني أن أفعله؟ أذهب للتسوق؟ لا.. ماذا سأشتري؟ لا شيء حقاً.. هل أحاول تعلم زراعة الزهور؟ ولكن الحديقة بها ما يكفي من الزهور..(تتلفت حولها ناظرة إلى الحيطان) هذه الحيطان مقيتة جداً..مقيتة جداً..(تنهض وتتجه نحو النافذة..تصرخ) متى ستنقضي أيها النهار؟ (تعود وتفتح الدولاب) لا شيء..(تترك الدولاب وتعود للجلوس على السرير.. تنظر للحائط الفاصل بين الغرفتين.. تنهض وتتجه نحوه ثم تقف أمامه.. يفتح الرجل عينيه.. ينظر للحيطان.. ينهض ويتجه نحو الحائط الفاصل ثم يقف أمامه فيصبح مقابلاً

للمرأة.. يحدق كلاهما في الحائط أمامه..يرفع الرجل قبضته ويطرق الحائط طرقتين مترددتين..ترفع المرأة رأسها..وبتردد تطرق بقبضتها على الحائط طرقتين مترددتين.. يرفع الرجل رأسه ثم يطرق الحائط بقبضته ثلاث طرقات متسارعة..ترفع المرأة قبضتها وتطرق على الحائط ثلاث طرقات متتابعة..يضع الرجل أذنه على الجدار..ثم يتراجع ويضرب الحائط بقبضته عدة ضربات ثم يضع أذنه على الجدار بسرعة مترقباً..تضع المرأة أذنها على الجدار وتضرب الحائط..يضرب الرجل والمرأة الحائط ضربات متسارعة ومتلهفة بجنون..يستمرا في الضرب ويستمرا حتى إسدال الستار)..

(ستار)..

لا زال حياً؟- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الفرعون

إحم

المسرح: بلاط فرعوني، مُذهَّب، يجلس الفرعون بعرض الكرسي الملكي، يتدلى رأسه من المسند الخشبي الأيمن، وتتدلى ساقاه من المسند الخشبي الأيسر..(يجلس بخمول)..الفرعون في منتصف الأربعين من العمر.

الفرعون: يا ولد...أنت يا ولد..

(يدخل رجل عجوز وينحني بأدب هو خادمه إحم)

إحم: إحم إحم...

الفرعون: (ينظر للخادم مدققا في وجهه)..إحم إحم...

إحم: (يظل منحنياً) إحم..إحم...

الفرعون: (بغضب) إحم إحم..

إحم: (بخوف وضعف) إحم إحم..

الفرعون: حسنٌ...ما دمت مصراً...(يلقي نظرة متفحصة على خادمه) لماذا أنت منحنٍ هكذاً...

إحم: (ينصب قامته هاماً بالحديث)..

الفرعون: (بغضب) من أمرك بالوقوف...(يعود إحم للإنحناء بسرعة فيحدجه الفرعون بنظرة فاحصة حانقة) يمكنك أن تنصب قامتك الآن...

إحم: (ينصب قامته) إحم إحم..

الفرعون: (ينظر للحائط الأيسر بفزع) إحم إحم..(يلتفت إلى إحم ببطء) سأموت يا إحم.. سأموت يا خادمي المخلص..(يظل إحم صامتاً) هل تصدق يا إحم..ربما بعد بضعة آلاف عام..سيجد بعض اللصوص الفرنسيين مومیائي في جبانتها ويسرقون ذهبي..(يلتوي فمه لأسفل كمن يهم بالبكاء) سأصبح مضحكة للعالم حين يجدون عظامي هزيلة بائسة..جمجمتي..جمجمتي يا إحم..صلعاء تنغرز عليها خصيلات قليلة بنية اللون وشاحبة..فمي (يمسك فكه وعيناه خائفتان) فمي ستبرز أسنانه..سيعرفون أن ضرس العقل لم ينبت لي رغم أنني في هذه السن المتقدمة..

إحم: عمر الزهور..

الفرعون: الزهور؟.. كم عمر الزهور يا إحم؟

إحم: (يرتبك).. لا أعرف بشكل دقيق يا مولاي..ولكن أعمارها قصيرة..

الفرعون: (يصيح بغضب) ما هذا الفأل السيئ .. عليك لعنة آمون رع..

إحم: (يفزع) لم أقصد هذا يا مولاي اقسم بعظمتكم..لقد..لقد استخدمت كلمات خاطئة...

الفرعون: كان عليك أن تقول أعمارها صغيرة..وليس قصيرة..هناك فرق كبير يا إحم..

إحم: حقاً يا مولاي.. وهل أنا إلا مجرد خادم أبله...

الفرعون: (يحدق فيه شذراً) إحم إحم..

إحم: إحم إحم...

الفرعون: أبنائي لا زالوا صغاراً..أغلبهم مات من داء الصدر.. تبقى ولدان فقط..ولدان فقط يا إحم...ولا زال الولدان صغيرا السن..فماذا لو مت فجأة.. سيهتك الكهنة والإنتهازيون سلامهما..سيسلبونهما العرش وربما يقومون بشنقهما أو قطع رأسيهما..ماذا أفعل يا إحم..انصحني..

إحم: إجعل زوجتك وصية عليهم..

الفرعون: النساء ضعيفات يا إحم..

إحم: إجعلني وصياً عليهم...

الفرعون: (ينظر إلى إحم بدهشة) أنت...؟!!

إحم: عفوك مولاي ولكنني لا أثق إلا في نفسي..

الفرعون: (ينظر للحائط الأيسر) سأكتب وصيتي...هاتِ لي بردية ودواة...(يهرع إحم ويحمل بردية ودواة عليها ريشة نسر من فوق طاولة ملكية على الجانب الأيمن) أكتب يا إحم...(يبدأ إحم في الكتابة)..في السنة الزراعية الرابعة في الشهر الثالث عشر ..أنا الفرعون المبجل ابن الإله المعظم..أكتب وصيتي..(يحدج إحم بنظرة متسائلة) هل تكتب؟ (يهز إحم رأسه إيجاباً) هل أملي عليك بسرعة؟ (يهز إحم رأسه نفياً..يعود الفرعون للنظر إلى الحائط) في هذا اليوم أشعر بأن نهايتي قد اقتربت..لا أعرف لماذا؟ ولكني إستيقظت وأنا أشم رائحة الموت تحت أنفي..لذلك قررت كتابة وصيتي..تعرفون أنَّ الكهنة قد كتبوا لي كتابَ رحلتي بعد الموت والخطوات التي عليَّ اتباعها حتى أتجنب السقوط في الجحيم وتنهشني الوحوش..مع ذلك فإنني لا زلت خائفاً من الموت.. ربما أنا قليل الإيمان رغم أنني ظِلٌ آمون في الأرض..غير أن هذا يبدو كله بالنسبة لي وهماً...هل أنا ملحد.. غفر لي آمون إن كنت ملحداً.. لكن روحي تأبى الموت..رغم أنني سأموت حتماً هذا اليوم.. أشعر بذلك.. وأعرف أن وهن الموت يسري الآن في نخاع عظامي..لمن سأترك أولادي؟ (ينظر لإحم بغضب) هل لا زلت تكتب؟ (يهز إحم رأسه إيجابا..فيعود هو للنظر إلى الحائط) أخشى على أولادي من الكهنة.. إنهم دواعش..مجرمون..

سيقطعون رؤوس أبنائي وسيسرقون ذهبي..وينصبون حاكماً تابعاً لهم..حاكماً بلا إرادة ولا شخصية.. أعرف ذلك لأنهم يشيعون أمام الشعب المصري أنني مجنون..مصاب بالشيزوفرينيا..وبالوسواس القهري..وبالإكتآب..وأنني –تبعاً لذلك– غير أهل للحكم... لماذا كل هذا؟ لماذا كل هذا الحقد؟ لسبب بسيط...

إحم: (بصوت خفيض) هل أنت متأكد يا مولاي من أن هذه وصية؟

الفرعون: (ينتبه) هة؟!.. أتظن أنني تجاوزت حدود الوصية..

إحم: تبدو لي كسيرة ذاتية أكثر من كونها وصية يا مولاي..

الفرعون: أحسن..هذا أفضل..إنني أشعر بأنني قد ارتحت قليلاً عندما فضفضت عما يعتمل داخلي من مخاوف وآلام...ما رأيك أنت؟

إحم: رأيي أنك حتى لو كتبت وصية فلن تنفذ...

الفرعون: هل أحتاج لمحامٍ؟

إحم: هل تثق في المحامين؟

الفرعون: لا..

إحم: طيب..

الفرعون: فلتكن إذاً لوناً جديداً من الوصايا.. كما يقول زيفتان تودروف نص لا يمكن تصنيفه.. أسيرة ذاتية هو أم وصية أم كلاهما... أعتقد أن هذا أفضل..فلنواصل..أين كنا؟

إحم: كل هذا لسبب بسيط..

الفرعون: ماهو؟

إحم: لا أعرف يا مولاي..

الفرعون: ولماذا قلت ذلك إذاً؟

إحم: لأنك سألتني أين كنا فأجبتك كنا في جملة كل هذا لسبب بسيط..

الفرعون: لا لم تجبني كنا في جملة كل هذا لسبب بسيط..لو قلت كنا لعرفت انك تجيب على سؤالي..كلمة واحدة يا إحم..كلمة واحدة قد تغير كل المعنى..وربما تغير العالم بأسره...

إحم: عفوك مولاي..

الفرعون: فلنواصل إذاً.. وذلك لسبب بسيط.. لقد..لقد نسيت ما كنت أتحدث عنه...

إحم: كنت تتحدث عن كره الكهنة لك وأن حقدهم ذلك لسبب بسيط..

الفرعون: آه.. حسنٌ..دعك منهم...لقد وردت إلى خاطري أفكار أهم.. نعم.. طريقة دفني عندما أموت...يجب ان يكون دفناً مريحاً..(ينظر إلى إحم) هل تكتب؟ (يهز إحم رأسه إيجاباً) حسنٌ.. يجب أن تكون طريقة الدفن مريحة لجثتي..عليهم أن يهتموا براحة جثتي إهتماماً بالغاً.. لا يجب أن تُسجى على ظهرها...

إحم: من هي؟

الفرعون: جثتي بالطبع..

إحم: آه حسناً..

الفرعون: لقد أصبحتَ عجوزاً يا إحم..أصبحت تنسى كثيراً...

إحم: قانون الحياة...

الفرعون: (ينظر إلى الأفق بفزع) لا تحدثني عن قانون الحياة يا إحم.. يبدو لي قانوناً عبثياً.. فوضوياً ومجنوناً...

إحم: ءأنت مكتئبٌ قليلاً يا سيدي؟

الفرعون: يبدو ذلك يا إحم..

إحم: هل آتيك بقرص بروزاك؟

الفرعون: إنه لا يجدي يا إحم..لا يجدي... إنه صناعة صينية تافهة..يبدو أنهم لا يتبعون الكمية القانونية للمادة الفعالة لذلك يصدرونه لنا بثمن التراب..لماذا لا تشعر أنت بالإكتآب يا إحم؟ (يظل إحم صامتاً.. ينظر إليه الفرعون).. هة؟!.. أجبني.. لماذا لا تصاب مثلي بالإكتآب يا إحم؟!!

إحم: لأنني لست ملكاً يا سيدي..

الفرعون: ماذا تعني؟

إحم: أعني.. أعني أنني لا أحمل أعباءً ومسؤوليات كثيرة في الحياة.. إنني مجرد خادمكم المطيع يا سيدي..

الفرعون: إجابة ذكية يا إحم..كيف أصبحت ذكياً هكذا فجأة؟!!

إحم: لست ذكياً ولكنني صادق فقط يا مولاي..

الفرعون: عجيب!!!..الناس يعتقدون أنهم يصبحون أذكياء حينما يكذبون..فهل تريد أن تقول لي أن اعتقادهم هذا غير صحيح؟

إحم: لا أعرف يا مولاي..

الفرعون: هل تعرف ما هي أكبر كذبة في هذا العالم؟

إحم: لا يا مولاي..

الفرعون: (ينظر إلى الحائط بفزع) إنها الحياة يا إحم.. الحياة أكبر كذبة..(يصمت إحم) أكتب.. واصل الكتابة..حسنٌ..لقد تعبت من هذه الرقدة .. لا تكتب ذلك..(ينهض من كرسيه..ويعكس رقدته فقط بحيث رأسه يتدلى من اليمين وقدماه تتدليان من اليسار) آه.. هكذا أفضل..أكتب الآن... أين كنا؟

إحم: لا تكتب ذلك..

الفرعون: أكتب ماذا؟

إحم: عفوك مولاي..أقصد أن آخر ما أمليته عليَّ هو جملة لا تكتب هذا..

الفرعون: (يحملق في وجه إحم بجزع) إحم...

إحم: نعم سيدي..

الفرعون: لقد خرفت يا إحم.. أقسم بآمون أنك خرفت..

إحم: عفوك مولاي..

الفرعون: ولكنك تكتب دون أن تفهم ما تكتب؟!!..

إحم: هذا صحيح يا مولاي..

الفرعون: ولماذا لا تفهم ما تكتب؟

إحم: لأنني..لأنني احاول التركيز في الكتابة..

الفرعون: حسنٌ... أكتب الآن.. (يضع ذراعيه خلف رأسه ويتحدث متأملاً) جثتي يجب ألا تُسجى على ظهرها.. بل على جنبها الأيمن...

إحم: ألن يتألم كتفك يا مولاي؟

الفرعون: هل سيتألم؟

إحم: الرقدة ستكون طويلة يا مولاي وبالتالي فمن المحتمل أن تتألم كتفك..

الفرعون: ولكنني أفضل النوم على جنبي الأيمن يا إحم؟!!

إحم: هذا هنا.. وأنت حي.. لكن هناك الأمر مختلف...

الفرعون: (يشرد ذهنه) آه.. حسنٌ.. ربما عندك حق..إذاً... فليسجى جسدي على ظهره..ثم.. يجب عدم حشو فتحات جسدي بأي شيء..ولا يلفوا جسدي بأي شيء...

إحم: ولكن كيف سيتم تحنيطك يا مولاي؟

الفرعون: لا أريد تحنيطاً.. يجب أن يدفنونني عارياً.. لا .. ليس عارياً فقط.. بل يجب ألا يدفنونني أبداً..

إحم: وماذا سيفعلون بجثتك يا مولاي؟

الفرعون: عليهم إلقاؤها في الصحراء..نعم في الصحراء.. بعيداً عن البشر... عارية وملقاة في الصحراء.. في قلب الصحراء..

إحم: ولكن يا سيدي.. ألن.. ألن تلتهمها الذئاب؟

الفرعون: أفضل أن تلتهمها الذئاب عن أن تُسجن في قبر تحت الأرض..قبر مظلم وموحش...

إحم: ولكنك لن ترى تلك الظلمة يا مولاي

الفرعون: ليس بالضرورة أن أراها..يكفي أن تكون هناك ظلمة ووحشة بالفعل.. يكفي أن أتخيلها وأنا حي لأرفضها وأنا ميت..فلتنهش لحمي الذئاب على أن أعيش فيها...

إحم: حسنٌ..

الفرعون: (يرمق إحم) ألا تخشى دفنك في قبر؟

إحم: وأنا حي أم ميت؟

الفرعون: بالتأكيد وأنت ميت..

إحم: لا يا مولاي..

الفرعون: ولكن لماذا؟

إحم: لأنني سأكون ميتاً حين ذاك..

الفرعون: ولماذا أنا اخشى ذلك؟

إحم: لأنك ملك يا مولاي..

الفرعون: ماذا تقصد؟

إحم: أقصد أنك إبن إله.. ولذلك ستحيا بعد الموت..أما أنا فلا...أنا مجرد خادم ضعيف يا مولاي..

الفرعون: ربما..ولكن.. حتى البشر الآخرون يحيون بعد الموت..

إحم: هل سنحيا كملوك ام كخدم؟

الفرعون: (يصاب بالحيرة) آآآ.. إنه سؤال صعب..ولكن بالتأكيد لن تتساوا معنا نحن الملوك.. والأرجح انكم ستحيون كخدم أيضاً...

إحم: ألن نجد فرصاً هناك أكثر من هنا..

الفرعون: تقصد فرصاً للإنتقال من طبقة البروليتاريا للبرجوازية؟

إحم: نعم مولاي..

الفرعون: (ينظر إلى إحم بجزع) إنك تفزعني يا إحم..

إحم: عفوك مولاي..

الفرعون: لديك أفكار ماركسية هدامة..

إحم: إنني بريء من الإنتماء لهذه الحفنة الملحدة..

الفرعون: هل تقسم بآمون؟

إحم: اقسم بآمون وبعظمة جلالتك يا مولاي..

الفرعون: يجب أن لا تراودك مثل هذه الأفكار مرة أخرى يا إحم..

إحم: لن يحدث يا مولاي.. كانت غلطة فقط..

الفرعون: (يحدق تجاه الحائط) بعد خلع ملابسي ورمي جثتي في العراء..يجب نسياني تماماً...يجب أن لا يبحثوا عني مرة أخرى...فليتركوني لأمت في سلام...نعم...إن روحي ستصعد إلى السماء..ستحلق بين النجوم..ستتحرر من هذا الجسد السخيف..

إحم: ومن سيرث العرش يا مولاي؟

الفرعون: ها... لقد نسيت هذه النقطة.. نعم.. من سيرث العرش...(يفكر طويلاً..ثم ينهض جالساً) إحم..

إحم: مولاي..

الفرعون: إحم؟

إحم: أمر مولاي...

الفرعون: أريدك أن تجمع أكبر قدر من الذهب يا إحم.. أكبر قدر..هل فهمت.. أكبر قدر... ثم تحمل أولادي وزوجتي على أول طائرة إلى سويسرا... ستشتري هناك قصراً وبالتالي سيحصلون على الإقامة.. ثم تقفل راجعاً إلى هنا بسرعة..

إحم: حسنٌ مولاي..

الفرعون: سأمنحك حكم مصر يا إحم..

إحم: ماذا؟

الفرعون: نعم.. لقد قررت ترك الحكم والهجرة إلى العالم الأول يا إحم.. مصر لم تعد كما كانت زمان.. لم تعد آمنة بالنسبة لي ولأولادي..ضيعها الكهنة والسياسيون الإنتهازيون.. سأغادر يا إحم بعد أن أسلمك السلطة..والآن يا إحم.. إفعل ما أمرتك به..فوراً...

(يرمي إحم الورقة والقلم ويخرج مهرولاً)

الفرعون: بدلاً عن الموت في الصحراء..سأموت في أرض خضراء..إن الموت الذي جعلني ألفظ المُلك والسلطان..هو نفسه الموت الذي جعل إحم يفرح بالملك والسلطان..أليس هذا مدهشاً...(يدخل إحم) هل فعلت ما امرتك به يا إحم؟

إحم: نعم يا مولاي...

الفرعون: إذن.. أعلنك الآن ملكاً على مصر يا إحم... أما أنا فسأغادر..(ينهض من كرسيه فيسرع إحم ويجلس عليه)..

إحم: (يصيح) أيها الحراس...(يدخل حارسان يحملان حراباً) إقبضوا على هذا الرجل (يقبض الحارسان على الفرعون)..

الفرعون: (بدهشة) ماذا تفعل يا إحم...

إحم: إقطعوا رأسه..(يدفع الحارسان الفرعون وهو يقاوم بدون جدوى.. فيقهقه إحم) هل كنت تعتقد بأنني كنت لأتركك تهدد مُلكي...إن البداية الجديدة.. يجب أن تكون نظيفة.. نظيفة تماما.. إقطعوا رأسه ورأس زوجته وطفليه وادفنوا جثثهم في قعر بئر سحيق ثم أهيلوا عليهم التراب.. هل فهمتم..التراب... (يقهقه ويظل يقهقه حتى إسدال الستار)..

(ستار)

الجثة- مسرحية من مشهد واحد

(كُتبت هذه المسرحية في الأصل لمسرح الشارع، وهذه نسخة معدلة تعديلاً حوارياً وسينوغرافياً)..

الشخصيات

الشاب

الصوت

الشبح الأبيض

الشبح الأسود

الأب

المنظر:

حديقة منزلية، تتقدم واجهة المنزل وبوابته المقوسة، وعلى اليسار واليمين من البوابة تمثالان متوسطا الطول لأمرأتين أفريقيتين شبه عاريتين، والتمثالان متماثلان تماما ولكنهما متقابلان...

في منتصف الحديقة، مقعد ارتمى عليه جسد رجل عجوز، رأسه موجه نحو السماء وفمه مفتوح نصف فتحة وكذلك عيناه، يداه متدليتان بارتخاء واضح، قدما ممدتان ومائلتان إلى الخلف قليلاً.

يدخل شاب يرتدي بدلة وربطة عنق..يمسح عرقاً في جبهته:

الشاب: لماذا طلبت مني الحضور يا والدي..لا املك وقتاً لذلك...فلدي إجتماع هام بعد ساعة من الآن (يقف مواجها الجمهور) اليوم ستندمج الشركتان المصنعتان لمحركات السيارات الرياضية، وعلي أن أدير ذلك الاجتماع النهائي الحاسم. شركة حكومية وأخرى خاصة..هذا يعني أنني في لحظة مفصلية من حياتي..أكون أو لا اكون (يقترب من الأب) أنت نائم...لماذا عيناك نصف مفتوحتين؟... يا إلهي..إنك تبدو ميتاً...(يرفع يد العجوز ويحررها فتسقط متراخية) لا..ليس الآن..لن تموت في هذه اللحظة.. اللعنة..(يصفع وجه العجوز على خديه صفعات سريعة خفيفة) يا إلهي.. (يلتفت نحو الجمهور) أنت ميت حقاً...ماذا أفعل الآن..إن لم أحضر ذلك الإجتماع ستتم إقالتي من وظيفتي..ولو تمت إقالتي فسيجوع أبنائي..ولكن..ولكن هل أترك جثة والدي لتتعفن لمدة ست ساعات؟...(ينظر إلى ساعة يده) تبقت خمس وخمسون دقيقة على موعد الإجتماع..لا أستطيع التأخر أكثر من ذلك..(ينظر للجثة)..الحي أبقى من الميت..لن

تخسر جثة أبي شيئاً..ولكن ابنائي سيموتون من الجوع إن لم أذهب إلى ذلك الإجتماع..أمضيت سبعة عشر عاماً أكدح في تلك الشركة من أجل هذا اليوم...وبحسبة تقريبية بسيطة..سبعة وثمانون ألف ساعة عمل.. آكل سندوتشاً صغيراً في الإفطار والغداء..وأنا أعمل..أتفاوض مع الشركات الأخرى..أجري مقابلات مع العملاء .. أبرم الصفقات..أسافر في الأسبوع لثلاث دول..أعود ومن طائرتي إلى الشركة ومن الشركة إلى سريري في المنزل لأرتاح اربع ساعات فقط ثم أعود للعمل حتى أيام العطلات..لقد أفنيت كل قوتي وشبابي من أجل هذه اللحظة الفارقة (ينظر لجثة والده) ثم تموت أنت الآن...الآن (بدهشة)..ماذا أفعل..ماذا افعل الآن..بالتأكيد لن أضيع الفرصة من أجل جثة.. بالتأكيد لن أفعل .. سأذهب الآن (يتحرك مغادراً المسرح ولكن يظهر له شبح شخص مغطى بملاءة بيضاء فيجزع) من أنت؟

الشبح الأبيض: أنا ضميرك..أنا قيمك الأخلاقية..

الشاب: لا لا..ليس هذا وقت ممارسة هذه اللعبة..

الشبح الأبيض: تنسى كل تاريخكما المشترك مع هذا الرجل..هكذا فجأة..تاريخكما سوياً..منذ أن كنتَ طفلاً.. (يتراجع الشاب للخلف ببطء) تنسى عندما كان مريضاً ومع ذلك يحمل نفسه ويخرج ليعود لك باللعبة التي كنت تتمناها احتفاءً بيوم ميلادك...ألا تستطيع أن تمنحه القليل من ذلك الإهتمام يوم موته..

الشاب: ولكن..ولكن..

الشبح الأبيض: هل تنسى عندما كان يكد ويكدح من أجل شراء ملابس جديدة لك في كل عيد؟ أيها الولد العاق..

(يخرج شبح داخل ملاءة سوداء من الجهة المقابلة للمسرح)

الشبح الأسود:لا تسمع كلامه (يلتفت الشاب ناحية الشبح الأسود) إنه يضيع عليك فرصة العمر...ماذا سيحدث للجثة؟

الشاب: ومن أنت؟

الشبح الأسود: أنا طموحاتك وأحلامك..أنا كينونتك التي تقبع في قعر وجودك الميت..

الشاب: إنني أحب كلامك جداً أيها الشبح الأسود..

الشبح الأبيض: هراء... إن ضميرك هو كينونتك الحقيقية أيها الشاب..ضميرك وأخلاقك وليس طموحاتك..

الشبح الأسود: لا يخدعك...إن التاريخ كتبه أصحاب الطموحات لا أصحاب الضمائر...الملاحم..الحروب..الإمبراطوريات....القنسوات الحديديه ودروع الصدور المغطاه بالدماء..إتحاد المال والسلاح..السلطة..القوة وليس الضعف..

الشبح الأبيض: بل كتبه الأنبياء والمصلحون..كتبه الحب والوفاء..

الشاب: هذا غير صحيح أيها الشبح الأبيض..إنني لو خسرت وظيفتي هذا فلن يطعم الأنبياء والمصلحون أبنائي..لقد عشت داخل عش الدبابير...صارعت أصحاب الدسائس في شركتي لأجل هذا اليوم..أرجوك ابتعد عن طريقي..

الشبح الأبيض: أنت تساوي بينك وبين القوادين والمرابين الذين لا يمتلكون ذرة من الأخلاق..لذلك يكرههم الناس..هل تحبهم أنت..

الشاب: لا.. لا أعرف.. ولا أريد أن اعرف..لكن القوادين يأتون بالعاهرات لغيرهم..وغيرهم يقبلون بذلك..والفتيات أنفسهن يقبلن بذلك..فلماذا يتحمل القوادون كل الإثم..ثم من قال أن ذلك إثم..إنهم لا يختلفون عن الطبيب الذي يحصل على مال مقابل مداوات مريض..ويمتنع عن مداوات من لا يدفع...إن القواد لم يقتل أحداً لكن الطبيب يقتل..

الشبح الأبيض: (يرتبك) دعك من هذا التفلسف..فأنا ضمير..والضمير لا يخاطب العقل بل القلب...يخاطب إنسانيتك أولا وقبل كل شيء..وهذه جثة والدك..هل ستتركها تتعفن من أجل الوظيفة.. هل تقبل أن يفعل إبنك بجثتك نفس الشيء؟

الشاب: (يتراجع بجزع) جثتي؟!!!

الشبح الأبيض: نعم جثتك..

الشاب: إبني؟!!!

الشبح الأبيض: نعم إبنك..

الشبح الأسود: هاا..دعك من كلامه الأجوف هذا..اسأل نفسك فقط..ماذا لو كان والدك يعرف موقفك الآن..هل كان سيرغب في انهيار مستقبلك من أجل جثته التي لا مستقبل لها؟ ها؟.. بالتأكيد لا..أنت نفسك لم تنجب أبناءك ليعيشوا مدمرين بلا مستقبل..

الشاب: بالتأكيد..هذا صحيح..

الشبح الأسود: إذاً...إمضِ في طريقك إلى المجد..ثم عُد إلى جثة والدك لتؤدي واجباتك نحو جثته فيما بعد..

الشاب: هذا عين العقل..

الشبح الأبيض: يا إلهي.. هل فقدت كل ذرة من الأخلاق أيها الشاب لتترك جثة والدك ملقاة هكذا حتى تنتفخ وتتعفن..إنك حتى لم تفكر في دفنه.. إنك حتى لم تذرف عليه دمعة واحدة..وكأنما لم يكن بينكما أي رابط معنوي..وكأنه لم يكن سوى مجرد كلب متشرد قابلته بالصدفة في زقاق ضيق..

الشاب: اللعنة..ولكن..ولكن..

الشبح الأبيض: لا يوجد لكن..إن الرجل الحقيقي هو رجل المواقف الصعبة.. المواقف التي يضحي فيها بكل شيء من أجل قيمه العليا..

الشبح الأسود: (يقهقه بسخرية) كم هذا مضحك.. هل تعلم أيها الشاب..أن العظماء هم من كانوا دوماً يقدسون أنفسهم ومصالحهم .. هل تصدق مثلاً أن الاسكندر الأكبر قد قاتل من أجل الآخرين.. أو أن القديسين لم يكونوا سعداء بتقديس الناس لهم...هل تصدق ذلك الهراء الذي يقال عن الأخلاق فعلاً..ماهي الأخلاق؟ إن هذا العالم البشري مؤسس تاريخياً على نفي كل قيمة للآخر..

الشبح الأبيض: هذا غير صحيح..إن الحياة ليست مادة فقط..وإلا فما الفرق بين مُرُوج الزهور وبين أكوام القمامة..

الشاب: على رسلكما..فلم يبق من وقتي الكثير..ألا يمكنكما رعاية جثة والدي ريثما أعود..

الشبح الأبيض: كيف سنرعى جثة والدك..هل سنرضعه مثلاً؟!!!..

الشاب: لا أعرف..ولكن..ولكن مستقبلي سيضيع لو بقيت أكثر من ذلك..

الشبح الأسود: لقد مات والدك...عليك الآن أن تفكر في أولادك الذين لا زالوا أحياء..هذا هو العقل..لو مرض أحدهم مرضاً عضالاً وأنت مفلس وبلا عمل..فلن تجد من يدفع لهم ثمن الدواء...نحن في عالم قاسٍ..يتطلب منا التفكير بحكمة وبتروٍ .. وبعقلانية لا بمثالية..إذهب أيها الفتى ولا تضيع زمنك...

(يسمع رنين هاتف الشاب فيخرجه من جيبه)

الشاب: ألو؟

صوت رجل: لقد اقتربت مواعيد الإجتماع وأنت لم تظهر حتى الآن..يجب أن تكون هنا في أسرع وقت لكي تشرف على الترتيبات..لا نريد إحراج السيد الوزير..

الشاب: كارثة يا عزيزي..كارثة..لقد توفى والدي الآن..أرجوك حاول إيجاد مخرج لي..

الصوت: لوالدك الرحمة..لكن الوضع هنا لا يتحمل مزيداً من التأخير..

الشاب: وجثة والدي؟

الصوت: اتركها لتتعفن وتعال بسرعة..

الشاب: أرجوك..

الصوت: لا مجال للمجاملة..إنه يوم تاريخي ولحظة فارقة..لا يوجد مزيد من الوقت..تعال بسرعة..

(ينغلق الهاتف بصوت تكة خفيفة فينظر الشاب لهاتفه بوجه جزع)

الشاب: (يلتفت نحو جثة والده) أما كان بإمكانك أن تموت في يوم آخر...(ينظر نحو الجمهور بأسى) مع ذلك..فلن أتحمل تركك هنا...كما لم تكن تتحمل تركي عارياً في البرد..من أقحم في نفوسنا تلك العاطفة الحمقاء التي تربط بيننا وبين الآخرين...

الشبح الأسود: لا تكن أحمقاً..

الشاب: اغرب عن وجهي..

(يتراجع الشبحان الأبيض والأسود ويختفيان خلف الكواليس)

(يسمع صوت رنين الهاتف)

الشاب: ألو...لن استطيع حضور الاجتماع..أنا آسف..

الصوت: لا حاجة لذلك..لقد تم تأجيل الاجتماع..

الشاب: ماذا؟

الصوت: نعم..لقد توفى والد الوزير اليوم...فاعتذر وتم تأجيل الاجتماع..

الشاب: مات والد الوزير فتم تأجيل الإجتماع...من ليس له ظهر في هذه الحياة لا قيمة لحياته..

الشبح الأسود: (يخرج رأسه من الكواليس) ألم أقل لك..

الشاب: أغرب عن وجهي (يغلق الهاتف ويتجه نحو جثة والده محاولاً رفعه من الكرسي)..

(تصدر حشرجة من حنجرة والده)

الشاب: ما هذا الصوت؟

(يفتح والده عينيه بصعوبة ويتثاءب)

الأب: لقد نمت نومة طوييلة..

(يتمطى)

الشاب: أنت حي؟

الأب: (ينظر لولده بحنق) ماذا تقصد يا ولد..ألا زال عقلك غبياً كما كان..

الشاب: يا إلهي..

الأب: هل حفظت جدول الضرب؟

الشاب: لا يا أبي..لم احفظه أبداً..ولن استطيع حفظه..

الأب: لذلك ستعيش بلا مستقبل.. أنت دائماً بلا همة وبلا طموح..يا لله..لماذا أنجبت أحمقاً مثلك...(يتثاءب) لقد نمت نوماً طويلاً..وحلمت أحلاما سعيدة..حلمت بجارتنا الأرملة التي تسكن في المنزل الرابع..مات زوجها قبل بضعة أشهر..سيدة جميلة ورقيقة.. آه..أعتقد أن حضورها في منامي علامة من السماء على ضرورة اتخاذ موقف حاسم من حبي لها..

الشاب: حبك لها؟

الأب: نعم حبي لها؟ هل لديك اعتراض..

الشاب: لا..

الأب: (ينهض من الكرسي ويتحرك خارج المسرح) لن أخسر دقيقة أخرى مقابل سعادتي.. هيا يا ولد..هيا أيها العاق واتبعني..

الشاب: إلى أين يا والدي؟

الأب: سنذهب فوراً إلى منزل الأرملة لأخطبها..بل وأعقد قراني عليها فوراً..هل معك بطاقتك..

الشاب: بالتأكيد معي..

الأب: إذا هيا بنا نحو المغامرة (يقهقه بجزل) مرحى مرحى...تعلم من والدك الطموح ايها القرد الأحمق...

(يخرجان)

(ستار)

الحب القديم- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الرجل

المنظر:

(الخشبة مظلمة.. وهناك دائرة ضوء قطرها متر ونصف تقريباً تسقط من السقف إلى الأرض، يقف وسطها رجل في منتصف الخمسين من العمر..يرتدي بنطلوناً صوفياً رمادياً قديماً..وبذلة رثة بنفس اللون..وقبعة بنفس اللون..ونظارة دائرية الإطار وقديمة...)

الرجل: وماتت السيدة العجوز التي كانت تقطن في البيت الثالث من بيتنا..لازلت أشم الرائحة..(يحرك أنفه لأعلى وأسفل)...شيء محير.. والمحير أنني كنت أحبها عندما كنت طفلاً.. أشم رائحة جلدها العطرة وأتمنى ان أغوص في دفء صدرها...كبرت قليلاً وكبرت هي قليلاً أيضاً..كنت في السابعة عشر وكانت في أواخر الثلاثينيات، مع ذلك كنت أراها دسمة...كانت كالسمنة البلدية.. كانت تلهب جسدي..وظل حبي لها مكتوماً كالرمال المتحركة..وحين بلغتُ الثلاثين رأيتها تشيخ..وها أنا في الخامسة والخمسين...وهاهي رائحة جسدها تفوح بالموت...(يضع يديه خلف ظهره) .. تبدو الذكريات ضبابية للغاية..وأنا لم أعد أفهم شيئاً..لقد كنت أظن بأنني أمضي نحو الفهم.. غير أن هذا ما لا يحصل .. إننا نمضي نحو المزيد من الإرتباك .. لذلك يميل الشيوخ إلى الصمت.. إذ يدركوا أنهم لن يدركوا شيئاً وأن عليهم التأمل بصمت...تبدو كل أنشطة الصغار طائشة وعبثية.. وينسى الشيوخ ماضيهم حين كانوا يهرولون نحو أرض المصيدة.. إنني أشعر بالنعاس.. سأكمل هذا المونولوج ليوم ما...يومٌ ما...يومٌ...ما...(يخرج من دائرة الضوء).

(تمض ثوانٍ ويعود الرجل ليدخل دائرة الضوء ولكن بملابس مختلفة، مريلة نوم ملونة بالأحمر والأخضر والأزرق..الخ على جنبيها جيوب واسعة وبذات القبعة والنظارة)..

الرجل: كانت المرأة دائماً حاضرة غائبة في حقلي الوجودي، المرأة التي كانت تتنوع وتحمل ألواناً متعددة، لكنني كنت دائما أرى تلك النواة الخفية والتي تمتلكها جميع النساء مهما تعددت أشكالهن وألوانهن، كانت لكل واحدة تنويعة موسيقية، لكنها في النهاية تشترك في السر الأنثوي، أنه سر غريب، إنه وبكل اختصار: الجنون. نعم.. هذا ما لمسته في كل النساء..الجنون..قبل تسعة ايام ذهبت لتجديد نظارتي الطبية، وجدتها امرأة، ليست فيها رائحة الأنوثة، لكنها امتلكت ذلك الجنون

الأنثوي، ذلك الذي يدفعك للإحساس بأن من يكلمك الآن مفتقد للعفوية تماماً..كانت تتحدث كجندي في الجيش..حاولت ممازحتها قليلا ولكن بذكاء وحرص..لكنها لم تستجب.. قررت أن أكسر ذلك الشعور بالدونية الذي يرتسم على وجهها صلفاً... فأخبرتها بأنني مريض مرض مميتاً خلال أشهر..وبالفعل..انزاح قناعها الحديدي لبرهة..لبرهة فقط..فغادرتُ بسرعة..كان ذلك كافيا تماماً لكي أرى الإنسان المهزوم داخلها...وجارتي العجوز..التي أحببتها...كانت تخون زوجها مع رجل آخر.. كانت تحملني وأنا طفل إلى منزله، وتغيب معه لساعات داخل غرفته، كان ضابطاً في الجيش..إنني أتذكر جراب مسدسه الجلدي الأسود المعلق مع بذته العسكرية على شماعة طويلة في الزاوية...لم أكن افهم أنها خيانة إلا بعد أن صرت في السابعة عشر من عمري..توفى زوجها قبل سنوات من الآن..الضابط نفسه كان قد اختفي قبل عقود من وفاة زوجها...يبدو أن علاقاتنا مرحلية جداً.. كم هذا مخيف...(يخرج علبة سجائر وينتزع منها سجارة يزرع على مؤخرتها مبسم ذهبي ثم يقبضه بشفتيه دون أن يدخن)..كم أنا خائف..روحي منقبضة جداً.. الخامسة والخمسون من العمر..بداية النهاية..أو منتصف النهاية..أي تنظير فلسفي يمكن أن يحرمنا من متعة الخوف هذه كي لا نتشبث بالحياة؟ (يدخن بتأمل عميق مقرون الجبين) عشت مع أبي حتى مات، ولم أتزوج ولم انجب، ولم أشعر يوماً بشيء ينقصني سوى النوم..مع ذلك لم تكن جثث الموتى نوماً..لا أبداً.. لم تكن نوماً..كانت موتاً فقط.. وهذا ما دفعني للتشبث بالحياة..البقاء دون أن أطلق رصاصة على دماغي..فلا أعرف شيئاً عن ذلك العالم المجهول... أو..في الحقيقة هو ليس بمجهول..بل نحن الذين نرفض أن نعترف بحقيقته..نريده مجهولاً لكي يكون هناك شيئاً وراءه ولو كان بلا ماهية..إنني أفضل رؤيتي للشمس عليه..أفضل التلوي ألما بسبب المرض..أفضل احتراق جلدي بلهيب البراكين عليه.. إن الألم نفسه هو ما يشعرني بأنني حي..لا زلت حياً أتألم...أتعذب..(يعض على أسنانه) العذاب هو ما يؤكد حياتي.. أنا أتعذب إذاً أنا حي...الإكتآب والسوداوية تمنح حياتي قيمة...لكن الموت لا..لا وألف لا... لا يا جارتي الحبيبة... لا.. لم يكن الموت يوماً أحد خياراتي..نعم اتذكر فخذيك السمراوين اللا معين أيام الشباب وأتذكرهما وهما منكمشين نحيلين قبل وفاتك بأيام حينما نظرتِ لي وغمغمتِ بفم فارغ الأسنان: (يقلد صوت العجوز) كنت تعشقهما أليس كذلك يا ولد...(يضحك) أدركتُ انكِ كنتِ تعلمين طيلة الوقت برغبتي فيك.. ولكنك لم تفصحي عن ذلك إلا بعد أن أصبحتِ بلا أمل...نظرت إليك برعب.. هل حقاً كنت أشتهيك ..اشتهي هذا الهيكل القبيح.. هل كنت أتمنى

ان يغوص اللحم في اللحم والعظم في العظم....؟ كنتِ تنتظرين إجابتي بابتسامة واثقة...لكنني..عندما تخيلت ذلك.. ادرت جسدي وسقطت متقيئاً من القرف...خرجت من عندك..وتركتك تظرين إلى اللا شيء بعينين باهتتين..أدركتُ حينها أن ساعة موتك قد اقتربت...وانتشرت رائحة موتك بالفعل...كسروا باب منزلك...الجيران كلهم. الرجال والأطفال وبعض النسوة..وثلاثة من رجال الشرطة والعاملين على نقل القمامة، والفتى المثلي الذي كان يزورك كل أسبوع والذي انهار بكاءً عندما اخرجوا جثتك.. ذلك الفتى الشاذ أكثر من بكى عليك.. اكثرهم وفاء لك.. وأكثرهم نقاءً...ماذا كنتِ تفعلين له...لقد ضايقه أولاد الحي فاختفى بعد أن كان يزور منزلك كل أسبوعين أو ثلاثة..كان يدخل بمفتاح احسبك أعطيته له..ينظف المنزل..يكنس الأرض...يبخره من رائحة الموت ثم يغلقه بالمفتاح ويغادر...لكنه غادر نهائياً..علاقاتنا مرحلية..حتى لو كنا أوفياء أكثر من الكلاب...في النهاية تستمر الحياة بمن بقى فوق الأرض...(يدخن..ثم يغادر منطقة الضوء)..

(ستار)

مشكلة عويصة- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

المدير

كرار

صبحي

جلال

الطلبة

الجنود

المنظر:

مساحة خالية، خلفها عشرة دورات (مياه وحمام مدمجين) بطول وعرض لا يتجاوز متر ونصف في مترين لكل دورة..مفصولة بجدران قصيرة.

(يفتح الستار عن ظهر رجل ينظر داخل إحدى دورات المياه..يدور وهو يسد أنفه بقرف..فيظهر مرتديا بنطلوناً وقميصاً وربطة عنق....والرجل هو مدير جامعة حكومية.

المدير: إفففففييييي...الغائط موزع في كل مكان داخل دورة المياه...والبول كمستنقعات الأمطار..حذائي الجديد..(يقول بفزع) حذائي الجديد تعفن...(يرفع رجليه واحدة تلو الأخرى وينظر إلى حذائية كراقص) ستمائة دولار ضاعت بكل سهولة...هكذا بلا سبب سوى بلاهة هؤلاء الطلبة..(يصرخ) كرااار..كرااار..

(يدخل كرار مفزوع الوجه وهو عجوز يرتدي بدلة صيفية قديمة ومرقعة) أين الكلب المسؤول عن تنظيف الحمامات؟

كرار: (ينبح بخجل) هوهوهو

المدير: وما دمت أنت الكلب..فلماذا تترك الحمامات هكذا..

كرار: سيدي..لقد تعبت يا سيدي..إنها لا تنظف أبداً.. لقد أصبحت أعود للمنزل ورائحة هذه الحمامات تتبع أنفي..في الشارع..في الباص..في المنزل..وأنا آكل..وأنا أشرب...وحتى..وحتى وأنا..وأنا مع زوجتي..(بألم) لقد تعبت تعبت..

المدير: إذاً فلتبحث عن عمل آخر..سآمر شؤون الموظفين بتسريحك..

كرار: لن تستطيع تسريحي يا سيدي..

المدير: (تتسع عيناه بغضب) ماذا تقول؟

كرار: أقول..لن تستطيع تسريحي يا سيدي...

المدير: (يصرخ) مدير شؤون الموظفين..صبحي..أنت يا صبحي.. تعال بسرعة..(يدخل مدير شؤون الموظفين بفزع).. سرح هذا الكلب فوراً..فوراً..وإلا فلتسرح نفسك قبله إن لم تفعل..

صبحي: سيدي... لن أستطيع تسريحه يا سيدى..

المدير: (بغضب متزايد) ماذا تقول؟

صبحي: سأخبرك يا سيدي..لقد سرحناه بالفعل ثلاثاً وعشرين مرة..ومع ذلك فلا نجد بديلاً له..كل من يعمل..يعمل ليومين أو ثلاثة ثم يهرب وهو يسد أنفه...

المدير: ولماذا يهرب؟

صبحي: لأنه لا يتحمل كل هذه العفونة يا سيدي..

كرار: أنا أيضاً لا أتحملها يا سيدي..لكنني كبرت في السن ولا أجد عملاً غير التنظيف..لكنني أنظف من هنا وهم يتغوطون ويتبولون من هنا...

صبحي: هذه الداخلية تعاني يا سيدي من الطلاب الجدد...إنهم يأتون من الأرياف حيث لا مراحيض..هناك هم معتادون على التغوط في العراء...ولذلك هنا لا يعرفون كيف يستخدمون هذه الحمامات...

المدير: اللعنة...حاولوا تعليمهم..حاولوا فعل شيء... إن هذا أسوأ يوم لي..فقد مررت متفقداً الداخليات...ذكوراً وإناثاً...إنني لأول مرة أعرف أن الإنسان يمكن أن يخرج من جسده كل تلك العفونة... أنظر..أنظر هذا غائط وهذا وهذا.. أنظر إلى القطن المحشو بالدماء...أنظر لهذه البرك البوليه..اللعنة... إن العمل في الجامعات الحكومية مهزلة كبرى...بعد أن عدت من الخارج طلبوا مني إدارة جامعة خاصة..بها أولاد الأغنياء لكنني رفضت رغم المال الكثير..لأنهم يقولون كذباً بأن الجامعات الحكومية معترف بقيمتها الأكاديمية أكثر في دول العالم الأخرى..لكن ما رأيته غير صحيح..هذه الجامعات تحولت لمراتع للمخدرات وتجارة الجنس والعفن..(يصمت ويستجمع أنفاسه) حسن..علينا أن نعلمهم كيف يستخدموا كل هذه الحمامات...كيف يتغوطوا داخل فتحة المرحاض تماماً بدلا عن التغوط في أركان الحمامات..ثم يغتسلوا وينظفوا أيديهم

بالماء بدلا عن مسحها في الحائط..ومسح مؤخراتهم بالحجارة..(ينظر تحت قدمه) يااالهول (ينحني) أنظر..أنظر..يااا للهول...(ينحني كرار وصبحي) هل رأيتما هذا؟

كرار وصبحي: نعم سيدي..مقرف جداً..

المدير: هذه بقايا رأس جنين...(يمسك بطنه بألم) سأتقيأ..سأتقيأ (يسنده صبحي وكرار)..

صبحي: هون عليك يا سيدي .. دعنا نخرج للهواء النظيف..

المدير: (يغطي فمه بمنديله)..لا لا لا.. لابد أن احسم ذلك...والآن فوراً...أدع لي جلال عميد البيئة هنا.. هيا بسرعة (يخرج كرار).. (يهمس وهو ينظر لصبحي) ألم تجد حقاً عامل نظافة غيره؟

صبحي: اقسم لك لقد جئنا بأكثر من عشرين عامل ولم يتحمل أحدهم البقاء يوماً واحداً.. وأنت تعرف أنه لا شيء يغري في هذا العمل فحتى مرتبات العاملين في الجامعات الحكومية هزيلة ..بل بل تكاد تكون مضحكة...

المدير: صحيح..صحيح..

(يعود صبحي ومعه جلال مدير إدارة البيئة)

المدير: جلال...هل هذه بيئة يا جلال..؟

جلال: نعم أعرف ذلك..لكنني لست مختصاً بهذا النوع من البيئة..أنا عميد البيئة الثقافية يا سيدي..

المدير: وهل هذه بيئة ثقافية جيدة يا جلال؟

جلال: لم أفهم...

المدير: الثقافة يا جلال .. ماذا تعني؟

جلال: أقسم لك أنني لا اعرف يا سيدي ماهي الثقافة...وربما لا أحد يعرف هنا...

المدير: لن تكون هناك بيئة ثقافية مع كل هذا الغائط والبول يا جلال.. الثقافة كلٌّ متكامل..(وهو يغطي أنفه)..

جلال: أي ثقافة يا سيدي..إن هؤلاء الطلبة يأتون من القرى القصية ولا يستطيعون التكيف مع العصر الحديث...أنا شخصياً لم أعتد على العصر إلا بعد أن عشتُ في الخارج لسنوات...السنة الماضية سافرت ودخلت إلى دورة المياه..حاولت غسل يدي في حوض الغسيل لكنني لم أعرف كيف يفتح الصنبور حتى جاء طفل ووضع يده تحت الحنفية فانسابت المياه لوحدها..جربت ذلك

فوضعت يدي لأجد المياه تنساب وتبلل كفي كلما وضعت كفي تحت الصنبور....جربت ذلك أربع مرات وكان الطفل ينظر لي بدهشة ثم سألني: لماذا تفعل ذلك يا عمو... اجبته لأن الماء ساخن، فجاء وأدار جزءً من الصنبور ناحية اليسار فإذا بالمياه تنساب كالثلج...علينا ألا نضحك من بؤس واقعنا يا سيدي...فهذا حظنا..

المدير: لا لا لا...لا اؤمن بالحظ..أؤمن بالعمل..بالتغيير ..العمل الجاد ولا شيء غير العمل (يغمض عينيه ويرفع سبابته لأعلى ويخطب كمرشح انتخابي) إن الشعوب التي قفزت إلى الأمام قفزت لأنها كانت تريد القفز..(يقفز فيقفز صبحي وكرار وجلال مقلدين إياه)..كانوا أفقر منا..أغبى منا وأكثر جهلا وعفونة منا ..لكنهم فجأة(يبسط كفيه وبطنيهما للجمهور ويرجع رأسه إلى الوراء ويوسع من حدقتيه فيقلده الثلاثة) فجأة قالوا: لا..يجب أن نتوقف هنا ..يجب أن نتغير...يجب أن نتطور..يجب أن نتقدم...يجب أن نقوم بقفزة واااسعة (يقفز فيقلده الثلاثة) .. هل تعلمون كيف حدث هذا (يرفع ذراعيه فيجتمع الثلاثة داخلهما ويهمس) بالعمل..(بسرعة) العمل ولا شي غير العمل إلا من اجل العمل عبر العمل..(يحاول الثلاثة ترديد كلامه بصوت خفيض ولكنهم يفشلون)..العمل يا سادة يا كرام...وليس البحث عن حلول ثم ايجادها ثم العمل...لا....(بسرعة)...العمل أولاً والعمل ينتج حلوله الذاتية...(ينزل ذراعيه ويقول بجديه) علينا أن نعلم هؤلاء الطلبة الريفيين كيف يستخدمون دورة المياه...وسيكون هذا الدور ملقى علينا جميعا...هل فهمتهم...

جلال: أتفق معك يا سيدي..ولكن..(يتردد)..

المدير: ولكن ماذا؟

جلال: هل تعلم أن عدد طلاب هذه السنة فقط قرابة عشرين ألف طالب في الكليات المختلفة..

المدير: ماذا؟؟

جلال: نعم سيدي..هم عشرون ألف طالب..

صبحي: ثلاثة وعشرون ألفاً وخمسمائة واربعة وستين طالبا بالتحديد يا سيدي..

المدير: يااللهول...

جلال: على فكرة...نحن اقل الجامعات من حيث عدد الطلاب..

المدير: وهل يتخرجون كلهم؟

جلال: غالبيتهم يا سيدي..ومن لا يتخرج يعود بعد سنوات لإكمال دراسته..كلهم يعودون..

المدير: (بدهشة) حتى من يموتون..

جلال: من يموتون قلة..نستطيع أن نقتلهم إن أحببت سيدي..

المدير: وأين سيجدون عملاً بعد التخرج؟

صبحي: إنهم لا يجدون عملاً في الغالب يا سيدي...

المدير: ولماذا يدرسون إذاً..

جلال: ليجدوا عملاً سيدي..

المدير: ولكنهم لا يجدون عملاً..

صبحي: غالبا لا يجدون عملاً..

المدير: ولماذا يهدرون أعمارهم في التعليم؟

جلال: إنهم غالباً ما يكونون مزارعين ورعاة..ولديهم طموحات بأن يصبحوا أفندية... أي موظفين في الحكومة..

المدير: وهل يحدث ذلك؟

جلال: غالباً لا يا سيدي..

المدير: إنهم يتركون مناطق الإنتاج ليصبحوا عالة على الدولة..

صبحي: الدولة لا تمنحهم شيئاً يا سيدي..

المدير: وكيف يعيشون إذاً؟

صبحي: أهلهم يرسلون لهم القليل من المال...

المدير: ولماذا لا يعودون إلى قراهم ليصبحوا منتجين؟

جلال: لأن هذا سيشعرهم بالخزي والعار...لقد سافرت قبل سنوات إلى الغرب..عانيت هناك معاناة مريرة..العديد من أصدقائي فضلوا الموت بالجوع والبرد على العودة بسبب شعورهم بالعار لو عادوا بلا مال..

المدير: ولكنهم سيموتون إن لم يعودوا؟

جلال: هذه مسألة كرامة يا سيدي..

المدير: اللعنة على الكرامة...(يعقد يديه خلف ظهره ويتأمل أمامه حيث الفراغ لبرهة) وما الحل إذن... علينا أن نجد طريقة لتعليمهم كيفية التعامل مع دورات المياه...

صبحي: ألا يمكننا أن نستعين بالجيش يا سيدي؟ عددهم كبير؟

المدير: فكرة ألمعية..(يخرج هاتفه ويتصل) ألو... ألو...سيدي اللواء ابو جرادل.. أخبارك يا رجل...الحمد لله كل الامور طيبة.. أستسمحك في خدمة بسيطة يا صديقي...نعم نعم...أريد عددا كبيراً من رجال الجيش..لا لا .. أكبر من ذلك...لا لا لا يوجد غزو أجنبي..لكن..لكنني (يهمس) كم هو مخجل أن أحكي لك السبب.. حسنٌ... تعرف أن أغلب طلاب جامعتي من القرى وهم لا يستطيعون التعامل مع دورات المياه.. لقد..لقد فكرت أن تبعث لي بألف جندي لتعليمهم ذلك...أنت موافق...(يقهقه بتكلف) حسنٌ حسنٌ سأجرب بعشرة جنود حتى يتوفر العدد بعد اسبوعين... حسنٌ... متى سيشرِّفون الجامعة؟ الآن وفورا (بغتباط متكلف) رائع رائع أنا في انتظارهم (ترتجف يداه وهو يحاول الإمساك بهاتفه عندما تفزعه ضربات عشرة جنود بأقدامهم على الأرض ثم يستعيد استقرار هاتفه ويتحدث بفزع) لقد وصلوا بالفعل كالشياطين..اقصد..عفوك سيدي..لم أقصد ولكنهم أفزعوني...حسنا أشكرك..إلى اللقاء..(يضع هاتفه في جيب قميصه ويواجه الجنود) هل تعرفون الغرض من حضوركم إلى هنا..

الجنود بصوت واحد: لا...(يضربون بأقدامهم على الأرض فيقفز المدير فزعاً)

المدير: حسن.. ستعلمون الأولاد هنا كيف يستعملون دورات المياه ...

الجنود: حسنٌ (يضربون بأقدامهم الأرض فيقفز المدير فزعاً)..

المدير: (يلتفت إلى كرار) انده على عشرة طلبة بسرعة..(يخرج كرار فيخاطب المدير صبحي وجلال بفخر) هل عرفتم يا سادة أهمية التفكير..

صبحي: (يلتفت ناحية الجمهور بدهشة ويهمس) ولكنها فكرتي أنا...

(يدخل عشرة طلاب سبعة ذكور وثلاثة إناث تبدو وجوههم شاحبة ومرهقة وملابسهم رثة)

المدير: اللعنة..رائحتكم أعفن من دورات المياه...(لا يردون بسبب التعب)..(يتجه إلى الجنود) علموهم كيف يستخدمون دورات المياه..

(يتجه كل جندي وطالب إلى دورة مياه..يقوم كل جندي وطالب بالتباحث حول تشغيل الصابير والسايفون...أحد الجنود يدير مفتاحا فيهبط ماء الدش فوق رأسه..احد الشرطة ينزل سكينة المرحاض فيهرب عندما يسمع صوت انهمار المياه..)

جندي١: اللعنة...

جندي٢: هناك شياطين في هذا المكان..

جندي٣: لماذا كل هذه التعقيدات..

جندي٤: نحن نتغوط في الخلاء بدون حاجة لكل هذه التفاهات والخزعبلات..

المدير: (بفزع) اللعنة..حتى الجنود لا يعرفون كيفية التعامل مع دورات المياه (يوجه حديث للجنود) انصرفوا..انصرفوا..

الجنود: (يضربون أقدامهم بالأرض فيفزع المدير).. للخلف دُر....(يغادروا)

المدير: (يتجه نحو الطلاب) غادروا..

(يغادر الطلاب)..

جلال: يبدو أنه لا أحد في هذا البلد يعرف كيف يتعامل مع درات المياه سوى قلة قليلة يا سيدي..

المدير: وماذا نفعل يا جلال...ماذا نفعل يا صبحي..ماذا نفعل يا كرار...

جلال: لا أعرف يا سيدي..

صبحي: ولا انا..

كرار: سيدي...إن عندي الحل المناسب...

المدير: (بلهفة) عجل لي به يا كرار...بسرعة بسرعة...

كرار: هل تعرف يا سيدي أن مساحة هذه الحمامات كبيرة جداً..

المدير: نعم أعرف ذلك..إنها لكل الداخليات...ولذلك هي كبيرة المساحة..

كرار: ما عليك يا سيدي سوى أن تهدمها..

المدير: (باستنكار) ماذا؟ أهدمها..

كرار: نعم يا سيدي..اتركها أرضاً بلقعاً..ليس فيها سوى الخراب...تراباً وحجارة وحصي...وقل للطلبة جميعهم أن عليهم بعد أن يتغوطوا دفن غائطهم خلفهم...هم يعرفون ذلك مسبقاً ولكن من باب التأكيد.. لا حل امامك سوى هذا يا سيدي..

المدير: اللعنة .. رغم أنها فكرة تبدو بلهاء جداً..لكن..لكنها في الواقع تتماشى مع ثقافة الطلاب بالفعل...

جلال: إنها فكرة عظيمة يا سيدي...

صبحي: أُثمِّن على فكرة كرار يا سيدي..

المدير: إذاً..نادوا على الطلبة...(يدخل الطلبة على الفور) اسمعوا يا أولادي...لقد فكرت كثيراً جداً في مشكلتكم مع دورات المياه هذه..ويبدو أنني قد وجدت الحل...نعم..لقد وجدت الحل .. وهو حل عبقري ألمعي..

كرار: (يلتفت نحو الجمهور ويهمس بدهشة) ولكنني أنا من فكرت فيه..

المدير: إن الحل الذي توصلت إليه يا أبنائي الأعزاء .. هو هدم هذه الحمامات... سوف تكون خلاء بلقعاً..كل المطلوب منكم فقط..هو أمرين..الأمر الأول: هو هدم هذه الحمامات السخيفة بأنفسكم..والأمر الثاني هو أن تدفنوا غائطكم بعد أن تتغوطوا...هل فهمتم؟..

الطلبة:(يقفز الطلبة بسعادة وبهجة) هيييييه....هيييه...يعيش المدير يعيش المدير يعيش المدير...(يبتسم المدير محاولاً إخفاء تواضع مفتعل..فيرفعه الطلبة على أكتافهم وهم يهتفون) يعيش المدير يعيش المدير يعيش المدير...(يخرجون من المسرح أثناء هتافهم)

(ستار)

مشغول جداً- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الرجل

أصوات متعددة

المنظر:

غرفة بها سرير على اليمين ومقعد في المنتصف يتجه نحو الجمهور..على يساره طاولة عليها جوال وأوراق وكوب مياه غازية كرتوني فوقه أقلام..

يجلس رجل في أواخر الثلاثين من عمره..متراخي الأطراف..

يرن الهاتف، فيضغط الرجل بتكاسل على زر بالهاتف:

الرجل: ألو..

الصوت: نحن شركة الهاتف الجوال..ويبدو أن شريحتك غير مسجلة يا سيدي..

الرجل: إن السيد مشغول الآن..لديه اجتماع مهم..

الصوت: حسنٌ..سنتصل به لاحقاً..

(يضغط زر الهاتف فينغلق الخط)

الرجل: إنني أجتمع مع نفسي..ليس هناك أهم من أن أجتمع مع نفسي..وأنا اسرق هذه الدقائق لكي أجتمع بها...فأنا مشغول دائماً..

(اتصال آخر)

الرجل: ألو...

صوت٢: مرحباً..أريد وجبتين..الاولى سمك فيليه والأخرى دجاج بروست بالفلف الحارق..

الرجل: آسف..لا نعمل اليوم..نحن مشغولون ..

صوت٢: ولكن كيف هذا..إنني..

الرجل: (يقاطعه) قلت لك مشغولون..(يغلق الخط)..دجاج بروست..سمك فيليه..ماذا يعني هذا..إنه يعني أن هناك كائنات حية تأكل كائنات حية..يمكنني فتح مطعم...هذا مفزع..على أية حال إنني مشغول جداً مع قضية الشريحة غير المسجلة...

(يرن الهاتف..فيضغط على الزر)

صوت٣: (أنثوي) حبيبي..اشتقت لك..

الرجل: أنا كذلك ولكنني مشغول الآن..سأتصل بك لاحقاً يا حبيبتي..(يغلق الخط)..(يتحدث لنفسه) من ذا يهتم بالحب عندما تفكر في المال..مطعم يبيع للكائنات الحية كائنات حية أخرى ليأكلوها..جيد..إنه نوع من أنواع الحب القاتل..تماما كحبها لي.. تريد أن تأكلني..

(اتصال)

الرجل: ألو..

صوت٤: مساء الخير..سيتم قطع الكهرباء لعدم دفع الفاتورة يا سيدي..

الرجل: السيد مشغول الآن..

صوت٤: سنضطر لقطع الكهرباء..

الرجل: (الرجل يغلق الخط)..آه...تماماً كالحب...هو عقد إذعان...من قال أنني يجب أن أخضع لعقد إذعان لمجرد أن الحكومة الفاسدة تمنح عقوداً احتكارية لشركات خاصة كي تربح هي وأتعرض أنا للإذلال والمهانة..لست تافهاً لهذه الدرجة..نعم سأضطر للدفع في النهاية بعد الانتهاء من مسألة الحب هذه...

(صوت طرقات على الباب)

(ينصت الرجل بغير اكتراث)

(يستمر صوت الطرقات ويتصاعد)..

الرجل: من؟

صوت٥: أنا جارتك في الشقة المقابلة لك..

الرجل: مشغول..مشغول الآن..

صوت٥: قلقت عليك لأنني لم أشاهدك منذ ثلاثة أيام..

الرجل: قلت لك مشغول..لدي حسابات أقوم بها.. إلى اللقاء..(يهمس لنفسه) تحاول أن تظهر اهتماماً زائفاً ..ماذا لو طلبت منها دفع فاتورة الكهرباء..هل يا ترى ستثبت أنها مهتمة بجارها أم تؤكد أنها متطفلة وتبحث عن الخبر والاشاعات..ولكن..ما شأني بذلك..فأنا مشغول بمسألة فاتورة الكهرباء هذي..

(طرقات على الباب)

الرجل: من؟

صوت٦: نحن عمال الكهرباء..

الرجل: أنا مشغول الآن..

صوت٦: ولكننا سنقطع الكهرباء..

الرجل: قلت مشغول...مشغول..

صوت٦: حسن..ولكن تكاليف إعادة الكهرباء ستكون أكبر مما لو دفعت الفاتورة الآن..

الرجل: قلت مشغول...إذهب..(يحدث نفسه) تهتم بجيرانها..حسنٌ..الحرباء المتلونة...العقربة محبة الدسائس والمؤامرات..(يظلم المسرح، مع ضوء باهت جداً يظهر هيكل الرجل فقط)..لقد قطعوا الكهرباء..لكنني مشغول ولن استطيع توفير زمن للذهاب ودفع الفاتورة..والآن أنا مشغول مع هذا الظلام..لقد ظل يلهمني دائماً..منذ الطفولة وأنا مشغول..مشغول بالظلام....ففي الظلام قضايا متناقضة جداً...الخوف من الأشباح...وأمان الحب عند العشاق...(يقهقه)..الوحدة والوحشة (يقهقه) الحزن والله...يا إلهي..كم هذا الظلام مغرٍ بالتأمل..ولكنني مشغول الآن..فعندي اجتماعات كثيرة أكثر أهمية من تأملي للظلام..دعني أرتب الأولويات..ها..حسن...اجتماع مع نفسي...هذا اجتماع لم يأخذ وقتاً طويلاً للأسف، أذ أنني انشغلت باجتماعي مع شركة الكهرباء واجتماعي مع المرأة التي تحبني ثم اجتماعي مع شركة الكهرباء لهيكلة ديوني ثم اجتماعي مع جارتي طويلة الأنف ثم اجتماعي النهائي مع شركة الكهرباء والذي انتهى بغير اتفاق وتم قطع الكهرباء..بعد كل تلك الاجتماعات..لدي اجتماعات أخرى..مع بائع اللحوم والخضروات.. والسوبر ماركت..واجتماع مع بائع السجائر..واجتماع مع جهاز الصراف الآلي.. إنني أمقت الاجتماع مع الكائنات غير الحية..فهي لا تفهم بسرعة..مصممة لتكون غبية وتظل غبية...تنفذ فقط سلسلة من الأوامر بلا تفكير ولا تحليل..كم هذا ممل..خاصة وأنا مشغول جداً..لا أجد وقتاً لحلاقة ذقني..عمل إضافي آخر...انشغال آخر..لم آكل منذ ثلاثة أيام بسبب أنني مشغول..لم استطع حتى الذهاب للحمام لأتغوط واستحم...ياااه..مشاغل أخرى تقع على عاتقي...ألا يمكن تأجيل كل ذلك والتفرغ لعيش الحياة والتمتع بها..آه..كم نسيت..كان من المفترض أن أذهب وأجدد بطاقتي الوطنية.. وإلا فلن احصل على مزاياي كمواطن..ولكن ما هي تلك المزايا؟ لا أعرف حقاً.. لا.. أنا مشغول أكثر من اللازم..مشغول أكثر مما يجب.. وهذا غير إنساني..إن كرامتي تمتهن...كرامتي تُداس على الأرض..وللأسف أظل مشغولاً طوال حياتي...أنا في أواخر الثلاثين..ولم أتفرغ يوماً واحداً لممارسة اللعب والترفيه...مشغول مشغول..حتى في اليوم الذي كان من المفترض أن

أكون فيه مشغولاً بعقد قراني..لم أتمكن من الذهاب بسبب انشغالي بأشياء أخرى ولم أتزوج...مشغول مشغول مشغول..لا لا لا..يجب أن أتوقف فوراً عن لعب دور الضحية..يجب أن أعترف بتقصيري..وبأن إرادتي كانت حرة حينما بعت نفسي للشيطان..شيطان الانشغال المستمر...

(اتصال)

الرجل: ألو..

صوت٧: لماذا ترد عليَّ بهذا البرود..ألا تعرف رقمي؟

الرجل: أنا مشغول ياعمي عندي اجتماعات مكثفة..معذرة إلى اللقاء...(يغلق الخط)..ألا يرى أنني مشغول..هذه الاجتماعات التي لا تتوقف...إنهم أشخاص غير منتجين ولذلك لا يفهمون معنى أن تكون مشغولاً باستمرار...

(اتصال)

الرجل: ألو..

صوت٨: عذرا سيدي...أنا مدير شركة الكهرباء اخبروني أنهم قطعوا عليك اجتماعاتك والكهرباء كذلك..و..و وأريد الاعتذار لك..مؤكد أن مسؤولياتك عظيمة..

الرجل: (بتواضع) لا بأس لا بأس.. لا زلت حتى الآن في اجتماعات متواصلة..أنت تعرف الوضع والتحديات التي نمر بها..

صوت٨: بلا شك سعادة الوزير بلا شك..

الرجل: اسمح لي إذن..(يغلق الخط)..سعادة الوزير؟!!! يحسبني وزيراً..ومتى كان هناك وزير مشغول كانشغالي هذا؟ هناك وزراء لا يعرفون طريق الوزارة لأنهم لا يعملون شيئاً..لا أعرف ماذا يفعل وزير البيئة مثلا؟ عن أي بيئة يتحدثون..هذه القاذورات ؟ أم وزير السياحة؟ أي سياحة؟ إن الأجانب الذين يزورون هذه البلد هم العاملون بالمنظمات الإنسانية والصحفيون الذين يأتون خصيصاً لالتقاط صور الفقراء وأضلعهم تخرج من صدورهم لكي يدبجوا بها مجلاتهم المعطرة...وزير؟ يا لهذا المدير الأحمق؟ لكن كيف يعرف .. وهو أساساً لو جرب حياتي الغارقة في الاجتماعات والمشغوليات لما امتلك الوقت الكافي للإتصال بي؟ اللعنة..اللعنة..

(يعود الضوء)

الرجل: أعادوا الكهرباء..وقطعوا اجتماعي مع الظلام...

(اتصال)

الرجل: ألو...

صوت٢: آسف سيدي لأنني لم أطلب طلبية الدجاج البروست والسمك الفيليه بشكل مهذب لم أقدر محلكم الفخم التقدير المناسب..إنني أشعر بحقارتي فعلاً..

الرجل: يا سيد..قلت لك نحن مشغولون...(يغلق الخط)... لماذا شعر باحتقار نفسه...لو كنت أخبرته بأن الرقم غير صحيح لما كبدته كل ذلك الشعور بالشقاء...(اتصال)...ألو

صوت٣: حبيبي...أنا نادمة ..نادمة لأنني لا أعرف التوقيت المناسب للاتصال بك..

الرجل: لا بأس ولكنني لا زلت مشغولاً..

صوت٣: أريد ان اقول لك فقط..أنت رجل غير عادي..لم أدرك ذلك إلا الآن..الرجل: (يغلق الخط) ..لماذا لم تدرك ذلك إلا الآن؟!!!..شيء غريب...ولكنها أساساً كالجميع..لا تفهم قيمة الانشغال...وحلحلة المشاكل بالاجتماعات المتواصلة...التفاوض ولا شيء غير التفاوض (صوت طرقات على الباب..يتجاهلها قليلاً) أووف..من الطارق الآن..

صوت٥: (بارتباك) أسفة يا جاري المحترم...لقد..لقد أعددت لك وجبة فقط..أعرف انك أعزب ومشغول دائماً...ولذلك قررت صناعة وجبة يومية لك..

الرجل: ضعي الأكل قرب الباب..فأنا مشغول ولا وقت لي للدردشة الفارغة..

صوت٥: (بارتباك أكبر) آسفة آسفة...أرجو أن تعذرني..فأنا لم أكن اعرف أنك ضابط كبير في المخابرات...

الرجل: حسنٌ..اذهبي الآن..

صوت٥: وداعاً..

الرجل: ضابط مخابرات...؟!!! ومتى كان ضباط المخابرات مشغولون مثلي؟ متى كانوا يجتمعون لحلحلة مشاكل أمن الدولة...إن كل جواسيس دول العالم أصبحت موزعة في كل شبر من أرض هذا البلد...ضابط مخابرات..هة..اللعنة كم أساءت لي..

(طرقات)

الرجل: من؟

صوت٦: آسفون يا سيدي الوزير..لقد أعدنا الكهربا بتوجيهات مباشرة من السيد المدير..

الرجل: شكراً...غادروا فوراً..مشغول جداً أنا...(تُسمع اصوات أقدام فني الكهرباء وهو يغادر) (يغمض الرجل عينيه)... هذا يكفي...تعبت من الاجتماعات...الجوع...هذا الباعث الذي تتمحور حياة الإنسان حول إشباعه.. ماذا لو لم نكن بحاجة للأكل..كان ليتوفر لنا الكثير من الوقت لننجز كافة اجتماعاتنا...آه..تذكرت.. لقد أحضرت الجارة العقربة طعاماً أثناء انشغالي بأحد الاجتماعات الهامة...سأحضره (ينهض بصعوبة ويخرج من يسار المسرح ثم يعود حاملا الطعام..يبدأ في الأكل ببطء..يأتي صوت طرقات..يصيح) ليس الآن..أنا مشغول..تعال في وقت لاحق...(تتوقف الطرقات) سيكون هذا إجتماعي الأخير هذا اليوم...فالاجتماع مع الطعام أفضل خاتمة يختم بها المرء يومه المزدحم جداً...

(ستار)

صيرورة مسرحية

أريد أن اكتب مسرحية عبثية الآن..

لا أعرف عن أي موضوع..لكن لنبدأ ولننتظر التداعي الحر....

المسرح: (وصف المسرح شيء مهم في كتابة المسرحية، لكنني أرى ان هناك مغالاة كبيرة من الكتاب المسرحيين، فهم يتصورون– في كثير من الأحيان انهم يتعاملون مع سينما وليس مسرح، فيكثرون من تحديد مواصفات المسرح..) لذلك فلتكن هذه المسرحية بخشبة مسرح فقط.. يقوم

الممثلون بأداء الأدوار بشكل إيهامي، بحيث يشرب مثلا من كوب غير مرئي، ويجلس على كرسي غير موجود، او يتكئ على طاولة غير موجودة وهكذا...

مع ذلك؛ فخلو المسرح من أي أدوات ليس فكرة إبداعية من بنات أفكاري، لكنني جعلت المسرح خالياً لسبب بسيط، وهو أن أترك مساحة أوسع للتداعي الحر. ربما أعود وأصف المسرح بشكل تفصيلي بعد نهاية المسرحية، أو ربما لا أفعل...

لا أعرف ما هي شخصيات المسرحية..دعوني أفكر قليلاً...في الواقع لقد استهلكت في مسرحياتي السابقة أغلب الشخصيات..المحامين والطباخين والمدرسين والقضاة وربات المنازل والراقصات..الخ...لذلك دعونا نبحث عن شخصيات جديدة كل الجدة، ولتكن مثلا...جيد..رائد فضاء...هل معه رائدة فضاء مثلاً؟ لا.. فليكن الجزء الأول بدون امرأة..حتى لا تنحرف المسرحية أو افكار القراء أو المشاهدين–بعد عمر طويل– إلى مفهوم مستهلك بشدة، كالحب، فلتكن مسرحية عبثية بالفعل، فلتكن تراجيدية، أو فلتكن عدمية، يائسة... فلتكن ما تكون...

في وسط المسرح الخالي طبعا، يرقد الرائد الشاب على بطنه، تحكمني في الأسماء ضوابط كثيرة، فلا يمكن أن استخدم الأسماء بشكل اعتباطي، لا يمكن أن استخدم اسماً عربياً أو أفريقياً وهذه الدول لم تبلغ شعوبها الوصول لقمة إيفريست ناهيك عن بلوغ الفضاء..، سيغالطني البعض، المهم أن بطل المسرحية يرقد على بطنه، ولنتركه بلا اسم:

الرائد: (ينقلب على ظهره) لا توجد جاذبية..كم هذا ممتع..(ينقلب مرة أخرى على بطنه) هذه المحطة الفضائية صامتة جداً...صامتة كغرفة امرأة عجوز...والأرض.. ها هي هناك زرقاء وبيضاء وبنية...جميلة..ليست جميلة فقط..بل .. بل إنها مخيفة...لا أعرف كيف تبدو تقليدية وشاحبة في الأسفل وشيطانية الجمال هكذا من أعلى...ماذا لو كنت قادماً من كوكب بعيد..كوكب صلد ..صخري..وجاف..كالمريخ..كيف كنت لأرى الأرض يا ترى...أحتاج للتبول..(ينقلب على ظهره ثم بطنه ثم ظهره)..ولكن..لا توجد جاذبية..يمكنني أن أتبول بأي زاوية كانت.. الفضاء الفضاء...كان بامكان الأرض أن تُكمل جمالها لو انعدمت فيها الجاذبية بحيث كان بإمكاننا فعل كل الأشياء بحسب ما نشتهيه.. منازل مقلوبة لأسفل واخرى مقلوبة لأعلى..ناس تسير ورؤوسها للسماء وأخرون يسيرون ورؤوسهم للأرض.. هل يبدو هذا فوضوياً قليلاً؟ ربما..ربما ليس جميلاً كما كنت أعتقد..ربما كانت الجاذبية الأرضية علامة للإنضباط..رفض للعبث..رفض للفوضى.. تأكيد على المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع

الكائنات....لذلك..لا .. فلتبقَ الأرض كما هي عليه...عظيمة دائماً كأبطال أساطير التوراة الذين لم يرهم أحد من قبل...وربما هم أنفسهم لم يلتقوا بأنفسهم...بقايا من أحلام الأخمينيين الذين تشردوا بعد الهزيمة النكراء...حسنٌ.. الواقع الكئيب..والذكاء الأخميني الذي زور التاريخ وجعل الأكذوبة تقضي على الحقيقة..كما هو حال الأرض التي تحجب عنا حقيقة هشاشتها وهي عالقة في امتداد الكون الشاسع كطفل يتيم..اللعنة...إنني أهذي.. إنني.. إنني سأجن إذا بقيت في هذه المحطة الفضائية وحدي...ولكن...لقد تحملت سنتين وأنا هنا..لم ألتق بإنسان سوى مرة واحدة حينما تم إرسال رائد فضاء لعلاج عطب بسيط في المحطة...لقد عاد.. ولكن..ولكن وجوده لمدة أسبوعين فقط كان كعدمه..لقد كان يتكلم لغة لا أعرفها..وفوق هذا..كان لطخاً..متجهماً طول الوقت .. بل ومتعجرفاً وكأنما ليس مجرد مهندس متخصص في مسألة دقيقة كغيره من المهندسين...لم استفد شيئاً من حضوره.. لا.. لا لا لا...لقد استفدت قليلاً.. على الأقل شعرت بأن هناك كائن حي يقاسمني هذا الصمت ويؤكد لي وجودي..ولكن..ولكن ألم يؤدي وجوده هذا ثم اختفائه إلى تضخم شعوري بعد ذلك بالوحدة والوحشة والخوف.. قبل أن يرسلوه كنت متكيفاً مع وحدتي..ولكن...اللعنة... أريد كائنا معي...سأرسل رسالة فورية إلى الأرض...(يمقلب على بطنه، يضغط على أزرار حاسوب غير موجود ويتحدث عبر سماعة غير موجودة بالطبع) ألو..ألو..حوّل.. الو..هل تسمعني؟...(ينتظر قليلاً فلا يسمع رداً) أين ذهبتم؟ (يزداد هلعه) ألو ألو.. (يقول بسرعة وخوف) هل من يسمعني..أرجوكم (ينقلب على ظهره ويشرع في البكاء)...

(سأكملها غداً..تعبت)

(نعود)

رائد الفضاء: إن خوذتي تخنقني..(يخلع خوذة وهمية)..إذا كان البشر لم يستطيعوا وربما لن يستطيعوا ملأ كل هذا الفراغ الكوني فمن سيقنعهم أنهم لا زالوا متوحدين أكثر مني.. يمكنني أن أتواصل مع البشر عبر الانترنت..(ينقلب على بطنه ويبدأ في معالجة حاسوب وهمي) سأدخل إلى غرفة دردشة..هذا حشد كبير..ماذا يقولون؟ أو ماذا يكتبون بالأصح، مليارات يكتبون بصمت أليس ذلك مدهشاً..إنهم فزعون من التواصل الصوتي..إن حضارتنا دمرت فطرتنا..أليس

كذلك..أنظر لهذه الفتاة..إنها تكتب وتكتب وتكتب.. يبدو أنها تعيش حالة من السوداوية..مرحباً..(يبتسم) إنها تكتب رداً لي..جيد...نعم؟..أنا؟...عمري وسني؟..اربعٌ وثلاثون..أعمل رائد فضاء..(يقهقه) إنها تضحك..إنها لا تصدقني..وأنتِ ماذا تعملين..نادلة..نادلة في بار بملهى ليلي..مهنة لطيفة..سأحاول جذبها ببعض الكلام السوداوي..حسنٌ..لماذا تكتبين قصائد حزينة.. من؟ بوشكين؟!!! من بوشكين هذا؟!!.. لا اعرفه... صحيح لست مثقفاً شعرياً مثلك..إنني مهندس..صحيح ما تقولين يا عزيزتي..ليس بالضرورة أن اكون جاهلاً لمجرد أنني مهندس..لكن كلية الهندسة لا تعمل على تخريج مثقفين بل مهندسين...لا ..سأحذف هذا التعليق يبدو لئيماً...باعتباري رائد فضاء سأحاول كتابة قصيدة نثرية تعبر عن حزنك يا صديقتي...حسنٌ..خذي...(يغمض عينيه ويقول بصوت هامس) تبحثين عن أغنية ..تكون عميقة كجروحك ..إذاً استمعي لغناء الشفق عند الغروب .. ونواح الملائكة المسجونة تحت الأرض .. وأصوات صرير الاقلام التي تكتب تاريخ البشرية منذ عصر الجليد ..إن الكون يغني من حولك غناء العدم الخالد... تلك الغابات المظلمة الساكنة كروحك ...تلك النجوم المنعزلة في فضاء مظلم .. انصتي لهذا الكون .. انه يبكي بعمق جروحك ....(يبتسم) إنها تقرأ الآن..لا شك أنني اصطدتها..(ينظر لشاشة الحاسوب الوهمية بفزع) ما هذا؟!!! ...مجنون؟!!...قالت مجنون وغادرت...تافهة.. بنات حمقاوات...رد فعلها طبيعي فالفتيات عموماً يتعمدن إغاظة الراجال..إنهن يسعدن بمثل هذه التصرفات...(ينقلب على ظهره) آآآه...تعبت..التواصل مع البشر مقرف..ولكن..ولكن عدم التواصل معهم مرهق أكثر...أكاد أجن من هذه العزلة.. لا أعرف كيف يفضل الشعراء العزلة..العزلة لا تضيف أي حقيقة للمرء..قرأت قديما لفيلسوف فارسي انتقد العزلة..إنه يدعى مسكويه..وأنا اتفق معه...وربما لو جرب الحياة في الفضاء لأدرك أن الحياة في اخاديد الديدان الطينية أكثر سعادة من العزلة...(تصدر حشرجة فينقلب على بطنه) هة!!! .. الو ألو... هل تسمعني؟.. ألو

صوت سيدة: توقف عن إزعاجنا يا مشاغب..

رائد الفضاء: تعالي بدلاً عني وستعرفين أنني اكثر صبراً من السلحفاة..

صوت السيدة: (تضحك) لم أكن أعرف أن السلحفاة صبورة..(يتغير صوتها ويصبح جاداً) ولكن لماذا أزعجتني بهذه الرسائل الكثيرة..

رائد الفضاء: أين كنتِ؟..

صوت السيدة: كنت أطبخ..في الواقع كنت أنظف البطاطس واقطعه لشرائح..

رائد الفضاء: في قمرة توجيه المحطات الفضائية؟

السيدة: نعم..وما المشكلة؟..لقد إشتهيت بعض البطاطس المقلية بالزيت بطريقتي الخاصة..وبالفعل حققت أمنيتي..ثم بعد ذلك نمت قليلاً فأنت تعرف أن الليل طويل في الشتاء..

رائد الفضاء: أعرف أكثر من ذلك..فلا يوجد نهارٌ هنا..

السيدة: هذا مؤسف...ها..لماذا ازعجتنا ..لم تجبني..

رائد الفضاء: حسنٌ..كنت أشعر بالوحشة...الا يكفي أنني أسمع صوتك هذا وكأنه أجمل صوت سمعته في حياتي؟..

السيدة: أها.. إذاً فأنت مصاب باضطراب نفسي..هذا يستدعي رفع الأمر إلى رئاسة القسم...

رائد الفضاء: ليس إلى هذه الدرجة..على الأقل صوتك جميل بالفعل...

السيدة: أُقدِّر قولك ذلك..ولو كنت في الثامنة عشر من عمري لشعرت بالغبطة...

رائد الفضاء: هل كنتِ ستقبلين بي حبيباً؟

السيدة: بل كنت سأقول أنك مجنون وأغلق الميكرفون..

رائد الفضاء: اللعنة.. هذا ما حدث معي بالفعل...

السيدة: حقاً؟ .. حسنٌ..لقد كنت مراهقة من قبل ولدي خبرة ليست سيئة..

رائد الفضاء: (يقهقه) إذاً فهو قانون عام يسري على كل المراهقات..

السيدة: ليس كذلك...(تتحدث بغرور) الجميلات فقط... لا يغرنك ما أنا عليه اليوم وخاصة بعد زواجي..فالشُّبانُ كانوا يزحفون على ركبهم لينالوا ابتسامة رضى مني..

رائد الفضاء: أسعدتني تلك المعلومة فقد ظننت لوهلة بأنني مجنون بالفعل...

السيدة: لا .. لستَ كذلك...أنت طبيعي.. حسناً سأغادر إن لم تكن ترغب في شيء جدِّيْ..

رائد الفضاء: ألا يوجد أحد غيرك؟

السيدة: لا.. إلا إذا كنت تريد الحديث مع عامل النظافة..

رائد الفضاء: لا مانع لدي..

السيدة: أنت مجنون حقاً.. سأناديه ليحدثك إن كان راغباً في ذلك..وداعاً..

رائد الفضاء: وداعاً..

(ينقطع الصوت)

(..وبعد تشغيلي لموسيقى هادئة، ورد لخاطري تسمية هذه المسرحية مسرحية العزلة، رغم أن هذه الكلمة مستهلكة حد الابتذال، فهي تبدو معبرة عن تلك الفكرة العميقة التي تولدت في خاطري بدون إعداد لها...ليس بالضرورة أن يكون الفنانون والأدباء والفلاسفة هم وحدهم من يعانون من العزلة ، العزلة التي يمكن اعتبارها عزلة تفرضها عليهم عقولهم المضطربة، فلا مانع من أن يكون مهندسٌ ورائد فضاء يعاني هو الآخر من العزلة القسرية، لكنه متزن نفسياً؛ فلأكمل الكتابة ولأرَ إلى أي مصب سينتهي بنا مطاف هذه المسرحية)

رائد الفضاء: ألو ألو..

(تصدر حشرجة من المذياع ويأتي صوت مضطرب لرجل عجوز)

العجوز: ألو ألو..

رائد الفضاء: ألو نعم....

العجوز: ألو..ألو...

رائد الفضاء: هل تسمعني؟

العجوز: ألو ألو نعم أسمعك..ألو ألو..

رائد الفضاء: مرحباً..قالت لي المراقبة أنك عامل النظافة...

العجوز: ألو ألو.. نعم أنا عامل النظافة ألو ألو..

رائد الفضاء: وأنا رائد الفضاء..

العجوز: ألو ألو هل أنت فعلا في الفضاء الآن ألو ألو..

رائد الفضاء: نعم أنا الآن في المحطة الفضائية..

العجوز: ألو ألو مدهش حقاً ألو ألو..

رائد الفضاء: حقاً هو مدهش..اسمع..ليس بالضرورة أن تقول ألو ألو كل مرة...يمكنك أن تتحدث مباشرة عما يجول في خاطرك..

العجوز: ألو ألو حسنٌ سيدي ألو ألو

رائد الفضاء: كما أخبرتك ليس بالضرورة أن تردد ألو ألو..

العجوز: أل... أها..حسنٌ..

رائد الفضاء: هل الأرض نظيفة كما ينبغي؟

العجوز: جداً...نظيفةٌ جداً..

رائد الفضاء: هذا جيد...

العجوز: ألا توجد أوساخ في الفضاء؟

رائد الفضاء: توجد بكثرة..

العجوز: (بدهشة) كيف هذا؟

رائد الفضاء: في الواقع هناك مخلفات كثيرة كبقايا تفجيرات الصواريخ المضادة للأقمار الصناعية .. في الواقع إنها تهدد حياة كل رواد الفضاء..أحيانا نضطر للبقاء داخل كبسولات الحماية لفترة من الزمن حتى تمر المخلفات..هل تصدق يا سيدي أن شريحة بحجم رأس الدبوس يمكنها أن تكون قاتلة..

العجوز: مدهش..

رائد الفضاء: وهناك أيضا نفاياتنا كرواد فضاء..أنت تفهمني طبعاً.. نحن نضع نفاياتنا في حاويات ونلقي بها في كبسولات أيضاً.. الفضاء متسخ يا سيدي ويحتاج لملايين من عمال النظافة ومع ذلك فلن يكون ذلك بذي جدوى..

العجوز: مدهش حقاً..

رائد الفضاء: ماذا تفعل الآن؟

العجوز: أتحدث معك سيدي..

رائد الفضاء: أقصد هل لديك عمل...لا أريد أن اشغلك عن عملك..

العجوز: أوه... ربما سأذهب لألحق بعيد ميلاد حفيدتي..(يضحك بصوت متقطع وخفيض) لقد أكملت عامها العاشر..

رائد الفضاء: جميل.. لا يمكنني تعطيلك .. أرجوا ان تبلغها مباركتي لها..

العجوز: حسنٌ..سيدهشها أن أبلغها تحيات رائد فضاء..

رائد الفضاء: سأسجل فيديو أهنؤها فيه..يمكنك أخذه من المراقبة عندما تعود..

العجوز: (بجزل) شكراً شكراً..

رائد الفضاء: على الرحب..

العجوز: وداعاً..

رائد الفضاء: وداعاً..

(ينقطع الصوت)

رائد الفضاء: (ينقلب على ظهره) يجب أن اسجل لها التهنئة الآن..(يرفع كاميرا وهمية أمام وجهه) صغيرتي الأميرة....آه..لقد نسيت أن أسأله عن اسمها...هذه مشكلة كبيرة..فذكر اسمها هو ما سيؤكد لأصدقائها أن رائد الفضاء يقصدها هي بالتحديد...(ينقلب على بطنه ويفتح المايكروفون الوهمي) سأتصل بقمرة المراقبة...ألو..ألو...هل تسمعني..حوَّل..ألو ألو... للأسف لا يوجد أحد.... (ينقلب على ظهره) في السابق كان هناك مئات من المراقبين على مدار الساعة أما اليوم فلا أحد يكترث لوجود أحمق ملقىً في الفضاء وحيداً لمجرد أنه يحصل على مرتب كبير.. في الواقع حتى المرتبات تم تخفيضها..أصبح هناك استعداد لدى كل المجانين من البشر ليحلوا محلي.. ماذا يتصور هؤلاء؟ إنهم يعتقدون أن الهروب من واقعهم المرير أجمل من الغرق فيه...إنهم يائسون..يائسون جداً وإلا لماذا يقبل إنسان سعيد البقاء منعزلا عن الأرض والبشر وغارقاً في الظلمة الحالكة..يراقب كوننا شاسع الضخامة حتى لكأنه قادر على ابتلاع كل شيء.. رباه كيف تعيش الآلهة في هذه الوحشة والتعاسة لتكتب أقدار الكون والبشر والحيوانات والحشرات والنباتات والجمادات.. ربما ما كانت لتفعل ذلك لو أنها عاشت على الأرض بدلاً عن الفضاء...لقد أصبحت أهذي... أحتاج للحديث المستمر مع أي بشري..هذه العزلة ستفضي بي إلى الجنون..(ينقلب على بطنه)..ألو..ألو..أرجوكم...لا تفعلوا ذلك بي..(يكتم بكاءه) أرجوكم.. إنني أعاني.. أرجوكم..فليكلمني أي شخص.. لن أتحمل...لن أتحمل أكثر من ذلك...ألووو ألووو..أين انتِ؟؟؟ أرجوك..ردي عليّ.. (ينقلب على ظهره ويبكي) كيف يتحملون كل ذلك..ربما لو لم ألتقِ بذلك الرجل لما شعرت بمعنى العزلة...لقد امضيت السنتين السابقتين دون أن أعاني كما يحدث الآن..يا إلهي...

(تصدر قشعريرة؛ فينقلب رائد الفضاء على بطنه)

رائد الفضاء: (بلهفة) ألو ألو....ألو ألو..

السيدة: أوه .. كم أنت مزعج..

رائد الفضاء: أريد العودة إلى الأرض فوراً..إنني أعاني من اكتآب حاد..

السيدة: (يبدو على صوتها القلق) حسنٌ ولكن لن يتم هذا قبل شهر آخر..

رائد الفضاء: لن أتحمل ساعة أخرى..أعيدوني فوراً (ينفجر باكياً) أرجوكم أرجوكم..

السيدة: (تبدو جزعة) سأتصل أولاً بالطبيب ليتحدث إليك وفي هذه الأثناء سأجري إتصالاتي بالرئاسة..

(ينقطع الصوت ويستمر رائد الفضاء في البكاء... تصدر حشرجة ويأتي صوت الطبيب)

الطبيب: مرحبا سيدي..

رائد الفضاء: مرحبا سيدي..

الطبيب: هل تبكي؟

رائد الفضاء: نعم..أنا أعاني من الإكتآب..

الطبيب: تحتاج أولاً للبقاء تحت مصباح قوي لتخفف من انعدام ضوء الشمس..

رائد الفضاء: الأضواء متوفرة مع ذلك لا زلت أشعر بالفزع..

الطبيب: فزع أم اكتآب..

رائد الفضاء: (يصرخ) الإثنان..أعاني من الإثنين..أشعر بأنني سأموت..سأموت .. سأموت..

الطبيب: هل لديك أدوية لعلاج الاكتآب..

رائد الفضاء: لدي صيدلية جيدة..لقد تناولت العديد من الأدوية دون جدوى..يجب أن أعود إلى الأرض فوراً..لم أعد قادراً على تحمل هذه العزلة.. أنا إنسان ولست نواة خلية(ينفجر بكاءً)..

الطبيب: هل تشعر بميل للانتحار..

رائد الفضاء: لا..(بغضب) ما هذه الأسئلة بحق الجحيم؟..

الطبيب: لا تغضب يا سيدي..يجب أن اسألك هذه الأسئلة الروتينية لأن وضعك في الفضاء ليس كوضع غيرك من المرضى على الأرض..

رائد الفضاء: أنا لستُ مريضاً..

الطبيب: أدرك ذلك..ولكنني لا أجد كلمة مناسبة غير ذلك..فلا يمكنني أن أصفك بزبون مثلاً فأنا لست حلاقاً..وأنت لست شخصاً عادياً.. مع ذلك فأنت وإن لم تكُ مريضاً لكنك تعاني من إضراب بسيط..سنحاول تدارك الأمر..

رائد الفضاء: أنت لا تفهمني..أنا غارق في التعاسة...

الطبيب: منذ متى لم تتحدث مع بشري؟

رائد الفضاء: تحدثت قبل دقائق مع عامل النظافة ومع المراقبة..وتحدثت إلى مراهقة في غرفة دردشة على الانترنت..

الطبيب: تحدثت إليهم بالصوت؟

رائد الفضاء: نعم..ولكن.. ولكن ما عدا الفتاة المراهقة..

الطبيب: حسنٌ...ألم تشعر بتحسن وأنت تتحدث معهم...

رائد الفضاء: لا.. لم يحدث ذلك..

الطبيب: لماذا؟ ماذا قالوا لك.. هل قالوا لك أشياء غير طيبة..

رائد الفضاء: لا.. لا.. ولكن.. نعم..الفتاة المراهقة وحدها قالت أنني مجنون..

الطبيب: والمراقبة؟

رائد الفضاء: لم تكن راغبة في الاستمرار في الحديث..

الطبيب: وعامل النظافة؟

رائد الفضاء: لم يكن يفهم شيئاً من حديثي...كنا في واديين مختلفين...مع ذلك..فلقد نسيت أن أسأله عن اسم حفيدته...كان من المفترض أن أسجل لها فيديو أهنؤها فيه بعيد ميلادها العاشر..

الطبيب: حسنٌ دقائق..سأعود إليك بعد ثوانٍ قليلة..

(ينقطع الصوت..ثم يعود صوت الطبيب)

الطبيب: إن اسمها فاطيما..

رائد الفضاء: حقاً؟.. شكراً لك.. سأسجل لها الفيديو الآن...(ينقلب على ظهره ويرفع كاميرا وهمية أمام وجهه).. أميرتي الصغيرة فاطيما (يبتسم بسعادة) هذا أنا رائد الفضاء..هل ترين كيف أسبح في الفراغ..هل ترين هذا القلم الذي يسبح في الفراغ..هذا لأنه لا توجد جاذبية أرضية هنا في الفضاء.. كل عام وأنت بخير يا صغيرتي...أرجو أن ترسلي قبلة عندما تردي على تسجيلي هذا.. إلى اللقاء..(ينقلب على بطنه ويكتب على الحاسوب الوهمي)..آه.. هناك رسالة..رباه إنها من الفتاة المراهقة..هالوو.. نعم يا عزيزتي.. لقد عدتِ للمجنون مرة أخرى؟...أها..نعم أنا فعلا رائد فضاء..حقاً فأنا لا أمزح..يمكنك رؤيتي عبر الكاميرا..نعم افتحيها..هل ترينني الآن.. أوه كم أنتِ جميلة..عفواً.. إنني بالطبع لم أتعمد إخبارك بوظيفتي هذه فلست ممن يحبون إدهاش الفتيات الجميلات.. أها.. إذاً فلقد أعتقدتِ أنني كنت أكذب عليك.. (يقهقه).. لست مجنوناً؟.. أشكرك على إعادة أهليتي العقلية لي من جديد..آه.. لا لا لا.. لستُ وسيماً..إنني عادي جداً...

الطبيب: سيدي.. هل تسمعني..؟

رائد الفضاء: آه لقد نسيت أنك معي على المايكروفون..

الطبيب: لا بأس..ويبدو أنك استعدت قليلاً من عافيتك..

رائد الفضاء: استعدتها فعلاً.. ولا أعرف لماذا..

الطبيب: هاهي المراقبة .. تفضلي سيدتي..

السيدة: (تسأل بقلق) هل أنت بخير؟

رائد الفضاء: نعم بالتأكيد...أعتذر لك ولكنني أتحدث عبر الانترنت مع شخص آخر...

السيدة: حسنٌ لقد صدر قرار بإعادتك إلى الأرض خلال أسبوع..هل تستطيع تحمل ذلك؟

رائد الفضاء: خبر طيب وأستطيع تحمل ذلك.. وداعاً..

السيدة: يا لك من غريب الأطوار..وداعاً..

رائد الفضاء: (يكتب على الحاسب الوهمي).. هلو عزيزتي..نعم كنت أتحدث فقط مع قمرة المراقبة..سأعود بعد أسبوع...نعم خبر جيد..هل يمكنني أن ألتقيك على الأرض..حسناً.. سأذهب للنوم ونلتقي غداً في نفس المواعيد... وداعاً يا عزيزتي..

(ينقلب على ظهره)..كم هو يوم سعيد...الطفلة فاطيما ستفرح بالفيديو.... سأنام الآن...(ينهض على قدميه ويقف منتصباً.. يجمع قدميه..يطأطئ رأسه ويغمض عينيه ثم يصدر عنه صوت شخير)..

...

يبدو أن المسرحية قد انتهت نهاية سعيدة على غير ما كنت أتوقع..ورغم ذلك فهي تبدو لي نهاية بسيطة ولكنها إلى حد ما تفي بالغرض.. أي كونها ليست سطحية.. فالحب يهزم كآبة العزلة...نهاية لا بأس بها..

وداعاً...

المكب- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الولد

عشة

بوب

نينو

الشابة

الشاب

المسرح:

مكب نفايات، متراكمة وعالية كَتَل.

يجلس بوب على الأرض قُدام التل. يرتدي شورتاً قصيراً متسخاً وجسده عارٍ من أعلى. وهو –أي بوب– أسمرٌ عجوز، ربما في الثالثة والستين من عمره، جسده نحيل وكرشه تبرز للأمام. لديه شعر وشوارب ولحية بيضاء ويرتدي نظارة سميكة. يغرز مغرزا حديدياً بين أظافر قدميه وينظفهم بها متنقلاً بين القدم اليمنى واليسرى. يدندن بأغنيات غير واضحة، ويصفِّر أحياناً ثم يعود للدندنة. على الجانب الأيسر وإلى الخلف قليلا من مقدمة المسرح تجلس عشة على الأرض. وهي سيدة سوداء نحيلة جدا ويبدو من هزالها أنها مريضة، أسنانها الأمامية بارزة قليلاً وعيناها باهتتان داخل محجريهما، تلف ثوباً قديماً حول جسدها. تحدق في الأفق بنظرة ناعسة. وباختصار تبدو كجثة.

يدلف صبي مشرد ويبدأ في الأكل من النفاية.

عشة: (بصوت منخفض وبارد ولا تحرك رأسها) لا تأكل من النفاية (يتجاهلها الصبي)..قلت لك لا تأكل من النفاية..ستمرض..أمعاؤك ستتلوى من الألم ولن تجد علاجاً..

(يطوِّح الصبي بيده سخطاً ويغادر من الجهة الأخرى للمسرح)

بوب: أتركيه..

عشة: سيمرض..

بوب: وسيتعافى..

عشة: سيتألم..

بوب: كباقي البشر..

عشة: لا تكن قاسياً هكذا..(بوب يدندن) .. تأخير الألم دورنا..ستة من أشقائي ماتو بالكوليرا..بقيت أنا وأمي فقط احياء...(يستمر بوب في الدندنة) ..مع ذلك..فلا زلتُ سعيدة لأنني لم أمت.. ألستَ كذلك؟ (يستمر بوب في الدندنة)..إنك لا تهتم..ولكنك طيب على أية حال..من أنت؟ أنا لم أعرف أبداً.. لقد ولدتُ وأنت تجلس هنا...من أي إقليم اتيت ومتى أتيت وكم عمرك

وما هي مهنتك؟ (يقهقه بوب بصوتٍ عال)..مضحك جداً..بالفعل..أنت رجل عجوز مريب..لكنك طيب على أية حال..(يستمر بوب في الدندنة) ألم تحاول مرة أن تغني بصوت مسموع وواضح..هل تستمتع حقاً بهذه الدندنات المزعجة للآخرين؟ (يتوقف بوب عن الدندنة وهو يرسم خطاً بسبابته على التراب) لا تتوقف ..لم اقصد حرمانك من الدندنة..صدقني..يمكنك أن تتابع..صحيح أنها مزعجة لكنها خير من هذا الصمت..(يواصل الدندنة)..لم يتقدم أحد لخطبتي..ألا يمكنك أن تتزوجني (يتوقف عن الدندنة لبرهة ثم يواصل) لا أعرف..أنت تعيش هنا..لن يكون لنا منزل..لكن..لكنني سأكون مسؤولة عنك..هذا أفضل بالنسبة لي..وأنت..انت رجل طيب على أية حال...

بوب: نحن متزوجان الآن..

عشة: آه.. لا أعرف..ماذا تقصد..؟

بوب: لا أعرف..

عشة: تقول ما لا تعرف؟

بوب: أعرف ولا أعرف...

عشة: حسنٌ..إنك غريب كعادتك...لكنني لا أفضل الحسم..هكذا أفْضَل..كالحياة تماماً...

بوب: أقصد..نحن..نحن هنا منذ زمن طويل..أليس هذا زواجاً؟

عشة: لا أظن..أعتقد يجب أن نكتب ذلك مع شهود..هكذا يكون زواجاً..

بوب: مكتوب..وشهود..ماذا تقصدين..ما أهمية ذلك...؟

عشة: حقاً لا اعرف..ربما ..ربما لكي أسلمك جسدي باطمئنان..(يقهقه بوب بصوت عال ويعود للدندنة).. انت تسخر مني..لست قبيحة إلى هذه الدرجة..

بوب: (يتوقف عن الدندنة) لستِ قبيحة..

عشة: لا.. لست قبيحة...(تصمت قليلاً..تمسح وجهها بأناملها النحيلة) إنك رجل طيب على أية حال..

بوب: على أي حال..بدون تاء مربوطة..

عشة: من قال هذا؟

بوب: سمعت ذلك من مدرسي..

عشة: متى كان ذلك؟

بوب: أُووه بعيداً بعيداً جداً...

عشة: لو أكملت دراستك لصرت محترماً..

بوب: (يقهقه)

عشة: لم نكن واعين في ذلك الوقت..

بوب: لقد اغتصبني..

عشة: (تتسع عيناها) ماذا؟

بوب: أستاذ اللغة..لذلك هربت..تركت المدرسة ومنزل أبي وسافرت على ظهر حمار حتى وصلت لهذا المكب..

عشة: (تهم بالبكاء)

بوب: كنت أحمقاً..لقد اكتشفت بعد كل تلك السنين أن الأمر ليس بكل تلك الخطورة..

عشة: كيف ذلك؟

بوب: لا أعرف...

عشة: تقول ما لا تعرف..

بوب: (يهمس) أعرف ولا أعرف...

(يدخل رجل ببدلة وربطة عنق، قصير شبه أصلع وبخدين متوردين وشارب اسود كث وذقن حليق هو السياسي نينو:

نينو: أها....مرحباً...السيد الغريب والسيدة عشة...(يشير إلى بوب) لا أحد يعرف اسمك رغم أنك تعيش قرب هذه النفاية منذ ..منذ..منذ (يضع سبابته على شفتيه محاولاً التذكر) ..منذ وقت ليس بالقصير.. ما اسمك؟

بوب: بوب..

نينو: آاااه ..بووووب.. كم هو جميل هذا الإسم...إنه متفق مع كونك مشرداً.. لكن غالباً ما ستضطر لتغييره بعد أن أنتصر في حملتي وأحكم هذا الإقليم..في كل الأحوال لن تكون هناك نفايات تعيش فيها ولكن الأهم هو أنني سأوفر لك منزلاً..أما السيدة عشة..أول ممرضة في مستشفى الإقليم فسيكون لك منزل مثله بدلاً عن الكوخ الخشبي الذي تعيشين فيه وفوق هذا راتبٌ شهري..أنتم تعلمون أن تاريخي ماركسي..لا أهتم إلا بالطبقات الفقيرة التي يسرق الأغنياء عرقها..بالتأكيد فإن برنامجي لسن قانون للدعم الاجتماعي مهم جداً..سأُلزم الشركات بأن تنشيء

مشاريع خيرية بجزءٍ من أرباحها..وسأضع إدارة للرقابة والمتابعة لقياس درجة التزام هؤلاء الرأسماليين اللصوص بدورهم الاجتماعي..وعلى درجة الإلتزام تتحدد المزايا التي يحصلون عليها كتخفيض ضريبة الأرباح أو منحهم بعض الإعفاءات الجمركية...(يصيح بغضب) لا يا سادة..لا أقبل أبداً بنظرية الدولة الحارسة فقط..لا لا لا لا...فهناك التزامات مجتمعية..التزامات تنبع من روح الجماعة...روح الجماعة فقط..إن لم يصدقني ذلك البرجوازي فليذهب ويمارس تجارته في منطقة خالية من البشر كالصحراء..وأما وهو هنا...معنا..هنا..(يعض على حروف كلماته) .. فعليه أن يفهم أنه بدوننا ما كان ليضحى برجوازياً أبداً...أبداً أبداً أبداً..(يتحدث وهو يمشي باعتداد جيئة وذهاباً) صحيح لن تكون هناك اشتراكية كاملة ولكن أيضا لن نسمح برأسمالية كاملة لأننا متعهدون لأمتنا بالرفاه..لكن ماذا قدمت لهم الرأسمالية..لاشيء سوى الإزدياد فقراً ومرضاً وجهلاً..أنظر..أنظر يا سيد بوب...أنظري يا سيدة عشة...أنظري لمكب النفايات هذا..لقد تراكم حتى أصبح جبلاً.. وهو في الواقع جبل من الأمراض..لن أسمح بذلك أبداً عندما أفوز بمقعد الحاكم الإقليمي العام..

عشة: إنني لا أريدُ منزلاً...

نينو: عشة عشة مرحى مرحى..أطلبي ما تشاءين يا عزيزتي..

عشة: أريد زوجاً

(يقهقه بوب ويقف نينو حائراً)

نينو: هيا...دعكِ من هذا يا عشة..لا تكوني خيالية إلى هذا الحد..فأنا بشر ولستُ ساحراً..(يفكر قليلاً) مع ذلك فالأمر ليس مستحيلاً إلى هذه الدرجة..إنني متوجه الآن إلى دار العُميان..هناك أجهزة يابانية أخترعت حديثاً تجعل الأعمى أكثر قدرة على رؤية اشباح الأشياء..سيفرحون كثيراً عندما أعدهم بجلب بعض هذه الأجهزة لهم.. وفضلاً عن ذلك سأخبرهم بأنني سأقترع لهم ومن يكسب في القرعة سأزوجه لعشة الحسناء..بعض الأوصاف التي لن يفهموا معناها ستحفز غريزتهم قليلاً..ربما ستتزوجين عدة رجال في وقت واحد..فقط حاولي أن تأكلي لتزيدي اللحم فوق عظمك مع الاستحمام المستمر وسوف أوفر لك عطوراً باريسية..فهم وإن كانوا لا يرون إلا أنهم يشمون..وحاسة الشم هي ما تحرك عاطفتهم..

عشة: رائحتي طيبة يا سيد..

نينو: لا أشك في ذلك ولكنها عادية..هل تعلمين أن تركيب العطور اليوم أصبح علماً وليس فناً..إنهم يخلقون عطوراً تحثُّ انفعالاتٍ نفسيةٍ وعاطفيةٍ معينة...لذلك لا تخشِ شيئاً يا عشة سأتولى أنا كل هذه الأمور...ولكن عليك في المقابل أن تدافعي عن حقوقك هذه..حقك في الزواج والحب والحياة...عليك أن تقفي إلى جواري لأنني أنا من سيكفل لك توفير هذه الحقوق ويحميها...عليكِ أن تغادري انتِ وأمك الطيبة مكب النفايات هذا..لقد خلق الرب آدم وحواء في الجنة..فلم تعيشان انتِ وبوب في مكب نفايات...إنها الطبقية البائسة..وفقاً للجدلية التاريخية.. فإن الصراع وسوء توزيع الثروات هو ما يخلق هذا الظلم الإنساني..تعرفين خلفيتي الماركسية طبعاً..آه لقد تعبت من الوقوف ولا أستطيع الجلوس على الأرض مثلكما...وداعاً...

(يخرج نينو)

بوب: إنه رجل ذكي جداً...

عشة: وأنت كذلك يا بوب..على أية حال فأنت رجل طيبٌ أيضاً..

بوب: بعد قليل ستأتي السيارات لإضافة مزيد من النفايات..مع ذلك فلم أمرض طيلة حياتي هنا....

عشة: الرب يحرسنا...

بوب: لو كنا تزوجنا منذ وقت طويل لامتلأ مكب النفايات هذا بأطفال سعداء طيبين..يسرحون ويمرحون بين القمامة..

عشة: آه..حقاً..كان ذلك ليكون إنجازاً عظيماً..كنت لأسمي فتاتي ب "بختة"..لتنال الحظ من السعادة..

بوب: وكنت سأسمي فتاتي الثانية اسماً جميلاً أيضاً..

عشة: والولد؟

بوب: أي ولد..؟

عشة: ألا تريد ولداً يرثك ويحمل اسمك؟

بوب: ربما..لكنني أفضل البنات..

عشة: من سيحمي مكب النفايات..البنات لا يصلحن لذلك..

بوب: فعلاً .. البنات لا يصلحن لذلك..النفايات للرجال فقط..

عشة: مع ذلك..فنحن أيضاً..أقصد انا وأمي عشنا هنا...

بوب: آه..صحيح..

عشة: أليس ذلك غريباً؟

بوب: نعم..كم هو غريب..

عشة: لكنه عادي..أليس كذلك؟

بوب: بالتأكيد.. عادي جداً...

(يدخل شاب وشابة)

الشاب: آه يا حبيبتي..

الشابة: آه يا حبيبي...ولكن..

الشاب: ولكن ماذا؟

الشابة: ولكن ها أنت قد حصلت على شهادتك في الفلسفة..ماذا يشتغل الخريجون بمثل هذه الشهادة؟

الشاب:..أووووه..هذا سؤال جميل...ولكن الإجابة عليه صعبة..نحن غالباً نشتغل في الفلسفة وبالفلسفة...

الشابة: ماذا تعني؟

الشاب: نشتغل في الفلسفة أي نهتم بها.. ونشتغل بها أي انها تساعدنا في أداء مهامٍ أخرى متعددة..كالكتابة الأدبية أو الصحفية..كالنقد الفني..

الشابة: أن تكون صحفياً.. هذا ما تعنيه أليس كذلك؟

الشاب: أمممم ليس بهذا المعنى..أقصد أنها تفتح آفاقنا لنؤثر في العالم..في فنونه وآدابه وسياسته ..في السلم والحرب...

الشابة: ولكن ماذا تعني.. ماهي وظيفتك بالتحديد...

الشاب: دعك من ذلك..فلا أحد يعمل في تخصصه اليوم على أي حال..ستجدين قطاً يحضن بيضاً في هذا العالم..ودجاجاً يحرس منزلاً..

الشابة: حقاً..كانت لدينا سبع دجاجات خفيفات النوم..وكنا نعرف أن هناك غريباً يحوم حول المنزل عندما يفزعن وينقنقن..

الشاب: هل رأيتِ؟.. هذا هو... إننا نقوم بتركيب خصائصنا ومعارفنا لتخدمنا في أشياء تبدو بعيدة كل البعد عن التخصص الدقيق...فالمحامي لا يكتب العقود فقط بل يمارس التفاوض

التجاري.. ويستفيد من معرفته حين يسرق أو يرتكب أي جريمة...والطبيب مثله..والمهندسون على وجه الخصوص هم أفضل رجال الأعمال..

الشابة: والفلاسفة...

الشاب:(يمسكها من خصرها) والفلاسفة أفضل العشاق..أتنكرين ذلك يا عسل الفؤاد..؟

الشابة: (بصوت خفيض) حقاً..

الشاب: أنظري يا طفلة القلب إلى هذين التعسين..هل تريهما؟

الشابة: أووه كم هم تعساء..

الشاب: ماذا لو قلت لكِ أنهما أكثر سعادة من الأغنياء..

الشابة: حقاً؟

الشاب: لقد قال نيتشه ذلك.. قال أن أمثال هؤلاء لا يدركون أنهم تعساء لأنهم ترعرعوا في بيئتهم تلك فأصبحت جزءً منهم وأصبحوا هم جزءً منها...

الشابة: كم هذا ..كم هذا...!!!... لاأعرف..هل هو مفرح ام محزن؟

الشاب: بالضبط..لقد عينني السيد نينو في حملته الانتخابية بعد أن أقنعته بإمكانية إقناع الناس بوجهة الآباء الليبراليين الأوائل... لقد سألني: (جمع قبضة يده اليمني وكح وهو يقلد نينو) أنت خريج جديد من كلية الفلسفة..وانا حقاً لا أفهم ما أهمية وجود مثل هذه الكلية في الجامعات...(يسعل وهو يعود ليتكلم عن نفسه) قلت له: يا سيد نينو...إن خطأ السياسيين الأوَّلَ هو أنهم يفتحون أعين البسطاء على احتياجات لم تدر بخلدهم..وعندما يصلوا إلى السلطة يطالبهم الناس بما وعدوا به سابقاً..أخبرته أن أحد الآباء الليبراليين الأوائل قال: إذا وجدت مخموراً ينام في بالوعة فلتعلم أن هذا أكثر مكان مناسب له في هذا العالم..(يضحك) لقد ضحك السيد نينو بغبطة..وسعد بكلامي هذا وعينني مخططا إستراتيجياً لحملته..وكان أول قرار لي هو أن يتبنى السيد نينو خطاً يسارياً..فاندهش لأنني عكست كل ما قلته له من قبل فازداد إعجاباً بي.. بقليل من معرفتي وكثير من جهله جعلته يحفظ جملاً تافهة من البيان الشيوعي الأول ليثير به بهجة الشباب المتحمس...(يقهقه) ألا أبدو لكِ شريراً قليلاً..

الشابة: كثيراً ..ولكنني ازددت عشقاً لك..

الشاب: (يقهقه)...هل فهمتِ الآن ما وظيفة الفلسفة...

الشابة: نعم....

بوب: سيدي..

الشاب: نعم..

بوب: هل سيُزيل السيد نينو مكب النفايات هذا؟

الشاب: (يضحك) إطمئن..إنه لن يفعل أي شيء أساساً (يقهقه) ولكن هذا بيني وبينك طبعاً..

بوب: بالتأكيد يا سيدي.. بالتأكيد..

الشاب: هيا يا عزيزتي..سنحتفل بأول مرتب لي بعد التخرج..صدقيني..سننتصر في هذه الحملة..وغالباً ما سيكون لي منصبٌ في حكومة الإقليم الجديدة..

(يقودها ويخرجان من الجانب الآخر للمسرح)

(صمت)

عشة: سعيدان هما بالحب..

بوب: هما كذلك...

عشة: ضاع الكثير منا... أليس كذلك..

بوب: لا أعرف...لو عرفت ما ضاع لما كنت تركته ليضيع (يقهقه) أثر فيَّ ذلك الشاب المتحذلق..

عشة: لا أرجوك..رغم ذكائه لكنك على أية حال رجلٌ طيب...

بوب: (يتحرك في جلسته مقترباً من عشة)..دعينا نقترب من بعضنا...(يلتصق بها ويلف ذراعه حول كتفيها)..أليس هذا جيد؟ ..

عشة: (تغمض عينيها) آه يا عزيزي..دعنا نقلد الشابين..علنا نعود للوراء..

بوب: فلنعش الآن ومن أجل الآن..فحتى الشاب كان طفلاً قبل ذلك...

عشة: حقاً يا عزيزي...(تلقي برأسها على كتفه) نحن ابناء هذا المكب...فلنؤمن به لنحيا بكل أرواحنا كسعداء..

بوب: كما قال آباء الليبراليين الأوائل...(يقهقه) هل تتذكرين؟

عشة: كلام الشاب..كم هو كلام يدغدغ الروح...حتى وأن لم أفهم منه شيئاً..

بوب: (يرمي برأسه فوق رأسها المزروع في جانب صدره الأيمن ويغمضا أعينهما كحالمين) صحيح..إنني أدركت أننا يجب أن نستمع لكل كلام العالم ولو لم نفهمه لنشعر بالراحة...

عشة: نعم يا عزيزي...فحتى لغو الطفل له أثرٌ في نفوسنا..

بوب وعشة: (بصوت واحد) تكلم أيها العالم...تكلم أيها العالم..تكلم .. أيها..العالم..

(ستار)

كثيرون قليلون.. قليلون كثيرون – مسرحية من فصل واحد

الشخصيات:

يوسف

المدير

البائع

سوسو

(المنظر الأول)

المسرح

مكتب طولي واسع...في الزاوية اليسرى طاولة مكتب بنية وثيرة يجلس أمامها رجل في حوالى الستين من عمره...وخلفه على الحائط صورة كبيرة له معلقة باتزان دقيق.

طنافس ووسائد على الطراز الحديث...وأمامه على طاولته علامة ذهبية منحوت عليها وظيفته بالأسود/ المدير العام لدار نشر الحداثويون للنشر.

يدخل يوسف وهو شاب نحيل يرتدي ملابس عادية..قميص وبنطلون ويحمل رزمة من الورق..يقف بعيداً ويسلم على المدير العام.

يوسف: نهار سعيد...

المدير العام: (ينظر بسرعة ومن فوق نظارته للشاب ثم يعود لقراءة ورقة أمامه وهو يبدو عليه عدم الاكتراث) أهلاً...

يوسف: (يتحدث إلى نفسه) إنه حتى لم يدعُني للجلوس...(يتقدم للجلوس)صباح الخير سيدي..إنني كاتب روائي يا سيدي...

المدير: (يقاطعه) ليس لدينا وقت لروايات الأطفال...أستمحيك عذراً ولكنني مشغول..

يوسف: (يظهر على ملامحه السخط الممتزج بالدهشة) ولكنها ليست روايات أطفال...

المدير: (ينظر من وراء نظارته نظرات تحذيرية) استميحك عذرا ..ليس لدي وقت...

يوسف: (بغضب) الأمر لم يعد يتعلق بالرواية..بل بآداب التعامل (يرفع صوته) وأنت قليل الأدب...

(يدير ظهره ليغادر)

المدير: تعال هنا يا ولد...

يوسف: (يلتفت إلى المدير بغضب) أنك تصر على قلة الأدب أيها العجوز...

المدير:إن أهلك لم يربوك جيدا...

يوسف: لقد ربوني بما يكفي لأتعلم آداب التعامل مع المحترمين...وأنت لست منهم...

المدير: يبدو أنك مضطرب عقلياً يا ولد...

يوسف: أتركني أذهب...

المدير: بل لن أتركك تذهب..تعال واجلس هنا...يبدو أنك استطعت لفت انتباهي بقلة الأدب أكثر من الأدب..(يقهقه)..حسنٌ...لا بأس...إجلس (يظل يوسف واقفاً) .. قلت لك إجلس..ستعلمك الأيام كيف تتنازل عن كرامتك شيئاً فشيئاً ..

يوسف: هذا لن يحدث أبداً...

المدير: إيييه.. كلنا قلنا ذلك أيام الشباب...على أية حال إجلس لأعلم مشكلتك بالتحديد...يبدو أنك صعب المراس...وعصبي...وهذا مؤشر على أنك كاتب رديئ الكتابة...فأصحاب الادمغة قليلة المرونة لا يستطيعون بلوغ حكمة الحياة التي يحتاجها الكاتب العظيم...

(يجلس يوسف)

المدير: عليك أن تفهم أيها الشاب الصغير أن هناك مئات ممن يعتقدون أنهم أدباء عظماء..يأتون وهم يحملون أحلامهم بالشهرة والمجد لأنهم كتبوا بضعة أوراق مليئة بمرض الشعور بالعظمة الوهمية بلغة تافهة متهافتة ومقعرة..أو سطحية ساذجة...أما الأدباء العظماء أصحاب الذكاء فهم قلة...وفي الواقع هم منعدمون في وقتنا الراهن...وأنت لن تكون منهم وأتمنى ألا تكون منهم حتى لا تعاني..مع ذلك ففيك خصال جيدة كالأنفة والكبرياء ولكنها لا تصلح لزماننا هذا...اعطني ما كتبته...(يمد له يوسف الأوراق فيأخذها)..هل لديك نسخة أخرى؟

يوسف: نعم لدي...

المدير: (يمزق الورق مجموعة مجموعة)..

يوسف: (بجزع) ماذا تفعل..؟

المدير: أفعل ما يجب أن تفعله بالنسخ الأخرى...عليك أن تقتنع بأنك لن تصل لشيء في هذا الطريق..عليك أن تبحث عن وظيفة حقيقية أيها الشاب...

يوسف: (بغضب) إنك حتى لم تلقِ إليها نظرة..

المدير: أيها الشاب الطيب...(ينهض من كرسيه ويذهب إلى النافذة فيفتحها) هل تعتقد أن هناك مديراً واحدا لدار نشر يقرأ كل ما تنشره داره من كتب..

يوسف: ماذا تقصد...؟

المدير: أقصد ما قلته بالضبط يا فتى...كم أنت ساذج...

يوسف: ولكن..ولكن كيف ينشرون الكتب..كيف يعلمون أنها جيدة أم ..أم سيئة...

المدير: (يقهقه بصوت عالٍ) يا لك من طيب...لا أعرف أساسا لِمَ أخبرك بهذا..ولكنهم لا يقرؤون منها شيئا..ودعني أخبرك بسر آخر...(ينحني ويضع كفيه على الطاولة بذراعين مستقيمين) هم لا يهتمون أساسا بما إذا كانت جيدة أم سيئة..إنهم ليسوا منظمة خيرية...إنهم يسعون للمال..المال وليس غير ذلك...إنهم ليسوا عباقرة في النقد وإلا كانوا نقادا..ولا هم عباقرة في أي شيء سوى التسويق..الجيد والسيئ كلاهما يخلقون منه عملاً عظيماً ويصدقهم الجمهور الأحمق...

يوسف: ولكنهم يملكون لجاناً لتقييم المخطوطات؟

المدير: (يقهقه) وهل رأيت هذه اللجان من قبل.. يا ولد.. لا مكان لك في هذا العالم لو ظللت أحمقاً هكذا...

يوسف: إنك شرير...

المدير: على العكس تماماً... ما كنتَ لتجد صاحب دار نشر يخبرك بما أخبرتك به.. ولذلك فإنني أقول لك بكل إخلاص بأن تجد وظيفة أخرى غير الكتابة...أما لو أردت أن تجد دار نشر تقبل بهرائك هذا فعليك أن تملك السمعة ..والسمعة لا تأتي إلا إن كنت صاحب سلطة أو مال...يجب أن يجد فيك الناس ما يأخذونه منك ليقبلوا إعطاءك شيئاً منهم...لكن أن تأتِ هكذا... عاريَ اليدين إلا من أوراق تافهة وأنت تظن أنك فعلت ما لم يفعله غيرك عبر التاريخ فأنت إذاً لست سوى أحمق.... هناك ملايين حول العالم يكتبون مثلك أو أفضل منك أو حتى أقل منك فهذا لا يهم...فإن كنت تنتظر أن أنشر لك..فأنت حقا ستكون أحمقاً...هل تعتقد أنه في عصر تولستوي لم يكن هناك من هو أفضل منه؟.. لا يا أحمق.. كل مافي الأمر أن توسلتوي كان في الوقت نفسه إقطاعيا مليونيرا بحسابات اليوم...هل تعتقد أن الكتاب في عصرنا هذا لم يقدموا مقابلاً لينالوا الشهرة...يبدو أنك أحمقٌ إن كنت تظن ذلك...لا تصدق أن هناك صدفاً ومعجزاتٍ في هذه الحياة تخلق من حشرة مثلك شخصاً عظيماً...يا لك من صبي غِر...هيا أغرب عن وجهي يا ولد...برا...برا...

(يقفز يوسف من مقعده كالملسوع ويغادر المكتب)

(ستار)

...

(المنظر الثاني)

المسرح:

حانة بها ترابيز وكراسي. يجلس يوسف أمام بنك الحانة وأمامه البائع يمزج الأقداح للزبائن. وهناك مجموعة شباب ؛ أربعة ذكور على الطاولة يمين المسرح ، وفتاتان وشابان في الطاولة الثالثة ، والطاولة الثانية التي تتوسط الطاولتين ليس بها أحد وإن كان عليها كأسان وزجاجتا جعة تبقى في أحداهما بعض الشراب.

يوسف: اعطني شراباً...

البائع: أي نوع...

يوسف: نوعٌ كافٍ لتغييب هذا الدماغ...

البائع: حسنٌ..يبدو أنك جديد...مع ذلك فسأعطك نبيذ العنب...إنه يصلح للمبتدئين..

يوسف: بل اعطني شراباً يصلح للمدمنين..شراباً يمحو ذاكرتي وعقلي تماماً..

البائع: لن تتحمل يا عزيزي..وستتقيأ فور الكأس الثالث وقد يغمى عليك وتتسبب لنا في مشكلة...أرجو أن تستمع لنصيحتي..هو شراب (واين)..خفيف ويحسن مزاجك..

يوسف: حسنٌ...

(يدور البائع على عقبيه ثم يعود مقدماً الشراب ليوسف).

يوسف: روايات الأطفال...فلنفترض أنها روايات أطفال...هذا البليد المتخلف وغير المثقف...هل يعتقد أن الكتابة للأطفال أقل سهولة من الكتابة للكبار...إنه كائن مادي حقير...لولم أرد على وقاحته لما تحدث معي مرة أخرى..إنه كلب..كلب..(يشرب النبيذ)..

البائع: النبيذ لا يشرب يا سيدي.. بل يُجرع.. هكذا..(يتناول البائع كأسا ويجرع منه حانياً رأسه للوراء بسرعة قبل أن يعيدها) قبل ذلك عليك ان ترج الكأس رجة خفيفة ثم تشم المحتوى أيضاً بسرعة.. عليك أن تتعلم أصول الشرب..فهنا الكل محترف..والكل سيعرف أنك جديد في الشرب وقليل الخبرة...

يوسف: هذا كل شيء؟

البائع: نعم في الوقت الراهن...

يوسف: (يجرع جرعة سريعة).. هل هذا جيد..

البائع: وكأنك سكير مخضرم (يضحك)..

يوسف: حسنٌ....كل الأشياء لها خباياها...مثل دور النشر تماماً...(بسخرية) لا توجد لجان قراءة هنا أيضاً...هة؟!!..يا للسخرية.. ولكن كيف؟!! كيف وصل كل هؤلاء للشهرة..؟

(تدخل فتاة متبرجة هي سوسو المومس وتجلس قرب يوسف متحدثة للبائع)

سوسو: هيا يا عزيزي..تعرف ماذا أشرب..

البائع: بالتأكيد...

سوسو: (تنظر ليوسف)..يبدو أنك جديد في هذه الحانة...

يوسف: هل هذا واضح لهذه الدرجة؟

سوسو: جداً..إنك لا تعرف حتى كيف تمسك الكأس...

يوسف: (ينظر للبائع) لقد كنتَ تكذب عليَّ إذاً فلم تخبرني بكل شيء؟

البائع: (يحاول إخفاء ضحكته)لا يا عزيزي..دعني أخبرك أنني أنا نفسي لا أشرب...ما أخبرتك به كان نتاج خبرتي من مجرد ملاحظة الآخرين..

يوسف: آه حسناُ...

سوسو: يبدو أنك تضايقت من ملاحظتي يا شاب؟

يوسف: قليلاً..قليلاٌ..

سوسو: آه..لماذا لا تبتعد عن هذا الطريق....إنت تبدو شاباً لطيفا وابن ناس...

يوسف: لا تحددي لي خياراتي في الحياة...

سوسو:(تمد شفتيها علامة على الدهشة)..أووووو... يبدو أنك من النوع العصبي كذلك...

يوسف: لماذا يكررون كلهم ذات الوصف لي هذا اليوم؟!!..

سوسو: ماذا تقصد؟

يوسف: أقصد أنتِ ومدير دار النشر..وصفتماني بأنني عصبي..

سوسو: وماذا في ذلك..إنهم يصفونني بأنني عاهرة منذ أن نما ثدياي..ما المشكلة..لا تكن حساساً...

يوسف: لست حساساً...

سوسو: (بصوت خفيض ودلال مصطنع)ماذا لو.. لو قضينا ليلة لطيفة في منزلك....

يوسف: (بفزع) ماذا؟!!

سوسو: لماذا أنت فزِع هكذا؟ هل أنت طفل؟..

يوسف:(بغضب) يا إلهي..يبدو أنك ابنة ذلك المدير...أو أنني بالفعل لازلت طفلاً غراً وأحمقاً...

سوسو: لا أفهم قصة المدير هذه..ولكن..ألا تبدو حساساً أكثر من اللازم؟

يوسف: أنا آسف..ولكنني أعيش مع والديَّ وبالتالي لا استطيع جلبك معي للمنزل..ومن ناحية أنا مفلس..

سوسو: يا لحظي النحس...وأنا كذلك مفلسة..تعرف ظروف البلد..وعلى ما يبدو أن الرجال فقدوا فحولتهم...

يوسف: هذا بلد حقير..حقير...

سوسو: يبدو أنك حانق على هذا البلد...

يوسف: حانق كلمة لا تكفي لوصف ما يمور في داخلي من لهب..إن رجلاً حقيرا كذلك المدير يحدثني عن أن الشهرة لا تأتِ بالعبقرية بل بأن ندفع مقابلاً...

سوسو: هل قال لك ذلك؟

يوسف: نعم...

سوسو: يبدو أنه رجل حكيم..

يوسف: (ينظر إليها بامتعاض) ماذا تقولين بحق الجحيم..

سوسو: أقول أنه رجل حكيم فلا شيء بلا مقابل في هذه الحياة....دعني أخبرك بأنني في الثامنة والعشرين من عمري... جميلة بل حسناء...مع ذلك فتلك العقربة استطاعت أن تصبح أكبر ممثلة بورنو في العالم وهي أقل جمالا مني في حين بقيت أنا متعفنة في هذه الحانة لالتقط الزبائن...حسنٌ..إنها ليست صدفة..كل مافي الأمر أنها استطاعت الوصول لمخرج مشهور..دفع بها إلى النجومية وحاز هو على الملايين..صحيح أنها هجرته بعد ذلك..ولكن بعد ماذا؟ بعد أن لم تعد في حاجة إليه...أما أنا (بحزن) فلم أجد فرصة واحدة للالتقاء بمخرج ولا حتى بمصور لكي استفيد من مؤهلاتي..لكن لا بأس...إن السماء تقسم الأرزاق ولا اعتراض لنا على حكمها...

يوسف: أووو...يجب أن تفهمي أنني لست في مثل وضعك..إنني لست مومساً...إنني كاتب ..كاتب روائي..هل تفهمين...

سوسو:(تقهقه قهقات رنانة)..واااو...عظمة...

يوسف: تسخرين مني؟

سوسو: لا لا... في الواقع كنت اقرأ الروايات العاطفية في سن السادسة عشر...كانت تثير غريزتي بعنف...(تضع ظفر صباع يدها الصغير بين سنيها السفليين وتسرح في الأفق) إيييه.. أصبحت اليوم لا أشعر حتى بجسد الرجل الحي وهو في أحضاني...ماذا حدث لي...لماذا انطفأت تلك الأحاسيس الرائعة...؟

يوسف: كم أخاف من اليأس والإحباط...فأنا لا أجيد شيئاً في هذه الحياة غير الكتابة...

سوسو: كلنا نعمل في مهن لا نجيدها فلا تخف...

يوسف: (ينظر لها بدهشة) حقاً؟

سوسو: حقاً يا عزيزي..ألم يخبرك النادل بأنه لا يعرف شيئاً عن عمله سوى ما تلقاه بالملاحظة...أنا كذلك..وهذا وذاك...أما الأعمال التي نجيدها حقاً فهي التي لم نمارسها أبداً ..

يوسف: ولكن..ولكن..العظماء...إنهم مشهورون لأنهم يجيدون أعمالهم...

سوسو: بل لأنهم قدموا أشياء مقابل الشهرة...

يوسف: تقصدين مثل فاوست؟

سوسو: لا أعرف من هو فاوست...

يوسف: أقصد أنهم باعوا أنفسهم للشيطان..

سوسو: يمكنك أن تقول ذلك...كل ذنبي أنني لم أجد بيئة نظيفة التقي فيها بزبائن محترمين .. الفرصة التي نالتها تلك العقربة...

(يدخل المدير إلى الحانة ، ينظر يوسف نحوه لكن المدير لا يلاحظه ، يجلس أمام البائع)

المدير – جعة من فضلك...

يوسف– كنت أتوقع أن تكون من مرتادي هذه الأماكن..

المدير : من أنت وماذا تقصد.؟

يوسف: احقاً لا تتذكرني...

المدير: (يتأمل قليلا في وجه يوسف) ها..انت الولد قليل الأدب...

يوسف: قليل ادب با يكفي لارتياد الحانات الرخيصة...

المدير: ومن هذه..صديقتك؟

سوسو: (بدلال) بل عشيقته...ومع ذلك فلا مانع لديه في بعض الحرية...أليس كذلك؟

المدير: هل هذا صحيح..ألا تمانع في بعض الحرية لعشيقتك...

يوسف: (بضيق) إنها ليست عشقتي...

سوسو: (تتحدث وهي تتضم شفتيها كما لو كانت تخاطب طفلاً) حقاً... لست عشيقتك؟..إنك قاسي القلب..

يوسف: يمكنك أن تعتبرين نفسك عشيقتي..لا مانع لدي ..

المدير: (يضحك بسخرية) علاقتكما ممتازة...كنت أحسبك طفلاً...ولكن يبدو أنك قادرٌ على اجتذاب الفراشات إليك بسهولة...(يجرع من الكأس ويخرج سجارة ثم يهمس)..كاتب روائي...ها...جيد...

يوسف: نعم كاتب روائي..ولن أحيد عن طريقي هذا أبداً..أعرف أن هذا الشعب يعمل على تدمير كل عبقرية تحاول الخروج من مخروط العفن هذا..لكنني مع ذلك لن أيأس..

المدير: جيد يا فتى..جيد...

يوسف: (بعصبية) نعم جيد..

المدير: وكيف ستفعل ذلك؟

يوسف: (يبدو حائراً) هة!!!..كيف!!..سأجد حلاً...سأجد من يؤمن بي ويمولني لكي أحقق النجاح...سأبحث في الانترنت عن دور نشر غربية...أو مِنَح...هم يؤمنون بالفن...

المدير: (يقهقه بصوت عالٍ)..شاب لطيف أنت...

يوسف: (بغضب) لماذا تضحك..

المدير: لأنك كغيرك من بني شعبنا..تعتقد أن الغربيين ملائكة وليسوا مثلنا..بل انت لا تعرف أن هذه النزعة الفجة والتي تسمى رأسمالية هي في الواقع إنتاج غربي بامتياز...هل تعرف لماذا سموها رأسمالية..لكي لا يسمونها نهباً بارداً للفقراء وأموال الشعوب...كيف تكون كاتباً روائياً وأنت سطحي هكذا...

يوسف: لست سطحياً...ولا تحاول إحباطي فقد مررت بأمثالك كثيراً في حياتي...

المدير: حسنٌ (يشير للنادل) شراب آخر...(يلتفت لسوسو) عليك ألا تشربي كثيراً هذا المساء لكي تتمكني من العودة لمنزلك يا فتاة....الوضع الأمني متوتر في الخارج...الصراع حول السلطة على أشده..

يوسف: ما اسمك يا فتاة؟

سوسو: سوسو...أختك سوسو (تضحك بسخرية)..

يوسف: (بغضب) لماذا تضحكين دائماً بهذه الطريقة الفجة؟

سوسو: حسنٌ...لن أضحك مرة أخرى...سأعود لمنزلي الآن....

يوسف: (بتردد)..هل..هل أصطحبك لهناك..

سوسو: (تنظر في وجهه) أهذه شهامة مفاجئة أم أنك.....

يوسف: بل...بل .....

سوسو: حسنٌ فهمتك...رغم أنني مرهقةٌ وأنت مفلس...

يوسف: الأمر ليس كذلك...لكنني...لكنني أود أن أرافقك فقط...شيء ما ...أو ..أو هي حاجة لكي أكون مع أنثى لأطول فترة ممكنة...الوحدة تقتلني وتلقي بي في الكآبة...

المدير: دعيه يذهب معك..وإن كان مفلساً فيمكنني أن أدفع له..

يوسف: لا أريد منك شيئا ولا تتدخل في هذا الموضوع...

سوسو: (تغمز بعينها اليسرى) دعه يدفع....

يوسف: لا.. لن أفعل..كرامتي لا تسمح لي...لو دفع لك فلتذهبي لوحدك...

المدير: الكرامة!! (يقهقه)..كلامك يجعلني أظن بأنني سَكِرت..

يوسف: طبعا فأنت لا تفهم هذه اللغة...

المدير: بل أفهمها ولكنها لغة مثالية..فحتى القديسين انحنوا لتمر الريح فوقهم...

يوسف: هم ليسو قديسين إذاً..

المدير: بل قديسون..ولكنهم يعطوننا دروساً في واقعية الحياة يا ولد...في بعض الأحيان عليك ان تخسر جزءً من كرامتك لتحتفظ بالجزء الأكبر منها...وإلا فالحياة ستجبرك على خسارة كل شيء...قلت لك بأنك تفتقر إلى مرونة العباقرة....

سوسو: (تتوسل) دعه يدفع لي..أرجوك...

يوسف: (ينظر في عينيها) أنت جميلة....

سوسو:أعرف ذلك...

يوسف: ولماذا إذاً....؟

المدير: (يقهقه بصوت عالٍ)..

يوسف: (بغضب) ولماذا تضحك الآن...

المدير: (يشعل سجارة ويمسح شفتيه بكم جاكيتته)..إنك تسأل اسئلة طفولية حقاً...يمكنها أن تحكي لك الآن تراجيديا طويلة من الأكاذيب...وأنت لربما ينفطر قلبك...يا لك من طفل..

سوسو: لن أحكي له أكاذيب..إنك رجل وقح حقاً..يبدو أن وصف هذا الشاب لك حقيقي...

المدير: (يزدد ضحكا) إنكِ حتى لا تعرفين اسمه...

سوسو: بل أعرف...

المدير: كذابة...

سوسو: لست كذابة...إن اسمه يوسف...

يوسف: اللعنة ..كيف عرفتِ اسمي؟

(يظل المدير واجماً)

سوسو: لن أخبرك...

يوسف: من حقي أن أعرف...

سوسو: لن أستطيع إخبارك في كل الأحوال....

المدير: (بحيرة)..انت فتاة خطرة...

سوسو: (تضحك)..سأذهب الآن..(تلتفت ليوسف) ولن تذهب معي ولكننا سنلتقي..(تغادر ونظرات الرجلين تتبعانها)..

يوسف: كل النساء خطرات...لكنهن بلا معنى كباقي البشر..

المدير: أنت مغرور أيها الصبي...هل تعتقد أن كل هؤلاء البشر لم يبحثوا يوماً عن معناهم كما تفعل...لقد فعلوا ثم اكتشفوا الحقيقة فاستسلموا للمعنى الحيواني للحياة..العمل الروتيني الممل..الزواج ..الانجاب...وأنت ستحمل خزعبلاتك الورقية وستصل لذات النتيجة...جد عملاً حقيقياً بدلاً عن هذا الهراء ..

يوسف: ولكن غيري نجح..نجح الكثيرون ووجدوا معناهم..

المدير: (يقهقه).. لا أحد ينجح..بل هناك أشخاص يتم إنجاحهم...تنجحهم مؤسسات لا يمكنك رؤيتها بالعين المجردة....سأذهب الآن..وداعاً وسنلتقي...

(يخرج)

....

(المنظر الثالث)

حجرة مكتب مظلمة ليس فيها سوى طاولة عريضة وكرسيين..متقابلين وسط الحجرة..تتسلط عليهما الإضاءة.. تجلس سوسو على أحد الكرسيين...في حين يظل الكرسي الآخر خالياً...

(صوت رجل من الجانب المظلم للحجرة)

الصوت: لقد أتينا به يا سيدتي...

يظهر في بقعة الضوء يوسف وهو معصوب العينين ومقيد اليدين...

سوسو: اجلس...

(تشير برأسها للرجل الآخر فيخرج)

يوسف: من أنتم؟..لماذا اختطفتموني...لست سياسياً...إنني مجرد كاتبٍ روائي...

سوسو: لن تتعرض للسوء لو كنت ذكياً كفاية...

يوسف: لا أفهم شيئاً..إنني خائف...أتركوني وشأني...

سوسو: يبدو أنك لست ذكيا كفاية ... لقد دخلت هنا بملء إرادتك...وعليك أن تتحمل قرارك..

يوسف: هذا غير صحيح...أنا لا أعرفكم...هل تسجلون ما أقول..لو كنتم تفعلون..فأنا مصر على أقوالي..أنا لا أعرفكم...أتركوني وشأني..أرجوكم...(يبكي)...

سوسو: كن رجلاً أيها الولد وتوقف عن البكاء...إن عمرك واحداً وعشرين عاماً...تقطن مع والديك...والدك رجل متوسط الحال كان موظفاً بالإرصاد الجوي..أمك ربة منزل...ولا أخ لك ولا أخت...مع ذلك فأنت شخص نرجسي..أناني ولا تأبه لوالديك...لديك طموحات خيالية بأن تكون كاتباً مرموقاً...لديك روايتان قصيرتان تافهتان...

يوسف: (يقاطعها) ليستا تافهتين...

سوسو: معذرة ولكن لجنة القراءة والتحليل وصلتا إلى أنك لا تصلح روائيا ولو بعد مائتي سنة... أنت مثلاً لا تمتلك خبرة كافية في الحياة.. من ناحية ثانية فكتاباتك ساذجة .. وفوق هذا فلغتك ركيكة وليس فيها أي ذكاء مجازي..أنت مباشرٌ وشخصي جداً... لا تملك قدرة لتحليل الوقائع لتخلق حبكة تفضي لدهشة القارئ..هل أواصل أم أتوقف..(صمت).. حسن.. خيالك ضعيف جداً...ضعيف الربط بين العلامات ولا تجيد التفكيك والتجذير...واضح أنك قليل الإطلاع على

الكتب الفلسفية والأدبية الأخرى...لقد كانت خلاصة التحليل أنك لا تصلح إلا أن تكون إسكافياً...

يوسف: (يصرخ) من أنتم...من أنتم..وماذا تريدون مني..؟

سوسو: نريدك أن تكون كاتباً روائياً..

(صمت)

يوسف: ماهذا...أتسخرين مني...؟ ارجوك..أنا لم امارس السياسة من قبل...لقد أخطأتم في شخصيتي..

سوسو: لم نخطئ يا سوسف...

يوسف: لسد ضد النظام..أقسم لكم...

سوسو: نحن دولة ديموقراطية...أم أنك لا تعرف ذلك...

يوسف: أنا لا أعرف ولا أريد أن اعرف..حتى الرواية سأتوقف عن كتابتها...أتركوني أعيش بسلام...

سوسو: (تضرب على الطاولة بعنف) بل ستكتب الرواية..

(يصدر صوت تجهيز بندقية وصوت رجل)

صوت الرجل: سيدتي..هل هناك مشكلة...

سوسو: لا... (توجه حديثها ليوسف بصوت خفيض) اسمعني أيها الجحش الصغير...لا وقت لدي لأضيعه معك وأنت مذعور هكذا...(تخرج رزمة أوراق من درج مكتبها) هذه الرواية ستنشر باسمك...هل تفهم....ما عليك إلا أن تكون مستعداً لتلقي الشهرة..إنك لن تكتب حرفا واحدا...كل ما عليك هو أن تقرأ الروايات قبل نشرها باسمك لتحفظها...

يوسف: ماذا تقصدين..كيف أكون روائياً ولا أكتب...

سوسو: لا يوجد روائيون في هذا العالم...نحن الذين نكتب الروايات عبر خبراء متخصصين لتنشر باسم قلة من المحظوظين ممن سمعت بهم وبشهرتهم...وأنت ستكون واحداً منهم الآن.....ونحن لا نطلب منك القبول..لأن رفضك يعني أننا سنضطر لوضعك في مشفى المجانين....هل تريد أن يحدث لك ذلك...

يوسف: يا إلهي..ماهذا..هل هذه كاميرا خفية..إنني لا أفهم شيئاً..

سوسو: ستفهم بمرور الوقت...الآن خذ هذه الرواية وانطلق بها لتقرأها...وبعد غد افتح الصحف والقنوات الفضائية... هيا...(ترمي له الرواية في حجره...ثم تصيح) أنت يا عسكري...تعال وخذ هذا الشاب معصوب العينين وأرمه في المكان الذي أخذتموه منه..

***

(المنظر الرابع)

صالة جلوس منزلية..هناك أريكة وأربعة مقاعد أسفنجية ليست حديثة ولا قديمة..الأريكة على اليمين تتوجه نحو حائط المسرح الأيسر والمقاعد في المنتصف بين التلفزيون على الحائط الأيسر والمقاعد.

تهرول امرأة في الخامسة والخمسين وتشرع في فتح التلفاز بشغف...صورة التلفاز لا تظهر لجمهور المسرح.

صوت من التلفاز: أثارت رواية جديدة للكاتب الشاب يوسف الكدراوي نقاشاً حادا في وسائل التواصل الاجتماعي...

(أثناء الصوت الصادر من التلفاز تحمل الأم هاتفا جوالاً وتتحدث)

الأم: حليمة..افتحي قناة العصرية بسرعة... إنهم يتحدثون عن ولدي يوسف...

(تجري اتصالاً آخر)

الأم: يا رجل...يتحدثون عن ولدك الآن...أين؟ طبعاً في التلفزيون..افتح قناة العصرية...أنت قريب من المنزل..في السلم؟ حسناً..تعال بسرعة...

صوت التلفزيون: رواية "تكاثر عرضي" أثارت العديد من اللغط بين العلمانيين والدينيين في كل وسائل التواصل الاجتماعي...بل وصل الصراع إلى اليساريين والليبراليين...الشاب الروائي يوسف مختفٍ منذ أسبوع..لقد حاول البرنامج الإتصال به لكن هاتفه مغلق.. وتقول أسرته أنه مختفٍ منذ أيام...

الأم: متى قلنا هذا يا كذاب؟

(يدخل الأب وهو يحمل بطيخة وكيس موز)

الأب: كم أنا متعب...

الام: ضع البطيخة والموز وتعال لتشاهد ولدك المفعوص...

الأب: ماذا تقولين يا امرأة...

الأم: سيرة ابنك أصبحت على كل لسان...

الأب: (بجزع)..هل ارتكب العجل جريمة...

الأم: لن تناده بالعجل مرة أخرى..إنه أفضل منك...أنظر واستمع...

صوت التلفاز: سنلتقي بالدكتورة إيناس أستاذة علم الاجتماع...نرجو أن تحدثينا عن أسباب إثارة رواية الشاب يوسف الكدراوي لكل هذه الضجة؟

د.إيناس: الرواية مست الجهاز العصبي للمجتمع ككل..وليس مجتمعنا المحلي فقط..بل المجتمعات في كل دول العالم..الصراع الأزلي بين العلمانية والدين وهما كأيدولوجيات توتاليتارية تتقاطع دون أن تحقق الديالكتيك الهيجيلي بقدر ما تهزم النظرية الهيجلية خالقة مزيدا من التنافر دون ان تنبثق نظرية وسط...إن الرواية نهاية للديالكتيك وبداية لعصر ما بعد بعد الحداثة..

الأب: ماذا تقول هذه المرأة..إنني لم أفهم شيئاً..هل حقاً هي تتحدث عن يوسف إبننا وأحلامه التافهة تلك..

الام: ليست تافهة..هذه دكتورة فمن أنت...

الاب: صحيح...ولكن ..ولكنني لا أصدق...يوسف؟..هل أنت متأكدة أنها تقصد يوسف...العجل الذي يقضي جل وقته داخل غرفته أو متسكعاً في المقاهي؟

الأم: دعني أسمع...

صوت التلفزيون: الآن ننتقل إلى الروائي العالمي أرتيور بلخوف... (حديث بلغة أجنبية تتم ترجمته بصوت مترجم)

صوت المترجم: اااااااا..الرررواااية تحقق أعلى مبيعاااات خلال بضعة أس..أسابييع...هناك حكوماااات دكتاتورية قامت بحظ..بحظ..بحظرها .... إنني لست متف....اج...ئا...فالرواية ضربت كل أكاذيب الماضي...المعسكرين الرأسمالي والشيوعي...إن السيد يوسف فيلسوف حقيقي

صوت التلفاز: ننتقل الآن إلى السيد رئيس الحزب الشيوعي..ما رأيك سيدي...

رئيس الحزب الشيوعي: هذه ضجة مفتعلة..هذه ليست رواية بل قمامة...

الأم: (ترفع حذاءها وترميه تجاه التلفزيون) أنت القمامة أيها الحسود..

الأب: عادي ..ما كنت لأصدق أنه شيوعي إن لم يقل هذا الكلام...

(يرن جرس هاتف الأب)

الأم: من هذا الغبي الذي يتصل في هذا الوقت..

الأب: (يرد على الهاتف) إنه زوج أختك..

الأم: (تضحك بخجل) هاته..ألو...حسن...ألو..ألو... لا أسمعك جيدا...الشبكة ضعفة... نعم..أسمعك الآن... نعم...حقاً؟!! نعم نحن نشاهد التلفزيون الآن...نعم لا ليست تلك القناة بل قناة العصرية...ماذا... هل فعلا هناك قنوات أخرى تتحدث عنه...أي القنوات أفضل...

(يدخل يوسف)

(ينهض الأب والأم وينظرا له برهبة شديدة)

يوسف: ماذا هناك....هل هناك خطب ما؟

(يظلا ينظران إليه بخشوع)..

يوسف: بالله عليكما ماذا هناك... مالذي دهاكما...

الأم: يوسف...ابني حبيبي...

(ترتمي في أحضانه..ويتبعها الأب)

الأب: كم ظلمتك يا بُني..كنت أناديك بالعجل تارة..وأمك تناديك بالمفعوص...لكننا كنا أغبياء.. معنا فيلسوف بكل هذا الحجم..كل هذا الحجم المهول الضخم...ونحن كنا نحتقرك...يا إلهي..لم أكن أعتقد أن رأسك هذا يزن ذهباً...

يوسف: آه... حسن...تقصدا روايتي.. أنا سعيد بسعادتكما...لكنني أتقبل أن تصفاني بالعجل وبالمفعوص..إن ذلك أحب عندي من أي وصف آخر...

الأم: الحقيرة نعمات...الحسودة الحاقدة إنها لم تكلف نفسها الاتصال بي وتهنئتي...يبدو أن الصدمة قد أحدثت لها جلطة...

الأب: أرجووك لا تتحدثي عن أختي هكذا..وأين أختك الحقودة التي هي بدورها لم تتصل...

الأم: مؤكد أنها لم تشاهد التلفزيون...

الأب: إنها تفتح التلفزيون منذ الصباح وخاصة قناة العصرية...لكن النار تأكل أعماقها...

الام: دعنا من الناس ولنحتفل بهذا اليوم...سأعد لك ممباراً محشواً بلحم الضأن...كما تحبانه كلاكما...

الأب: حقا ستفعلين ذلك...؟

الأم: بالتأكيد..رغم أنه مجمد في الديبفريزر لكنني سأبذل ما في وسعي لفك تجمده...

(تخرج)

الأب: جيد...فائدة مباشرة لنجاحك يا بُني..(يقهقه)..

يوسف: صحيح...(يجلس مطرقاً)..

الأب: لِمَ لا تبدو سعيداً..

يوسف: إنني سعيد يا أبي...كل مافي الأمر أنني مرهقٌ قليلاً...

الأب: صحيح..لقد كانت كل وسائل الإعلام تلاحقك منذ الصباح...أنا أيضا متعب...سأرتاح قليلا...

(يخرج)

(يظل يوسف جالساً في مكانه وعيناه حائرتان...)

(يرن الهاتف فيرد عليه)

يوسف: ألو...

سوسو: افتح الباب...

يوسف: من أنتِ؟

سوسو: افتح الباب فقط...

(تغلق الخط)

(ينهض بدهشة ويغادر ثم يسمع صوته)

يوسف: من؟

سوسو: مفاجئة ..أليست كذلك؟

يوسف: كيف ..كيف عرفتِ منزلي..بل ..بل كيف عرفتِ رقم هاتفي...

(تضع نصفي ساعديها على كتفيه ويمتد النصفان الآخران وراء ظهره)

سوسو: أيها الكاتب الروائي المشهور..كل العالم الآن يعرف مكانك...ستبدأ متاعب الشهرة...هل ..هل تخجل من تواجد مومس مثلي في منزلك؟

يوسف: (يمتقع وجهه)..ء..ء.. لا .. ولكن... والداي هنا...

سوسو: لا شأن لك بوالديك..لم تعد صغيراً لكي تأخذ إذن استقبال صحفية مثلي منهما...

يوسف: صحفية؟..هل أنت صحفية؟

سوسو: (تضحك ضحكة سوقية عالية)...كم أنت بريء... ألا تعرف كيف تكذب على والديك..

يوسف: حسنٌ..ولكن...ولكن اخفضي جلجلة ضحاكتك قليلاً...هذا محرج..ثم أنها ضحكات لا تتفق مع تهذيب الصحفيات...

سوسو: (تتركه وتلقي بحقيبتها الصغيرة في استهتار على الأريكة ثم تتهالك فيها)...كم انت ممل...ألا تعرف كيف تتحدث إلى الأنثيات..

يوسف: أعرف..ولكن .. ولكن..

سوسو: لماذا تقف هكذا؟ تعال وأجلس جانبي...

(يجلس على طرف الأريكة)

سوسو: أكثر أكثر (تضحك ضحكة عالية) أنت خجول..مدهش...اقترب مني... اقترب ولا تخف.. (يقترب منها قليلا ثم قليلاً)..لسة...اقترب اكثر...

يوسف: هذا يكفي...

سوسو: حقاً....هل أنت صادق؟

يوسف: ولكن..ولكن والداي في المنزل...

سوسو: حسنٌ..على العموم أنا لن ابقَ طويلا معك...هل هذا يسرك...

يوسف: (بحزن) بل على العكس..أنا أحتاج للحديث معك في هذا الوقت...

سوسو: ماذا تريد أن تقول....

يوسف: (يبدو مترددا) أريد..أريد أن...أن اسألك سؤالاً...

سوسو: اسأل..

يوسف: ماذا ماذا لو ..لو أن شخصاً ..نال شهرة بسبب عمل ينسبه زوراً إلى نفسه...هل...هل يكون سعيداً...

سوسو: (تضحك) هذا ما يفعله العالم كله...

يوسف: ماذا تقصدين...

سوسو: أقصد أن الجنود الذين يموتون في المعارك لا يسمع عنهم أحد..أما رئيس دولتهم هو الذي ينسب النصر لنفسه...كل حياتنا هكذا..كل من يملك القوة يسرق مجهود الضعفاء...

يوسف: من أين تعلمتِ كل ذلك..؟

سوسو: (تنظر للبعيد بأسى) ومن تظنني.. ألست إنسانة في هذا العالم..ولي الحق في أن أحاول فهمه لجمع رزقي...الا تعرف كم المعاناة والقسوة التي جابهتهما في حياتي لأستطيع توفير قطعة خبز لي ولوالدتي المريضة... عليك أن تمر بتجارب قاسية لتكتب عنا نحن الضعفاء..(تخرج منديلاً وتمسح عينيها)..

يوسف: آسف لم أقصد أن أحزنك..أرجوك لا تبكي..

سسو: إنني لا أبكي بل أمسح عيني من الآي لاين الرخيص الذي يذوب متسللا لعيني..لقد فات أوان البكاء يا فتى...

يوسف: هذا حسن...

(يصمت ثم يحدق فيها)

سوسو: سأذهب الآن...اسعد بانجازك ولا تحاول تنغيصه بالتفكير ..

(تنهض وتغادر بسرعة .. يبقى يوسف حائراً مكفهر الوجه)

(يرن جرس الباب...ولكن يوسف لا يسمعه)

(يُسمع صوت الأم والأم)

الاب: ألا تسمع هذا الجرس يا ولد..

الأم: إذهب أنت وافتحه...ولا تناديه بالولد مرة أخرى ..هل فهمت؟

الأب: آه..فهمت فهمت...سأذهب وأرى من الطارق...

(يدخل بعد برهة)

الأب: يوسف... يوسف..

يوسف: نعم..

الاب: يبدو أنك شارد الذهن.. لقد جاء رجل لزيارتك...

يوسف: أي رجل...

الأب: رجل محترم...يبدو محترماً...

(يخرج الأب ويعود وخلفه المدير)

يوسف: (بدهشة) أنت؟!!!

المدير: نعم أيها الكاتب الكبير..آه..يبدو أنني اخطأت في تقدير مكانتك..وكم أنا آسف يا عزيزي...(يقولها بتمسكن وخنوع)..

الأب: حسن..سأترككما وحدكما.. تشرفت بلقائك سيدي..

المدير: وأنا كذلك...

(يغادر الأب ، ويظل يوسف صامتاً)

المدير: كنت متأكداً من أنك ستصفح عني... لقد سألني الكثير من الناس عن دار النشر التي نشرت كتابك..كنت أشعر بالخزي حين أخبرهم بأنها ليست دار نشري...وبالخزي أكثر عندما أتذكر أنني طردتك بحماقتي وعجرفتي... إنه انتقام يسعدك بالطبع..فهو مؤلم جداً بغير ما يمكن لأي رجل صالح أن يتوقع حدوثه في ألدِّ أعدائه...صحيح هذا لا يعني أن هنالك عدالة سماوية بالضرورة ولكنه يحدث وإن كان نادراً...

يوسف: إنني لست سعيداً.. ولست حزيناً في نفس الوقت...لكنني لا أعرف ما الفائدة من قدومك لتتملقني هكذا..أنت تعرف أن دار نشر عالمية قد اشترت كل حقوق الطبع والنشر وبالتالي فلم يعد بإمكاني تقديم شيء لك...

المدير: آاااه حسنٌ... بل يمكنك أن تقدم لي خدمة بسيطة..فأنا لدي صحيفة سياسية انشأتها قبل عدة أشهر...صحيفة لا زالت في البداية..وأريد منك أن تعطني حق إجراء لقاءات صحفية معك بشكل احتكاري..(يقول بسرعة) وسأدفع لك ما تريد...

يوسف: إنني لست عاهرة لتغريني بالمال..أنت تعرف تماماً أنه لا يوجد كاتبٌ يهتم بالمال..

المدير: أنا لا أغريك يا سيدي العزيز.. أنا أتعامل معك وفق الأصول ومعايير البزنس...

يوسف: أنا لست رجل أعمال بل وفاشل في التجارة...فوق هذا فأنا لا أشعر بأي قيمة لهذا الكتاب..بل أنني.. بل أنني أمقته...

المدير: هذا طبيعي..فما أن يبلغ الإنسان الحلم الذي كان يسعى وراءه حتى يزهد فيه بل ويكرهه...هكذا نحن البشر..حتى عندما نلهث وراء المرأة ونزحف بركبنا ضارعين للسماء لكي ترضى عنا وتحبنا فإنه ما أن يحدث ذلك..حتى تتحول ذات هذه المرأة إلى كائن قبيح وممل...ثم نندم ونبحث عن أخرى..أو حتى نكره النساء ونبحث عن أشياء أخرى...أصدقك القول أن المرأة ليست هكذا..ليست مثلنا...فهي عندما تمتلك حبيبها تزداد تمسكاً به...بل وتتحول إلى كلبة

شرسة تدافع عن حبيبها كما لو كان جروها الصغير...(يقهقه) نحن نظلم المرأة كثيرا أليس كذلك...مع ذلك فالمرأة ليست وفية لحبيبها بل لنفسها...إنها لا تخونه لأن لديها اعتقاد بأن هذا الحبيب كنزٌ ما... إيييه...المرأة كائن لا يفهم حتى نفسه...

يوسف: لا أعرف شيئا عن المرأة لكنني أصدقك القول بأن هذا الكتاب بدا لي كما لو لم أكن أنا من كتبه...وإن نفسي لا تستسيغ أن تنال الشرف على حساب غيرها...

المدير: أووه إنه إضطراب الصدمة الأولى..صدمة النجاح السريع والساحق...مع ذلك فمن يكترث للآخرين...(يقهقه) لو قرأت تاريخ البشرية فستجد المنتصر يسرق المهزوم ثم يشوه صورته ويشيطنه...يشيطنه ويطلق عليه وصف البربري... هل تعرف عدد الشعوب التي وصفت أعداءها بالبرابرة ثم أصبحت بعد هزيمتها هي نفسها موصوفة بالبربرية..دعني أخبرك يا صديقي العزيز...الاتراك..الكلت..الامازيغ..الفرس المصريين..الميديين الفينيقيين الايرلنديين .. السلاف..المغول (يقهقه) كانوا يسرقون حضارات بعضهم ثم يشتمون بعضهم...

(صمت)

المدير: (يتأوه).. هل توافق على طلبي يا صديقي...أرجوك وافق... ستقفز صحيفتي المغمورة إلى الأضواء ..وسوف تكون أنت منقذها وفي نفس الوقت ستكون صحيفتك أنت...كل مقالاتك وقصصك القصيرة ونقدك الأدبي مما لا تنشره في الكتب....ها ما رأيك...هل توافق...

يوسف: (يصرخ) أنا لا أحتمل كل هذا... لا أحتمل كل هذا...

(يغادر..ويسمع صوت اصطفاق الباب)

(يبقى المدير واقفاً بحيرة.. ثم يتلقى اتصالاً)

المدير: ألو..

سوسو: نفذ ما أقوله لك بالحرف الواحد...

المدير: هل هذا ضروري..إنه لا زال صبياً..

سوسو: ولذلك يجب أن نصحح خطأنا...اسرع ولا تتأخر..

المدير: حسنٌ...

(يخرج من المنزل... يدخل الأب)

الأب: أين اختفى ابنك الفيلسوف...

(تدخل الأم)

الأم: لا وقت له ليضيعه مع أمثالنا.. إنه مع أشخاص مهمين بالتأكيد...

الأب: آه ..حمدا لله..كنت أخاف أن يضيع مستقبله لو مت وتركته ورائي..

الأم: لا أحب سيرة الموت...

الأب: صحيح...فلنسعد بهذا النجاح...دعينا نرى إن كانوا يتحدثون عنه في التلفزيون...

(يحمل الريموت كنترول ويزيد الصوت)

صوت التلفزيون: أنباء عاجلة ..فقد وجد الكاتب الروائي الشاب يوسف الكدراوي ميتا على حافة الطريق الصحراوي..وتقول إحدى الشهود أنها رأته يطلق الرصاص على نفسه قبل أن توقف سيارتها وتبلغ البوليس...

(يصرخ الأب والأم ويقعان مغشياً عليهما في حين يستمر الصوت من التلفزيون)

الروائي الشاب كان قد نال شهرة واسعة بعد روايته التي اثارت ضجة كبيرة..ويقول بعض أصدقائه ممن فضل حجب اسمه أنه كان يلاحظ على الفقيد اضطرابات نفسية في الآونة الأخيرة فقد ...

(ستار)

رجل تزوج نفسه- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

أسعد

صوت المرأة

ربيع

سوسن

صوت (المرآة)

المنظر:

غرفة نوم ... على الأرض أمام السرير حقيبتا سفر واحدة صغيرة فوق واحدة متوسطة الحجم.. وتحت السرير قارورة ماء..علب واعقاب سجائر وزجاجات جعة خضراء وبعض الكتب والأوراق وفردتا حذاء إحداهما قرب دولاب على اليسار والأخرى في مواجهة الجمهور وهي مقلوبة... أكياس حاجيات بلاستيكية وأطباق طعام على الطاولة ومذياع .. مقعدين من القماش السماوي المحشو بالاسفنج قرب باب على اليمين يفضي إلى صالة خفيفة الإضاءة. ولا توجد نوافذ للغرفة ولكن هناك بروز طفيف لمربع على الحائط كما لو كان نافذة تم سدها بالطوب والأسمنت...

يدخل رجل خمسيني ذوبشرة بنية محروقة ، شبه أصلع بكرش صغيرة...ويحمل مغلفا مستطيلا طويلا على يده اليسرى وتخرج من آخر المغلف أقدام حديدية أربعة محمية ببلاستيك أسود..يقطع الغرفة من اليمين إلى اليسار حيث يوكئ المغلف بحرص على الدولاب..ثم يبصر فردة الحذاء قرب الدولاب فيركلها إلى الداخل بسخط...يتجه من يسار الغرفة ليمينها ويجلس على المقعد الاسفنجي...والتعب والإرهاق يعتري ملامحه....يتنفس بصعوبة... يُخرج علبة سجائر رخيص ويدخن...يمسح جفنيه بأصابع يده اليمنى ويده اليسرى ممسكة بالسجارة..ثم ينقل السجارة إلى أصابع يده اليمنى..يخرج من جيب قميصه المهلهل منديلا يمسح به الصلعة والشعر القليل على الجانبين ثم يعيده إلى الجيب... يعيد رأسه إلى الخلف ويغمض عينيه بألم ويتأوه...يعود ويدخن سجارته ويتراخى جسده...يرن جرس هاتفه فيفتحه ويصمت..يأتي صوت أنثوى من الهاتف:

– ألو...ألو...ألو... يا أسعد

أسعد: (ينفث دخان السجارة في الهواء ويرد بجفاف)

– نعم؟

المرأة: لماذا لم ترد بسرعة...

أسعد: (ببرود) الآن رددت...

المرأة: هذا هو الاتصال العاشر ولا ترد...

أسعد: أعتقد أنك استلمت ورقة الطلاق اليوم...ولا يوجد شيء بيننا فلا تمارسي عمل العاهرات...

المرأة:(بغضب) أيها الصعلوك...أنك لا تست...

(يغلق الهاتف)

(يرمي السجارة ويسحقها بكعب حذائه ثم يُرجع رأسه إلى الوراء متكأ على مقعده ويحاول الإغفاء مبتلعا غصة)

(يرن الهاتف عدة مرات..فيتركه على المقعد ثم ينهض متجها إلى السرير وينام عليه بملابسه وحذائه)..

(يظلم المسرح)..

يضيء المسرح وأسعد جالس على طرف السرير.

اسعد: (يتثاءب ثم ينظر لساعة يده) كم الساعة الآن...لم أغفو سوى ساعة ونصف...مع ذلك أشعر ببعض الراحة...(ينحني ويرفع قارورة الماء ويغسل وجهه...يُخرج علبة السجائر من جيب بنطلونه ويشعلها ويدخن)...

أسعد: نفدت البيرة...نسيت أن أشتري كرتونة كاملة...زاد سعرها قليلا ولكن لا بأس...

(يتجه نحو الكرسي الذي كان عليه سابقا فيرفع هاتفه ويجلس ثم ينظر إلى شاشة الهاتف)...

أسعد: عشر اتصالات منها..ماذا تريد هذه المجنونة...ها..اتصال من ربيع...هل اتصل به؟ لا أعرف إن كانت نفسياتي تتحمل الكلام مع أحد...سأجرب..

(يجري اتصالا)

ربيع: اتصلت بك مرتين ولم ترد..

أسعد: كنت نائماً...

ربيع: جيد..النوم مفيد...لا أعرف كيف تنام بكل هذه السهولة يا صديقي..إنني اتقلب ساعات في الفراش قبل أن انام..

أسعد: لن تحسدني على ذلك فهذه هي النعمة الوحيدة التي تبقت لي...

ربيع: هل أنت موجود في المنزل الآن لدي خبر أفضل أن أخبرك به مباشرة...

أسعد: متوفر ولكن غير متوفر في نفس الوقت..

ربيع: لم أفهم...

(يَخرج أسعد من الباب الأيمن ولكن يظل صوت حواره واضحا للجمهور...)

أسعد: نفسياتي لا تتحمل لقاء أحد..افضل ان نستمر في الحديث عبر الهاتف...

(يسمع صوت تدفق ماء)..

ربيع: ماذا تفعل ..أسمع صوتاً غريباً.؟

أسعد: إنني اتبول...بعدها سأذهب لإعداد قهوة...

ربيع: حسن..الخبر هو أنني سأخطب بعد يومين..لقد أعددت كل شيء فالخطوبة ستكون روتينية ولفترة وجيزة عملاً بالتقاليد ولكن الزواج لن يتأخر أكثر من شهر...

أسعد: مبروك...

ربيع: لماذا تقولها ببرود هكذا...

أسعد: لأنني أنهيت اليوم التجربة الثالثة لي ... والحق يقال أنها ليست شيئا مفرحاً غير أنني لا أريد إحباطك...مبروك على أي حال..

ربيع: كان من المفترض أن اتزوج منذ وقت طويل..أليس كذلك...

اسعد: نعم..

ربيع: لكنك تعرف ظروف العمل السياسي وانشغالي مع الحزب ومشاكل الحكومة...

أسعد: ولماذا قررت الآن أن تكسر الحاجز...

(يصدر صوت جلجلة ملعقة في كوب)

ربيع: لا أعرف...ربما أمي... أمي بكت وهي تطلب مني الزواج...قالت بأنها لا تريد أن تموت دون أن ترى أحفادها..

اسعد: وماذا استفادت من رؤيتها لك أنت ابنها طوال هذه السنين؟

(يدخل أسعد وهو يحمل فنجان القهوة بيمينه)

ربيع: لا أعرف ماذا تقصد؟

أسعد: إنسَ الأمر يا صديقي...إنني أسأل اسئلة غريبة بعض الأحيان دون وعي مني...

ربيع: لستُ غبياً وأعرف موقفك المادي هذا...

أسعد: ليس مادياً بل واقعيٌ...

ربيع: المشاعر واقع أيضاً...

أسعد: فلنترك الجدل جانبا.. فأنا انصحك أن تقضي وقتا أطول وأنت في فترة الخطوبة..لا تتعجل يا صديقي...

ربيع: ولماذا؟

– حتى تعرف حقيقة خطيبتك وطبائعها...

ربيع: ومتى كان بامكاننا اكتشاف حقيقة المرأة..ربما ندخل قبورنا دون أن نفهم عنهن شيئا...

أسعد: صدقت...لكن على الأقل أسرة المرأة...أسرتها أهم منها... فهم من سيؤثرون عليها في مقبل أيامكما...لقد كانت هذه مشكلة زواجي الأول...

ربيع: وماهي مشكلة زواجك الثاني والثالث؟

أسعد: نفس الأمر يا صديقي..نفس الأمر...النساء يتأثرن بكل ما يقال لهن..يمكنها أن تذهب لزيارة خالتها وهي سعيدة ثم تعود لك بوجه آخر لا تعرف سببه...وتخاطبك بكلمات لم تسمعها منها من قبل...ثم تبني حكماً نهائيا حاسما لا يقبل الاستئناف بناء على قصص في خيالها أوهموها بها...لذلك عليك أن تتريث في فترة الخطوبة وأن تدرس ساحة المعركة جيدا قبل الإقدام على المجازفة الأخيرة..

ربيع: لقد أخفتني حقا...

أسعد: لا أريد اخافتك..ولكنني أتحدث إليك من خلال تجربتي..ربما تكون أكثر حظا مني..في النهاية يجب عليك أن تخوض هذه التجربة التعيسة...

ربيع: إن خطيبتي تحبني كما..كما أنها جميلة...

أسعد: نعم يا صديقي..هكذا كن كلهن في نظري دائما قبل الزواج...

ربيع: اللعنة...ألا تمنحني بعض الطمأنينة..

أسعد: سأمنحك بعض الطمأنينة..ألا ترى أن نسبة الزيجات التي استمرت أكبر من حالات الطلاق من حولك؟

ربيع: (بغبطة) حقاً يا صديقي وهذا شيء مطمئن فالزيجات التعيسة مجرد استثناء..

أسعد: صحيح...فكل مافي الأمر أن الزيجات التي لا زالت مستمرة حتى الآن هي التي يمارس فيها الزوجان ضغطا مستمرا على نفسيهما ليمنعا الطلاق من أجل أشياء كثيرة كالأولاد أو المظهر الاجتماعي...

ربيع: يا إلهي..كم هذا مفزع...

أسعد: ليس مفزعا..لكن الأمر كله متوقف على فهمنا لقيام شخصين بإجبار نفسيهما على البقاء تحت سقف واحد طوال حياتهما وحتى الموت..الفكرة من أساسها سخيفة وغير معقولة..لكنها

هكذا وصلت إلينا وانتشرت وأمتلكت حقيقتها في نفوسنا...لكن لماذا؟ هذا هو الشيء الذي لا إجابة له..

ربيع: تكوين الأسرة..الاستقرار...؟

أسعد: ربما...مع ذلك فكل شيء يتحول لتراجيديا .. فحتى في الزيجات الناجحة يكون المرء قد تنازل عن حقه في خوض تجارب جديدة في الحياة...إنه يستسلم لفرضية واحدة لا برهان لها سوى الاعتقاد..

ربيع: لا أريد أن أقسو في كلامي عليك...ولكن...

أسعد: أعرف .. أعرف... لا يا صديقي .. ليس هذا بسبب تجاربي الثلاث الفاشلة..على العكس..فهذه التجارب أعطتني خبرة وليس حقداً على مؤسسة الزواج..بتُّ أفهم الحقيقة...والحقيقة أنك يجب أن تتزوج ولكن ليس على سبيل التأبيد بل التأقيت...تزوج وانت تتوقع ألا يستمر الأمر طويلا وأن تستعد لانهاء اللعبة في أي لحظة تشعر فيها بأنها باتت مملة وتستلب حياتك الخاصة..حريتك في اللعب...وفي تجديد اكتشاف الحياة...مع ذلك فهناك أشخاص لا يحبون المقامرة.. هؤلاء يفضلون قمع ما تبقى من فرص الحياة والاستغناء عن متعة الاكتشاف مقابل الاستقرار المسالم على وضع واحد...

ربيع: أنا افضل الاستقرار المسالم هذا؟

أسعد: إذاً..فتهاني لك يا صديقي إذا كان الاستقرار يفضلك بدوره...

ربيع: يا لك من متشائم...

أسعد: لست متشائماً .. فاليوم مثلاً تزوجت...

ربيع:(بدهشة) تزوجت..؟!!! متى.. وكيف؟!!!

أسعد: هكذا.. لقد تزوجت نفسي..

ربيع: لم أفهم...

أسعد: دعني أشغل لك كاميرا الجوال.. نعم هكذا... هل تراني جيداً...

ربيع: نعم أراك جيدا..ولكن ماذا تقصد بحق السماء... لا تصور لي أشياء إباحية تمارسها مع نفسك فهذه المشاهد تقززني بل ..بل وترعبني..

أسعد: لا يا أحمق... شاهد..

(ينهض من كرسيه ويتجه نحو الدولاب..يفض الأوراق التي تغلف المرآة ذات القاعدة الحديدية...يوقف المرآة على أقدامها الأربعة وهو جالس على الكرسي يحدق في انعكاس صورته عليها)

أسعد: هل ترى... أنا الآن أتزوج نفسي...المرآة أمامي وأنا أرى نفسي...كل يوم سأجلس أمام المرآة وأتحدث إلى نفسي.. إن الزواج ليس أكثر من هذا على فكرة...لا تعتقد أن الجنس هو الأساس بل المسامرة وقتل الصمت...كائنٌ آخر... يوهمك خيالك بأنه سيكون رحيماً بك.. عطوفاً عليك.. تعتمد عليه عندما تمرض أو تصاب بأزمات...لكن يا صديقي...صدقني ليس هذا ما يحدث.. ما يحدث أن صورتي على هذه المرآة تفعل أكثر مما يفعل الزواج..صورتي على هذه المرآة تحقق توقعاتي تماماً..أما توقعات الزواج فتخيب كلها...

ربيع: أنت تتجه إلى الجنون...

أسعد: خض التجربة بالأول ثم عد وتذكر ما قلته لك...لا يمكن لشخص له كينونته وكيانه..ذاتيته أن يندمج بالآخر اندماجا كليا فهذا وهم...المسألة هي فقط تقديم تنازلات بشكل مستمر... إنك تتنازل عن كينونتك شيئا فشيئا لكي تجعل زواجك ناجحا...في الواقع .. أنت تخوض معركة حول السلطة والقيادة والسيطرة بشكل مستمر...هذا طبيعي فحتى شركاء الزنزانة الواحدة والمحكوم عليهم بالتأبيدة لا يتحملون بعضهم البعض...رغم أنهم لا يملكون ما يكسر حاجز مللهم سوى وجود بعضهم إلى جانب بعض...

ربيع: يا لك من رجل قاس... إنني أجد ذلك مبررا كافيا لطلاق زوجاتك منك..

أسعد: ما أقوله هو الحقيقة وليس قسوة.. حقيقة ننكرها لأننا لا نعيها فقط.. أنظر مثلا عندما يتوفى أحد الزوجين.. ستجد الآخر حزينا..ولكن دعني أصدقك القول..بعد بضعة أسابيع يتحول الحزن لشعور بالحرية..بل وبالرغبة في خوض تجربة أخرى أكثر جنونا وتشويقاً..وهم الاندماج يتبخر في الهواء وتعود كينونة المرء لتكمل ما نقص منها نتيجة التنازلات المستمرة السابقة فتبحث عن فيلم آكشن جديد..يحرك نبضات القلب التي سكنت بسبب الاستسلام الطويل...

ربيع: أيها الشيطان...لقد بددت فرحتي بالخطوبة والزواج...

أسعد: بل على العكس.. عليك أن تفرح كثيراً كثيراً.. افرح بخوض التجربة ولكن لا تتوقع الكثير منها إلا إن قررت منذ الآن أن تقدم من التنازلات ما يمحو كينونتك...

ربيع: بل سأتوقع الكثير.. ولا أسميها تنازلات بل حصصاً أقدمها لزوجتي حبيبتي وهي أيضا ستقدم لي حصصها لتكوين أسرة دافئة تنعم بالهدوء والاستقرار...

أسعد: هذا جيد.. والآن دعني أنفرد مع نفسي أمام المرآة فبيننا حديث طويل...

ربيع: (يقهقه) إلى اللقاء أيها المجنون...

(يغلق أسعد الهاتف ويلقي به في السرير بغير اكتراث...يثبت المرآة أمامه وهو جالس على الكرسي ويتأمل صورته المنعكسة قليلا.. يغير وضع جلسته قليلا ويتأمل صورته.. ثم يصلح من شعره القليل على جنبتي جممته ويتأمل صورته...يبتسم)

أسعد: أهلا بزوجتي العزيزة..أو زوجي.. زوجتي ..لا لا ... فلتكن زوجتي..حسناً..لا بأس بذلك...

(يخرج سجارة ويشعلها ويدخن بصمت)

(يظلم المسرح)...

..

(يضيء المسرح عن نفس المنظر السابق)

أسعد: مساء الخير عزيزتي...ها قد حل المساء...أعرف أن الغرفة خانقة قليلا ذلك أن زوجتي الأخيرة كانت مصابة بفوبيا النوافذ فأغلقت النافذة الوحيدة في هذه الغرفة (يوجه المرآة نحو الحائط حيث مكان النافذة المسدود ثم يعيدها لتواجهه)...لا أريد أن أحدثك عن الماضي ولا أرغب في أن تخبريني عن ماضيك ..مافات مات (يقهقه)..مع ذلك فزوجتي أو طليقتي على الأصح كانت تخاف من ظلام زجاج النافذة في المساء...ورغم أنني ركبت ستارة تغطي النافذة إلا أنها ظلت تتحدث عن خوفها من الأشباح التي يمكن أن تنفذ من النافذة إلى الغرفة..إنني أخبرك بذلك لتعلمي كم عانيت من النساء .. ليست زوجتي الأخيرة من كانت لديها وحدها إضطرابات من هذا النوع فتقريبا كانت الأخريتان أيضاً كذلك..الأولى مثلا كانت تعاني من وسواس النظافة...والثانية عكسها تماما بل أنها كانت تعاني من رؤية باب الحمام مفتوحا وكأنما ستخرج منه الشياطين..لقد اكتشفت من خلال تجاربي أن قفلك مع شخص آخر في مكان واحد يكشف لك عن اضطرابات عميقة في شخصيته..لا أنزه نفسي فبالتأكيد اكتشفَتِ النسوة الثلاث سلبياتي كلها..فأنا مثلا فوضوي..ربما لأنك لا ترين كل أبعاد الغرفة ..مع ذلك فلو وصفتها لك ستعرفي كم الفوضى الذي ينبع من جيناتي...لكن..لا يعني هذا أنني مشتت الذهن..بالعكس

تماما...فأنا أحفظ هذه الفوضى عن ظهر قلب...دعيني يا عزيزتي أعطك مثالاً قاطعا بذلك... فمثلا..ماذا لو قلت لك أن تحت هذا الكرسي يوجد قلم الحبر غالي الثمن الذي أهداه لي شخص ما...ها..؟.. لا تصدقينني..حسن...(ينحني ويخرج قلم الحبر من تحت المقعد) .. هل صدقتني الآن..(يضحك)..النسوة كن يظننني فوضويا..لكنهن لا يعلمون أن هذه الفوضى منظمة في عقلي...بل أن هذه الغرفة لو ترتبت وتنظمت فسوف أصاب بتشوش كبير...طبعا هذا إلا إذا كنت أنا من نظمها ورتبها وليس شخصا آخر...(يشعل سجارة)..هل يضايقك السجار؟.. لا ... حسنٌ...لقد دخنت كثيرا هذا اليوم..لمذا أدخن كثيرا؟ سؤالك هذا سؤال صعب فأنا نفسي لا أجد له إجابة حاسمة....مع ذلك دعيني أحاول...سأقول كلمة واحدة لاختصار عشرات الجمل..إنها كلمة "الخيبات"..نعم الخيبات...الخيبات التي لازمتني طيلة حياتي..لا تسأليني عن علاقة السجائر بذلك فجل ما أعرفه أن التدخين يغطي داخلي فجوة شعورية ما...أشعر دوما بنقص يعتريني...ليس عقدة النقص فهذه موجودة بوفرة عندي ولكني أقصد النقص الذي يتعلق بالحياة..الحياة التي لا يمكن إشباعي منها...والحب أيضا..الحب الذي خسرته قبل زواجي الأول والذي دفعني لتلك الزيجات الثلاث الفاشلة...(يطفئ السجارة) ثم إبني الوحيد المعاق..لقد خرج إلى العالم دون أن يعي فيه شيئا إنه منغولي..أبله.. لا يملك ذكاء دودة...ومن ثم فهو داخل هذا الوجود بلا أي فائدة...أتذكر رواية لكاتب ياباني عانى من ذات هذه الخيبة في حياته وهي خيبة تلازمك طيلة العمر لأنك ستظل تشاهد انتاجك لكائن لا معنى له في هذا العالم...آه إنه الروائي كينزابورو أوي...وأنا وغيري ممن يعانون وحدنا من نعرف كم الألم من ذلك...لكن دعينا يا عزيزتي من هذه التراجيديا ولنحتفل بعيد زواجنا الأول...لا بالطبع لم نكمل سنة.. بل بضعة أشهر فقط..ربما ثلاثة أو أربعة أشهر..لكنني أشعر يومياً بأنك أفضل من عاشرتهن من الزوجات... لا .. دعيني أقول لك بأنك أفضل حتى من جميع أصدقائي...إنك الزوجة الصالحة التي يتمناها أي رجل.. ولو كنت شاعرا أو رساما لكنت قد كتبت آلاف القصائد ورسمت مثلها لوحات رائعة وأنت توفرين كل هذا الجو من الهدوء والسكينة.. والأهم ...الاستماع لي بأذنين مصغيتين دون كلل ولا ملل..في الواقع لم أجد زوجة واحدة كانت تجيد الإصغاء... كُنَّ دوما يتحدثن هن فقط...يتكلمن دون توقف... ما كان بالإمكان مناقشة أية مشكلة بحوار عقلاني.. لا .. فالمرأة لا يمكنها أبدا أن تعترف بأنها مخطئة... إنها تصدر حكمها فقط بانطباعها البدائي ولا يمكن لكائن من كان أن يستأنف هذا الحكم...لكنكِ دونا عن كل من سبقنك..تجيدين الإصغاء..

تجيدين فن الاستماع .. وفوق هذا فأنت لا تخطئين أبدا أبدا....لا أعرف يا عزيزتي لماذا لم أتزوجك منذ البداية..لماذا أضعت عمري مع كائنات مفارقة لي .. لا يوجد بيني وبينهن أي نقاط التقاء...والغريب أن الجنس لم يكن هدفي يوما ما.. بل الراحة النفسية...عندما تزوجت أول مرة كنت أحلم بتكوين أسرة تنعم بالدفء والحنان..ولكن على العكس من ذلك.. لقد أنجبت فوراً ابناً معاقا وزوجة مصابة بالوسواس والقلق والتوتر...قررت بعدها أنني لن أُنجب مرة أخرى...(يضحك).. كنت أذوّب أقراص منع الحمل في أي شراب للزوجات الثلاث حتى لا ينجبن...اكتشفت أخيراً أنهن كن يعرفن ذلك وأنهن كن يبتلعن أقراصاً أخرى مباشرة دون انتظار مفعول أقراصي ودون إخباري...ويبدو أن هذا كان الشيء الوحيد المشترك بيننا وهو عدم الرغبة في الإنجاب...وربما وبعد بضع سنوات أخرى وبعد تطور البشرية فسيكون عدم الإنجاب من علامات الرُّقي والتحضر...إنني أراه كذلك بالفعل...علينا أن نكون أكثر شعورا بالمسؤولية عندما نتخذ قرارَ إخراج كائن لهذا العالم السخيف...أنا كعقلاني لم أجد حكمة سائغة عقلا لهذه النزعة نحو الانجاب لدى الكائنات الحية سوى بقاء النوع..وأعتقد أننا كبشر يجب أن نفقد هذه الغريزة غير المهمة إذا تطورنا كما فقدنا الذيل ووظيفة الزائدة الدودية عبر التطور..أما باقي المبررات التي يطلقونها فهي في الواقع دليل على الأنانية المفرطة لدى بشر لا زالوا عالقين في العاطفة العمياء...

.

.

(نفس المنظر)

(يرن جرس الهاتف..يرفع أسعد الهاتف ويتلقى المكالمة)

أسعد: آلو...صديقتي العزيزة سوسن..

سوسن: (يأت صوتها بارداً) أهلا أسعد..هل سمعت بما حدث لصديقك ربيع...

أسعد: (بانزعاج طفيف) ماذا حدث له؟

سوسن: لقد طلق زوجته...

أسعد: (يصمت قليلاً) .. آه... إنهما لم يكملا السنة...

سوسن: بمجرد أن أنجبا طفلتهما الأولى حتى تفرعنت عليه...تحولت لكائن متوحش...هكذا قال لي...

أسعد: هذا طبيعي...

سوسن: (بغضب) كيف يكون طبيعياً يا أسعد...؟

أسعد: لقد تزوجَتْ وأنجَبتْ وهكذا أنجزت استحقاقات المجتمع..وهي الآن تريد أن تكون حرة...

سوسن: والمسؤولية يا أسعد...مسؤولية الأسرة..زوجها والطفل...؟

أسعد: في الواقع المسؤولية عبر قتل رغبتنا في الحرية والتجديد هو بغي وعدوان على أنفسنا..عدوان غير مبرر.. ستحصل هي على حريتها ..ويمكن لربيع أن يتزوج امرأة أخرى أو يتخذ عشيقة إن استطاع..والواقع أنا أفضل أن يفعل مثلي ويتزوج نفسه...

سوسن: تزوجت نفسك؟ .. يبدو أنك أصبت بالجنون...هكذا يفعل النسوة بالرجال...

أسعد: على العكس تماماً..صحيح أن طليقاتي الثلاث كن شريرات أو حمقاوات على نحو ما..لكنني لا ألومهن على شيء..إنني ألوم نفسي على إضاعة سِنيّ عمري في وهم ما يسمى بالزواج.. عُشٌّ عصافير الحب الدافئ..(يقهقه)..أنتِ نفسك يا سوسن تعانين في زواجك..

سوسن: (بغضب) غيرُ صحيح..

أسعد: بل صحيح...وانت تعرفين ذلك... كم رجلاً أحببتِ بعد الزواج؟...

سوسن: (بجزع) لم...

أسعد: لا تنكري..لا تنكري أنكِ أحببتِ رجلا واحداً على الأقل بعد الزواج لكنك تكتمين مشاعرك إحتراما لقيم المجتمع ووهم المؤسسة الزوجية...تتحججين أمام نفسك بالاولاد .. وتقمعين مشاعرك باستمرار بسبب هذه المصيدة التي أسموها زواجاً...

سوسن: (ترتبك)..أنا..أنا...

أسعد: لا تقولي شيئاً فأنا لا أحتاج لإجابتك بل أنتِ من يحتاج لهذه الإجابة...

سوسن: معذرة..مضطرة لإغلاق الخط..إلى اللقاء...

أسعد: إلى اللقاء...(يغلق الخط وينظر للمرآة) ها قد عدنا يا زوجتي الحبيبة...

(يرن الهاتف فيتلقى المكالمة..يأتي صوت بكاء سوسن)

أسعد: (بحنان) حسنٌ..لا تبكِ يا عزيزتي... أعلم أنك تشعرين بأنك خائنة وآثمة...ولكن هذا غير صحيح.. إن الخيانة الوحيدة التي اقترفتها هي خيانة نفسك..خيانة رغباتك...خيانة عاطفتك البشرية الطبيعية...

سوسن: (من بين دموعها) ولكن..ولكنني أشعر بأنني قذرة جداً...لا يمكنني التخلص من هذا الشعور...خاصة عندما أشاهد زوجي وأبنائي...

أسعد: طبيعي.. هذا شعور طبيعي...فمغادرة سجن الثقافة التي تربينا عليها أصعب من مغادرة مجرتنا...لكنه ليس مستحيلاً...

سوسن: أنا مشوشة جداً..

أسعد: هذا طبيعي أيضاُ... لكن عليك فقط أن تكوني صادقة مع نفسك...ليس بالضرورة أن تطلبي الطلاق أو تبغضي زوجك..ولكن عليك فقط أن تكوني صادقة مع نفسك..أن تقولي نعم أحببت رجلاً آخرَ لكنني في نفس الوقت لن أستطيع خيانة زوجي جسديا...سأخونه فقط في عقلي..في داخلي...في قلبي فقط..وهذا من حقي...مادمت سأضحي برغباتي على أرض الواقع حماية للتقاليد ولمؤسسة الزواج الزائفة...

سوسن: (تبكي) سأفعل سأفعل...

أسعد: حسنٌ يا عزيزتي...كوني قوية دائما..ولن تكوني كذلك إلا بأن تكوني عقلانية لتعي ذاتك قبل أي شيء آخر.. إلى اللقاء...

سوسن: إلى اللقاء...

أسعد: (يغلق الهاتف) ها قد عدت لك يا زوجتي العزيزة...

صوت أنثوي من المرآة: ألم تملَّ من ذلك يا زوجي الحبيب؟

أسعد: (يرمي هاتفه ويقفز فوق المقعد بذعر) ما هذا... (يتلفت يميناً ويساراً).. ما هذا الصوت؟

صوت المرآة: ألا تعرف صوت زوجتك يا حبيبي...

اسعد: (بفزع) أي صوت... أي صوت.. زوجتي من؟..

صوت المرآة: نفسك التي تزوجتها... التي تحدثها ليل نهار منذ أكثر من سنة ... كيف لك أن تنسى بهذه السرعة...

أسعد: (يقفز مبتعداً عن الكرسي ويتجه إلى الناحية اليُسرى)..هذا ليس حقيقياً..ليس حقيقياً بالمرة...يبدو أنني أصبت باضطراب الفصام؟ ..

صوت المرآة: إهدأ قليلا يا عزيزي..اهدأ قليلا... أنا زوجتك...حبيبتك... نفسك...

أسعد: (يصيح)..هذا غير صحيح...لا يمكن أن يكون صحيحاً...

(يهرول عائدا إلى الجهة اليمنى ويرفع هاتفه ويُجري اتصالاً) ..

أسعد: ربيع...انقذني يا ربيع...

ربيع: ماذا هنالك يا أسعد...

اسعد: إنني أسمع أصواتاً .. أسمع أصواتا تخيفني...

ربيع: أين تسمع هذه الأصوات...

(يصدر صوت ضحكات رنانة من المرآة فيتجمد أسعد في مكانه)

أسعد: هل تسمع ذلك.. هل تسمع ذلك...؟!!!

ربيع: أسمع ماذا؟ يا إلهي .. يبدو أن خطبا ما قد أصابك...

أسعد: (يصيح بغضب مشوب بالخوف) صوت زوجتي... هل أنت أصم....إنها أصوات ضحكات زوجتي...

ربيع: ولكن..ولكن أي زوجاتك..إنك غير متزوج...

أسعد: صوت نفسي..صوت زوجتي التي هي نفسي..ألا تسمع هذه الضحكات الساخرة التي تجلجل في المكان؟..

ربيع: يا إلهي...كنت أعتقد أن طلاقي مصيبة يبدو أن الإنسان حتى لو تزوج بنفسه فسوف لن يعيش بسلام أبداً...

(تظل ضحكات المرآة تجلجلُ في الغرفة)

أسعد: اللعنة .. توقفي أيتها المرآة...انقذني يا ربيع..انقذني أرجوك...

ربيع: حطم هذه المرآة...حطم هذا الهراء...

(تستمر الضحكات .. يحمل أسعد المرآة ويضربها بالأرض فتتكسر وتختفي الضحكات)..

ربيع: هل توقفتِ الأصوات؟.. ها.. هل توقفت؟

أسعد: (يتنفس الصعداء ويهدأ) نعم يا صديقي....توقفت...

(صمت لبرهة)

ربيع: يبدو أن هذا هو إذاً طلاقك الرابع يا صديقي...

أسعد: نعم يا صديقي...يبدو كذلك...

(ينفجر الرجلان في الضحك ويستمران كذلك حتى إستدال الستار)

(ستار)

العالم الخارجي-مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

السجين

زنزانة مظلمة حيث كوة عالية بسياج حديدي ينفذ من خلالها ضوء باهت وعلى يسار المسرح باب حديدي

السجين– (مقرفص في ركن الزنزانة)..خمسة عشر سنة..اليوم كما أخبرني الحارس هو آخر ليلة لي هنا.. مائتان وخمسة وعشرون شهرا مضوا..السنة هنا سنة حكومية..تسعة أشهر فقط..الحكومة تسرق كل شيء حتى شهور السنة لم تسلم منها...(يقف ويتأمل الكوة البعيدة)..آه..عشت هنا بسلام كل هذه السنوات...نعم..تعرضت لبعض المضايقات خاصة من الحراس الجدد ثم بعد ذلك يعتادوا علي وأعتاد عليهم..بعض الأعمال لتوفير نقود لمصلحة السجون..ليست أعمالا شاقة..تنظيف المراحيض...وأيام الشباب تصريف بعض احتياجات الحراس الجنسية..لكن ليس أكثر من ذلك...لم أر وجهي في المرآة طوالي هذه السنوات لكنني (يتحسس رأسه) ..لكنني كلما تحسست رأسي كنت أجد شعره يخف ويخف..أعتقد أنني صرت أصلعا...(يبتسم) أتذكر كيف كنت قبل ذلك أربي شعري..أرتدي الشارلستون...وأضع نظارة الشمس كبيرة الإطار على عيني...يقال أن العالم تغير كثيرا في الخارج...هل هذا صحيح...يقال أن الموت أصبح أسهل...أخبرني زميل لي بذلك ثم غادر الزنزانة مدعيا أنه أصيب بالجنون...أخبرني بأنه سيفعل ذلك وأن علي ألا أخاف حينما يمثل دور المجنون...لم يقض في هذه الزنزانة سوى ثلاثة أشهر لجريمة النصب والاحتيال..ويبدو أنه استطاع النصب على الحكومة أيضا...لكن..لكن الغريب أن هناك من أصيبوا فعلا بالجنون بعد بضع سنوات من السجن هنا.. أتذكر ذلك النحيل...الفتى النحيل الذي جن فجأة...حاول خنقي أثناء النوم...كان يصيح: أنا المسيح الموعود..أنا المسيح الموعود...يا بطرس الخائن...وكنت أصيح محاولا الفكاك من قبضته: من بطرس هذا..أتركني يا مجنون...(يقهقه) آه كانت أيام... ماذا حدث معهم يا ترى....خرجوا إلى العالم هناك..وراء هذه الزنزانة.. في بداية مدة سجني كنت أسمع نهيق حمار...صحيح (بدهشة) لم انتبه لذلك..أين اختفى الحمار...هل مات..يبدو أن صاحبه كان يجيعه لذلك كان ينهق طوال الليل..الحمير تنام واقفة...كيف تتحمل أعصابها وعضلاتها ذلك...هل هي تنام واقفة فعلا أم أنني كنت أتخيل ذلك...لقد تربيت هنا... خبرتي لم تكن طويلة..ففي اليوم الذي بلغت فيه الثامنة عشر من عمري قتلت ذلك المسكين...لماذا قتلته..إنني لا أتذكر..في الواقع أتذكر.. ولكن..ولكن يبدو لي السبب غير منطقي أبدا..بل..بل مضحك

جدا..استفزني عندما شتمني بفرج أمي...(يضحك) هل حقا كان هذا هو السبب...لا .. لا ... لكن..لكن ربما شكله... أنا لا أتذكر ملامح وجهه بدقة..لكنها كانت ملامح قبيحة..ما أتذكره أنه كان ضخم الجثة...لكن لا شيء أكثر من ذلك...حاول خنقي فلطمته بحجر شدخ رأسه...(يبدو غاضبا) أووووو...ليس ذلك واضحا بالنسبة لي...على أي حال...على أي حال ليس ذلك مهما الآن...في المحاكمة ..نعم .. جاءوا بأربعة شهود.. هل هم أربعة..لا ..أعتقد أنهم كانوا أكثر من ذلك...أكثر بكثير..لأنني أتذكر أن القصص التي رويت عن الحادثة كانت كثيرة جدا...حتى أنني أنا نفسي لم أعد قادرا على تمييز الحادثة الحقيقية من بين باقي القصص.. محاكمة استمرت قرابة سنتين....سنتين أم سنة ونصف..أو .. أو ربما سنة وسبعة أشهر..تقريبا..ذكروا عدة روايات للجريمة داخل المحكمة فاختلط علي الأمر...في النهاية حاكموني عن رواية مختلفة تماما عن روايات الشهود...كان للقاضي الأول روايته وللثاني رواية مختلفة ولمحكمة النقض قصتها...وحتى عند تنفيذ الحكم روى لي مدير السجن قصة مختلفة عن قصص الآخرين...لا أعرف هل فعلا ضربته بحجر أم طعنته بسكين أم أطلقت عليه الرصاص...لا أتذكر .. لكنني في كل الأحوال مذنب.. ليس فقط لأن القانون يراني كذلك..بل لأنني..وبعد كل هذه السنوات ..لا أجد مبررا كافيا لقتلي للرجل...أو.. لعله كان كافيا في ذلك الوقت..لا يجب علي أن أحاكم نفسي قبل خمسة عشر عاما بمفاهيمي الراهنة...وفي كل الأحوال فلم أخسر شيئا بقدر ما خسره القتيل...ولم يخسر القتيل أكثر مما خسرته..هو أعلنت وفاته وأنا لم تعلن وفاتي..لكنني أيضا توفيت معه...أنا لا أعرف..ربما لو لم أدخل السجن..ربما كانوا قتلوني..وربما كنت تزوجت وأنجبت..وربما توفيت بسبب الطاعون..أو أصبت بعاهة مستديمة...كل الاحتمالات مفتوحة..لذلك لا يمكنني أن أحكم على حاضري...ما أعرفه أنني اندمجت في هذه الزنزانة..عشت داخلها بسلام.... أعمل قليلا وآكل ثم أنام..بعض التمارين الرياضية ..أخبرني طبيب السجن الشاب بضرورة ممارسة الرياضة...فمشيت داخل زنزانتي حتى أن الحارس صاح طالبا مني التوقف عن الدوران..لأنه أصبح يشعر بالغثيان من مشاهدتي وأنا أدور وأدور...ولي فيها ذكريات...نعم ذكريات لطيفة....و زملاء وضعوا بصمة حضورهم في قلبي..منهم ذلك السياسي الذي كان يجلس في ذات ركني هذا ويبكي.. كان يبكي بكاء مريرا لأنه وشى بزملائه فأعدموهم جميعا وحكموا عليه هو بسجن مخفف ثلاث سنوات.. غير أنه لم يكمل المدة ..بضعة أشهر وخرج ثم عينوه وزيرا...(يضحك) الحياة غريبة فعلا...هل هناك شيء لم يحدث فيها...هل

فيها شر وخير فعلا أم أن كل مافيها مسرحية هزلية..تعلمت من حكايات زملائي الكثير وحصلت على الحكمة..أعتقد ذلك..فأنا لست أميا على أي حال...لقد أنهيت التعليم المدرسي..لم أكن متفوقا..ولو أنني أعتقد بأنني لم اكن بليد الذهن..كل مافي الأمر أن أيام الطفولة والمراهقة لم تتح لي فهم أهمية التعلم..أحد زملائي هنا قال لي أن الدراسة ليست مهمة في ذاتها..قال كلاما كثيرا...لقد أقنعني حينها بذلك لكنه بعد أن مات لم أجد كلامه مقنعا...لا أتذكر ماذا قال بالتحديد..ولا أريد أن أتذكر...أتذكر فقط جثته القصيرة السمينة...كانت منتفخ الأوداج معتدا بنفسه واثقا من ذكائه..قال بأنه يدير ملايينه من داخل السجن أفضل مما لو كان بالخارج...(يضحك) كانت أشهر وجوده معنا أشهر خير...لقد كان يغدق علينا بالطعام الفاخر والدخان...وأتذكر أنه كان يدخل أيضا زجاجات النبيذ المستورد الفاخر ويوزعها علينا بكرم شديد..كل ذلك بعلم مدير السجن...وما أن وجدناه جثته متجمدة في الصباح حتى توقف كل شيء كما توقف قلبه عن النبض...قال بأنه يحب المال..كان يأكل كميات مهولة من الطعام..وكان يتحدث أثناء الأكل بسرعة عن أهمية التمتع بنعم الحياة...يأكل ويأكل ويأكل...قال أن كل متع الإنسان لا تكتمل..بل تنتهي لتعاود لذتها من خلال الألم..وأن علينا أن نسعى لإشباعها بقدر المستطاع....كلامه أربكني كثيرا ولا أعرف لماذا بكيت حين قال ذلك وهو يأكل بتلك الشراهة...ثم بكيت وأنا أرى جثته الهامدة وعينيه المغمضتين في سلام...(صمت).....هنا في هذه الزنزانة...كنت كالإله..أراقب كل شيء بصمت وأتعلم من الآخرين...(يصدر صوت انفتاح رتاج باب الزنزانة فيبدو السجين فزعا..يحدق في الباب بخوف) يا إلهي...لا .. لا أريد الخروج...لا تكونوا قساة أكثر من هذا... بعد كل هذه السنين سيكون العالم الخارجي سجنا جديدا....يقال بأن كل شيء تغير في الخارج..لقد رأيت السجين الغني يأتي بأشياء عجيبة..كنت كلما حدقت فيها نظر نحوي وضحك ساخرا وقال بأن هناك أشياء كثيرة فاتتني في الخارج...أنتم لا تفهمون...سأكون في بلد غريبة علي تماما...عالم غريب....وربما تعرضت للسخرية والأستهزاء...ماذا أفعل في الخارج....وأي حرية تتحدثون عنها...الحرية هنا..هنا في هذه الزنزانة وليست في الخارج...في الخارج عالم قاس وله سطوته على الضعفاء أمثالي..ماذا سأفعل بحرية كحرية من يضيع في الصحراء....(يصدر صوت تحريك رتاج الزنزانة بقوة أعلى) ..لكن..لا أحد لي...منذ أن دخلت هذه الزنزانة ولم يزرني أحد...كان السجانون والمساجين هم أقاربي...هنا أصبحت كالسمكة في الماء...خمسة عشر عاما...كبرت فيها ..من عمر الثامنة عشر..وحتى

الثالثة والثلاثين..من الغوغائية والطيش للهدوء...من الكبرياء للتواضع...من الشعور بأنني أعرف كل شيء إلى أنني لا أعرف أي شيء.. خمسة عشر عاما...عمر كامل يا سادة...فكيف تلقوا بي إلى الخارج هكذا...(يصدر صوت الرتاج مرة أخرى).. اللعنة.....آه.....(ينفتح باب على يسار المسرح...يشع نور من الباب ويغمر السجين...فيسقط رأسه على صدره ويسير نحو الخارج كما لو كان نائما)...

(ستار)

هدنة مؤقتة- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

رجل ١

رجل٢

الفتاة

الجنديان

المسرح:

خشبة مظلمة والأضواء الخافتة تسلط من أعلى بشكل أفقي فتظهر هياكل الممثلين وهي شبه مظلمة..

رجل ١- عليك أن تتبنى موقفا محددا...

رجل ٢- ما معنى ذلك..؟

رجل ١- عليك أن تتبنى موقفا من كل ما يحدث...عليك إما أن تكون وطنيا أو خائنا..لا ثالث لهما...

رجل ٢- والذين كانوا يفرون من أمام العدو.. الذن نزحوا عبر الحدود ولجأوا للدول المجاورة...ماذا تسمهم؟

رجل ١- أسميهم جبناء...

رجل ٢- إذا..سمني جبانا معهم...

رجل ١- لا... أنت مختلف عنهم...أنت مثقف...والمثقف يجب...

رجل ٢- يجب ماذا؟... من وضع هذه اليجب المقدسة...ثم..ثم ما معنى مثقف؟.. إنني أفهمك تماما..أفهمك جيدا...إن كل ما تسعى إليه هو وصمي بالخيانة..لكن صدقني..لو قررت أن أكون بطلا فسوف أصبح بطلا...وحينها ستندم...ستندم لأنك دفعتني إلى المجد بيديك وبقيت أنت مجرد كائن وضيع لا قيمة له في التاريخ...

يغادر الرجل رقم واحد المسرح...

تدخل فتاة..

الفتاة– آه... حمدا لله أن هناك إنسان في هذا الشارع المخيف..

رجل ٢– إنه ليس مخيفا إنه كئيب..بل شديد الكآبة...

الفتاة– الكسوف...الشمس والقمر والأرض يخلقان إضاءة غريبة...

رجل ٢– فعلا..تتعامد الشمس والقمر والأرض... لا ظلام كامل ولا ضياء كامل...إنه كيوم القيامة...كحربنا هذه التي لا تنتهي...

الفتاة– فعلا.. ماذا سأفعل الآن...لم أتبرج منذ أن اندلعت الحرب...كل من يقابلني يشعرني بالمسؤولية...إن وضع أحمر الشفاه لوحده كفيل بإثارة المتاعب من قبل الثوار المقاومين...بل وحتى النساء..هل علينا نحن الفتيات أن نكون قبيحات بسبب الحرب..

رجل ٢– هل أنتن كذلك بدون المساحيق؟

الفتاة– لا طبعا...لكن...لكن نحن كفتيات لا نشعر بقيمتنا بدون وضع مساحيق التجميل..

رجل ٢– الحرب لا تمنعكن من وضع المساحيق..

الفتاة– يقولون أن هذا خيانة...

يتحرك الرجل ٢ مبتعدا عن الفتاة ويتحرك معه الضوء من أعلى..

رجل ٢– الخيانة هي أن نخون رغباتنا..هذه هي الخيانة الحقيقية...

الفتاة– حقا؟

رجل ٢– حقا... الوقت يداهمنا دوما...العمر يتسرب كرمل الساعة...هل علينا أن نتحمل كل هذا الهراء...

الفتاة– لا أعرف...أشعر بحزن ما...أشعر بحزن لكنه غير واضح....

رجل ٢– لو كان واضحا لكان مشكلة يمكن التفكير في حل عقلاني لها...الحزن دائما غامض...مثل الموسيقى تماما...لكن..لكن ...

الفتاة– الحقيقة أن منزلي انهار تحت القصف..أشكر الله على أنني لم أكن موجودة فيه... كنت في القرية لحضور عزاء والدتي...هناك في القرية القابعة في مكان ناء .. لا يفضل المتقاتلون احتلالها...إنهم يهربون منها كمريض بالجزام...لقد عدت ولم أجد منزلي...في الواقع هو مجرد غرفة وحمام ومطبخ أمريكي صغير..استأجرته منذ ثلاث سنوات..إنه ليس ملكي حتى....لكنني مع ذلك شعرت بحزن عميق حينما شاهدته وشاهدت بقايا المدينة...أليس هذا محزنا...

رجل ٢- أنا لا أعرف ماذا يمكن أن لا يكون محزنا في هذه المدينة...فحتى قبل الحرب كانت مصابة بهذا المناخ الكابوسي...كنت أفضل الاختباء تحت السرير بدلا عن الخروج من الغرفة...هل تصدقين أنني ربما لم أخرج من المنزل لمدة ستة أو سبعة أشهر..الآن بات علي أن أخرج...ليس بسبب الحرب..فالحرب أو عدم الحرب سيان عندي..لكن..لكن لأنني سئمت...سئمت...أبدو كمالون..هل تعرفين مالون...لا تعرفينه..مالون لصمويل بيكيت...لن تفهميننني إذن.

الفتاة- أفهمك..لكن أنت غير اجتماعي أما أنا فعلى عكسك تماما...أنا عملت بائعة في محل ملابس نسائية فاخر..كنت أتقاضى مرتبا جيدا لأن ابتسامتي ورقتي كانت تحمل الزبائن على العودة للشراء من المحل...

رجل ٢- كنت عاهرة إذن؟

الفتاة- ماذا تقول..كيف تجروء...

رجل ٢- نعم كنت عاهرة... ما الفرق بين أن تبيعي جسدك كاملا أو جزءا منه..ما الفرق بين أن تدعي حب الآخرين بابتسامة مزيفة أو تمارسي الحب المزيف...

الفتاة- أنت تخلط بين الأمرين..أنا أمارس عملي..إنسانة مجاملة ولطيفة وتعرف كيف تجذب إليها محبة الناس..هذه مهارة...

رجل ٢- حسن..كلها نفس الشيء...على أية حال.. فمن يتمتعون بالقدرة على خلق علاقات اجتماعية جيدة مع الجميع هم بالنسبة لي داعرون أكثر من الداعرة نفسها..إنهم مقيتون...

الفتاة- ربما لأنك تفتقر لهذه المهارة...

رجل ٢- ربما...أنت الآن تجبرين نفسك على ترك التبرج حتى لا يصمونك بالخيانة..إنها وصمة عار...هل تعتقدين ذلك...؟

الفتاة- بالتأكيد....

رجل ٢- لا توجد سيارة واحدة لتقلني إلى خارج المدينة..

الفتاة- إلى أين أنت ذاهب؟

رجل ٢- إلى الحدود..سأحاول الهرب..

الفتاة- أعتقد أن من الشجاعة أن تقول ذلك صراحة...

رجل ٢- لا أجد مبررا لإخفاء شيء يفعله الناس جميعا...

الفتاة– لكنهم لا يقولون ذلك..إنهم يهربون فقط...

رجل ٢– لا أعرف..لكن .. ألا..ألا يبدو العالم مغلقا أكثر من اللازم...هل كان الوضع كذلك قبل عشرة آلاف عام...

الفتاة– أعتقد ذلك...لكن ماذا يهم..نحن الآن في زماننا الراهن وبقوانينه الراهنة...ستنتهي الهدنة خلال ساعات..يجب أن نجد وسيلة للخروج من هذه المدينة بأسرع وقت...

رجل ٢– صحيح....أمامنا حياة تنتظرنا وراء هذه الأنقاض..حياة لا تختلف كثيرا عن سابقتها..لكننا فقط سنمتلك أملا جديدا..سيكفينا لسنوات قادمات..ألا تظنين ذلك؟..إن طاقتي تخبوا...أشعر بالإحباط...

الفتاة– لن أعود للقرية.. ربما سأهرب أنا كذلك خارج الحدود...إنني سأنجح في وظيفة السمسرة العقارية متأكدة من ذلك...أمتلك كل المؤهلات اللازمة.. الجمال واللطف والبشاشة.. والقدرة على إقناع الزبون...

رجل ٢– تجيدين التمثيل..تجيدين الكذب... هذا كل ما ينقص المرء في هذه الحياة لينجح...

الفتاة– غير صحيح...

رجل ٢– بل صحيح.. إذا كنت استطيع اقناع الآخرين فأنا ممثل بارع...كذاب أشر...

الفتاة– لا أعرف ماذا يدور في رأسك..لكنك ترى كل شيء من زوايا خاطئة... لن تسعد بحياتك على هذا النحو...

رجل ٢– هذا صحيح... المنمنمات..الأكاذيب الصغيرة..ابتسامات كاذبة...لطف كاذب..بشاشة كاذبة...كلام كاذب...حب كاذب.. عاطفة كاذبة..اقناع الآخرين بأشياء أنت نفسك لا تصدقينها....

الفتاة– حسن..إذا كنت مثاليا فعليك أن تقذف بنفسك إلى النهر لتعيش مع السمك...حيث السمك الكبير يبتلع السمك الصغير مباشرة..أما عندنا نحن البشر فلا شيء مباشر...نحن جميعنا نخسر ونكسب..نكسب لنخسر ونخسر لنكسب...نأكل ونؤكل...إنني أفضل أن تذهب إلى ميدان المعارك لتقاتل ما دمت تملك عقلية سوداوية هكذا...

رجل ٢– أقاتل مع من ضد من...

الفتاة– أيا كان الطرف الذي ستختاره.. لا أعرف...لكن لا تقف على الحياد لأن من يقفون على الحياد يمتلكون روح الحياة...أما أنت فميت...بلا روح..

الرجل رقم واحد يدخل ويقف قرب الرجل رقم إثنين.

رجل ١- يبدو أنك تفضل الهرب من المواجهة..

رجل ٢- جئت مرة أخرى أيها الحقود...أعرفك جيدا...أسلوبك القذر لتحطيم معنوياتي والبحث عن وصمة عار لتلصقها بي...

رجل ١- حسن...وهل احتاج لإلصاق تهمة بك.. إنك في الواقع مجلل بالعار...

رجل ٢- أهم من هذا أنني أكثر نظافة منك أيها النجس... هل ترين هذا الشخص يا سيدتي..؟

الفتاة- نعم..

رجل ٢- إنه أحد أقاربي.. يحسدني ويحقد علي من أيام الطفولة...إنه كائن وضيع وفوق هذا فهو جبان خسيس...إنه لا يواجهك كما يفعل الرجال بل يستخدم اسلوب الغمز واللمز كالعاهرات... أقول لك هذا لتكوني حذرة منه ومن أمثاله...

الفتاة- لا تدخلني في مشاكلكما الخاصة...

رجل ٢- حسن..كما توقعت .. لكنك معذورة فأنت امرأة..أما هو فيبدو رجلا ولكنه ليس كذلك...إنه خنزير...

رجل ١ يغادر المسرح...

الفتاة- لقد جرحته..

رجل ٢- ألم تطلبي عدم إقحامك في مشاكلنا الخاصة..أم أنك كنت تقولين ذلك أمامه فقط في حين أن الفضول يمزقك من الداخل لمعرفة نهاية المهزلة...آه..كم أنت منافقة...

الفتاة تخرج من المسرح...

يدخل كلب يتشمم الأرض...ثم يتشمم ساق الرجل رقم إثنين ويتمسح به...

رجل ٢- حسن أيها الكلب...أرى طوقا فضيا على رقبتك..يبدو أنك كنت عبدا عند أغنياء...ما المكتوب على طوقك..ها...إنه رقم هاتف..عندما كانت أجهزة الاتصالات لا زالت تعمل في المدينة...أيها الكلب..هل فر أسيادك وتركوك..أحسب أن أغنياء مثلهم لن يضيعوا وقتهم الثمين في البحث عن كلب بل سينشغلون بجمع أموالهم والهرب بها بأسرع ما يمكن.....

يجلس على الأرض

رجل ٢- آه...كم أحبك أيها الكلب..إنك صامت في وداعة ..ووفي بلا مقابل... هل تعرف تلك الفتاة..نعم تلك المزيفة...وذلك الحسود..نعم ذلك المزيف الآخر... ماذا سنفعل إن كنا نبحث

عن بشر غير مزيفين..هل تعتقد بأننا كنا سنجدهم؟ كلا... نعم أتفق معك...إن نفوسنا حائرة في هذا العالم...

يغادر الكلب..

يدخل جنديان:

الجندي ١- أيها المواطن...

يرفع رجل ٢ رأسه..

الجندي ١- أيها المواطن ..ألا تسمعني...لماذا لا تجب...

رجل ٢- هل من المحتم علي أن اجيبك..أم أنك ستضربني إذا لم أفعل...أرى أنك متحفز لفعل ذلك...هل تعتقد أن وظيفتك كجندي تعطك مثل هذا الحق...؟

جندي ١- يبدو أنك شخص متعب...

جندي ٢- لماذا لم تنضم للقوة العسكرية...

رجل ٢- لا أرغب في ذلك..

جندي ١- ولماذا لا ترغب في ذاك؟

رجل ٢- لأنني لم أخلق عسكريا...

جندي ١- وماذا خلقت..؟

رجل ٢- أي شيء ماعدا أن أكون عسكريا...

جندي ٢- إنك تهين العسكرية .. العسكرية التي تحميك...

رجل ٢- لا أهينها ولا تحميني هي... إنها في الواقع التي تدمر هذا العالم... عالم بلا عساكر كان ليكون أفضل...عالم بلا حكومات لصوص كان ليكون أفضل...

جندي ٢- يبدو أنه مجنون..دعه وشأنه...

يخرج الجنديان...تدخل الفتاة

الفتاة- ألن ينته كسوف الشمس هذا...لا أكاد أميز بين ألوان أحمر الشفاه...

رجل ٢- لم ينته الكسوف..ولن ينتهي...لماذا عدت؟

الفتاة- لأحصل على رفقة إلى أن أجد وسيلة للخروج من هذه المدينة...

رجل ٢- جيد أنك توقفت عن الكذب والتمثيل...

الفتاة- سأتحمل غباءك إلى حد ما...

رجل ٢- صحيح... إنني لا أؤمن بالاتيكيت...ولا بالمجاملة...

الفتاة- ليس بالضرورة أن تؤمن بكل شيء لتفعله...

رجل ٢- يبدو كذلك...هل قرأت الرواية التي تحكي عن الصيرفي...

الفتاة- لا.. أنا نادرا ما أقرا... ما أن انهيت دراستي الثانوية حتى توقفت عن القراءة...لقد وجدت الحياة العملية أكثر إثارة...الحياة خارج الكتب وليس داخلها... يبدو أنك تعيش في حياة الكتب الوهمية...البشر ليسوا حروفا مكتوبة..

رجل ٢- هل تعتقدين أن الحياة خارج الكتب هي الحياة... هل تعتقدين أنك حقيقية....

الفتاة- متأكدة مائة في المائة...

رجل ٢- هل تعرفين ماذا كنت أعمل...

الفتاة- لا...

رجل ٢- كنت محاميا...وهل تعرفين ماذا رأيت...

الفتاة- لا أعرف..

رجل ٢- رجالا يتم شنقهم لأن شروطا مكتوبة في بضع وريقات قد انطبقت مع سلوكهم..أو انطبق سلوكهم عليها... أشخاص يفلسون لأن هناك كلمات مكتوبة أمام شخص يدعى بالقاضي قد أمرت بذلك...هل تعتقدين أن البشر خارج الورق.. إنهم داخل هذا الورق... إنهم لا شيء بلا هذا الورق...لا شيء بلا حروف مكتوبة.....

الفتاة- أرجوك غير هذا الموضوع أنت تفزعني..إنني أنثى ..حاول أن تتعامل معي كأنثى... ألا يمكنك ذلك...

رجل ٢- ماذا تقصدين.. أن أعاملك كحيوان لا يفهم.. أم كآلة جنس...

الفتاة- وما المانع .. فليكن...هل تعتقد أنك تهينني.. على العكس.. على العكس تماما.. إن الحياة تتطلب بعض المتعة..بعض الابتعاد عن البشرية والاقتراب من الحيوانية.. تتطلب ممارسة الجنس لنشعر بأجسادنا وهي حية بدلا عن برودتها المستمرة كلحم مقدد...أرجوك كن مهذبا.. لا تقل لي بأن التهذيب كذب..لا بل كن مهذبا معي على الأقل... لماذا تجرحني

تبكي..

رجل ٢- لقد أتممت أكثر من عشر سنوات في السجن ... أصبحت هكذا حين خرجت.. مدمنا على الحقيقة...جلفا كئيبا...

الفتاة– هل دخلت السجن؟

رجل ٢– نعم... كان رهانا مع إحد المصرفيين يا فتاة... رهانا انتهى بهزيمة الجميع...لأن لحظة انكشاف الحقيقة هي لحظة هزيمة البشرية حقا... أنا وأنت والمصرفي وقريبي الحقود ..وغيرنا... كلنا مجرد حروف مكتوبة...حيث حياة من المستحيل أن نعيشها كما يجب...

الفتاة– هل تعتقد أنني لست حقيقية...؟

رجل ٢– لا... نحن حقيقيون...هل تعتقدين أنني مجنون...

الفتاة– نعم...

رجل ٢– لا... لست كذلك.. لست بطل الرهان لتشيخوف..ولكنني أنا هو فعلا...هذا ما قصدته... هل تعتقدين أن المجاز كذب؟

الفتاة– لا أعرف ولا يهمني...فقط.. أرجوك...كن لطيفا معي ولو كذبا... نحن نحتاج لبعض الكذب لنعيش.. بل للكثير من الكذب لنعيش... لنسعد بالحياة...ما تفعله هو أنك تمارس حربا ضد نفسك.. أنها أكبر من حرب هذه المدينة....

رجل ٢– لا أستطيع...لا أستطيع...

الفتاة– إذن..فلماذا ستهرب...مالذي سيختلف في حياتك البائسة إذا هربت؟

رجل ٢– في ذلك الصباح .. كنت أمر بمزرعة الرجل الذي كانوا يعتقدون أنه متزوج من جنية...وكعادتي كنت استمتع بشم رائحة روث أبقار المزرعة... تلك الرائحة العجيبة... ترميني في خيال الطبيعة...هناك رأيت جنديا يدفع بصاحب المزرعة إلى الخلف ثم أطلق عليه رصاصة في الصدر أتبعها برصاصات أخرى...الجندي كان يعتقد أنه سيجد الجنية وسيتزوجها..لكنه لم يجد شيئا سوى الأبقار التي لم تكن تنظر إليه حتى.... خرج وغذى بندقيته ثم أفرغها مرة أخرى في رأس وقلب الرجل...لقد كنت مختبئا خلف شجرة وقلبي مغمور في بحيرة من الفزع...غادر الجندي وكأنه قتل حشرة لا قيمة لها ..

الفتاة– هل ترى.. لا زال الكسوف الشمسي يغمر الأرض...

رجل ٢– ما معنى ذلك... هل هناك معنى... هل هناك معنى لرجل قضى حياته مع الأبقار في سلام أن يقتل بلا مبرر هكذا؟...

الفتاة– لن تصيبنا الحرب بالجنون...علينا أن نتماسك يا حبيبي... علينا أن نتماسك ونغادر هذه المدينة التعسة...

رجل ٢- حبيبك....حسن...مجاز عارض..

الفتاة- من قال ذلك... أنا أعنيها.. لا تندهش هكذا.. الحب استعداد... استعداد فقط... استعداد غير مشروط...أو..حتى مشروط... هل هناك مانع أن نوهم أنفسنا بأننا حبيبان...؟ وبعد الهروب...نعم بعد نجاحنا...نعيد تحديد موقفنا من الحب...كما حددناه من الحرب...

رجل ٢- يبدو كل شيء غائما ومضللا في هذه الحياة...الحب استعداد.. يا لها من كلمة متحذلقة...وعندما يصيبنا ذلك الجرح الدامي سوف لن يكون استعدادا أبدا...إنك تحاولين التلاعب بي كما تتلاعبين بزبائنك .. ولكن هيهات...

الفتاة- لا .. لا أفعل ذلك... إنني صادقة... أرجوك .. أرجوك صدقني...بل أرجوك احتضني..خذني في حضنك... إن هذه المدينة باردة ومخيفة وكئيبة... هل يمكنك أن تحتضنني..أرجوك...

يحتضنها.. يظلا هكذا قليلا

تزداد إضاءة الخشبة...

يرفعا رأسيهما...ويقولان بصوت واحد

- إن الكسوف يزول الآن.. إنه يزول...

(ستار)

الخردة- مسرحية من مشهد واحد

الشخصيات:

الأستاذ

الخردواتي

المحامي

صبية وتلاميذ

المسرح:

ساحة معركة قديمة ؛ تتوزع فيها بقايا أسلحة ثقيلة وخفيفة..وعلى وجه الخصوص مدفع طويل يخرج من رأس دبابة مدفونة حتى ثلثها بوضع جانبي وكأنما أصابها مدفع مضاد للدبابات..تتناثر خوذات وبقايا مدرعات وملابس ..الخ.

من الجانب الأيمن للمسرح يدخل أستاذ وخلفه سبعة طلاب ؛ اربعة ذكور وثلاث إناث في الثانية عشر من أعمارهم تقريبا..

يتجه الأستاذ نحو خوذة ويرفعها متأملا في حين يركز التلاميذ في الدبابة حيث يتسلقها أحدهم ويصدر آخر صوت طلقات رصاص بفمه....

يلتفت الأستاذ وراءه

الأستاذ: يا أولاد...تفرجوا على باقي معركة المجد...لا تركزوا كل نشاطكم في الدبابة ..إن الدبابة أضعف الأسلحة رغم حجمها الكبير...لا قيمة لها في حرب المدن..يستطيع جندي واحد أن يغطي نافذتها الصغيرة بالطين فلا يرى سائقها شيئا...ووفقا للتكنولوجيا الراهنة فاصابتها بطائرة درون من أعلى أسهل من ضرب أمهاتكم لكم قذفا بالنعال..

(يتأمل التلاميذ الدبابة بإعجاب..ويتجه الأستاذ لبقايا مدرعة..ينحني داخلها)..

الأستاذ: (يصيح) يا الله ..خاتم فضي منقوش عليه أسم خطيب وخطيبته...هل مات يا ترى...أم عاد وتزوجها...أو..أو ربما أصيب بإعاقة مزمنة..فتزوجت غيره..أو حتى عاد واختلف معها وتركا بعضهما..ربما اختلفا بسبب ضياع الخاتم منه فالفتيات يثرن المتاعب بسبب أشياء تافهة ويغضبن حتى وهن في الجنة...

(تصرخ صبية...فيجزع الأستاذ ويتجه نحوها)..

الصبية: (باكية) انه يمنعني من اللعب بالدبابة معه..

الصبي: (بخوف وكذب واضح) لم أمنعها..

الصبية: بل منعتني...

ولد آخر: بل منعتها..

الصبي: لا تكذب...

ولد ثان: لم يكذب...

الصبي: (يدور مغطيا وجهه بذراعيه ويجهش بالبكاء)..

الأستاذ: حسن..هذا ليس وقت الشجار حاولوا أن تستمتعوا ..

صبية ثانية: لا شيء ممتع هنا..

الأستاذ: كيف ذلك.. هنا كانت معركة الكرامة بين جيشنا قليل العدد وجيش الأعداء..لقد انهزمنا ولكن بعد أن قاوم أجدادنا مقاومة مستميتة..

الصبية الثانية: لا شيء جميل هنا..

الأستاذ: ستكبري وستفهمي ما أقوله لكم..

الصبية الثانية: (تبكي) أريد العودة إلى المنزل...

صبية ثالثة: وأنا كذلك...

الصبي الأول: أنا أيضا..

(يبكي جميع الأطفال)

الأستاذ: يا لكم من أولاد غير مهذبين.. انكم حتى لم تحاولوا سؤالي عن المعركة ولا تاريخها...

(يدير ظهره لهم ويتجه الى الركن الأيسر للمسرح ويلتقط سكينا من على الأرض فيتوقف الاولاد عن البكاء ويعودوا للدبابة)

على الدولة أن تحول هذا المكان لمتحف تاريخي..كم هي مهملة.. إنها المعركة التي هزت العالم بأسره...

(يدخل رجل وهو يجر حماره)

الرجل: ركوب الحمار بعشرة قروش يا أطفال...

(يبتهج الأولاد ويلتفوا حول الأستاذ يرجونه أن يدفع لهم ليركبوا الحمار)

الأستاذ: لا تقفوا خلف الحمار فرفسة واحدة منه قد تقتل أحدكم...

الرجل: لا تخش شيئا يا سيدي فحماري مستأنس ويحب الأطفال..

الأستاذ: في النهاية هو حيوان لا يؤمن جانبه...وأنت لن تدفع دية الميت.

الرجل: (بقلق) دية؟!! حقا..

(يهش الاولاد عن الحمار..)

الأستاذ: بكم ركوب الطفل الواحد..

الرجل: عشرة قروش سيدور بهم الحمار لعشر دقائق ويعود من تلقاء نفسه..

الأستاذ: حمار ذكي..

الرجل:أحيانا لا أعرف أينا الحيوان وأينا الإنسان...تارة ينبهني لأشياء أغفل عنها...وتارة أنبهه لأشياء يغفل هو عنها...

الأستاذ: جيد...بينكما علاقة وطيدة..

الرجل: أربع سنوات ..أو ربما ثلاث.. لا أتذكر بالتحديد...اشتريته من امرأة عوراء..باعته لتدفع ثمن تكاليف معيشة ابنها في المدينة..إنه كان لا زال طالبا هناك...

الأستاذ: ألا تهتم الحكومة ببقايا هذه المعركة الخالدة؟

الرجل: لا أعرف..عاد الفتى قبل أشهر لأمه بساق واحدة..لقد أصيب بطلق ناري في احتجاجات سياسية...مع ذلك فقد تم تعيينه في دار البلدية...

الأستاذ: البلدية تحديدا هي التي يقع على عاتقها حماية هذه الآثار التاريخية..

الرجل: نعم .. البلدية تعاني من الفساد..يبدو أن الفتى قاومهم ففبركوا له تهمة وتم طرده هو وأمه من هنا.. لكنني كسبت حمارا ذكيا في النهاية..أخبرت أمه زمان بأن على ابنها أن يأتي ويعمل معي بدلا عن التعليم الذي لا فائدة منه....

الأستاذ: (بحنق) التعليم لا فائدة منه..

الرجل: (يقلق) لا أقصد ذلك بالضبط..لكن أغلب شباب القرية عاد ولم يعمل...

الأستاذ: (غاضبا) هذا لا يعني أن التعليم لا جدوى منه...

الرجل: نعم..صحيح..ربما اخطأت التعبير..

الأستاذ: ليس ربما ..بل مؤكد أنك اخطأت التعبير... (ينظر تجاه الجمهور) كانت معركة حاسمة..انتصر الاعداء لكن السمعة الاعلامية للمعركة اضطرتهم للانسحاب..انتصرنا بسبب الهزيمة..

الرجل: لقد سمعت ان الفتى هاجر الى هناك.. وأمه ماتت. قبل أن تلحق به....

الأستاذ: لا بأس ..يبدو أنه ولد بلا قيم..لو كان له مبادئ لما هاجر لبلاد الأعداء ولخدم وطنه كما نفعل...

الرجل: لا أعرف..لكن الأطفال مهتمون بالدبابة أكثر من حماري...لو نستطيع تحريك هذه الدبابة قليلا...كانت لتساعدني على كسب بعض الرزق قليلا...هل سيركب الأولاد في حماري؟

الأستاذ: لا.. ميزانية الرحلة لم تتضمن ذلك..إننا مدرسة حكومية..

الرجل: ولكن أي رحلة هذه؟!!! هل إلى هذا المكان المقفر؟!!!

الأستاذ: هذا مكان تاريخي..معركة المجد...

الرجل: كل شيء انتهى..ما الفائدة من زيارة بقايا مدرعات؟!! هذا غير مسل خاصة للأطفال..

الأستاذ: المقصود هو ربط الطفل بتاريخ وطنه ليرتبط بوطنه...

(يدخل رجل وهو محام يرتدي ربطة عنقه ومعه رجل قصير يبدو أجنبيا)

المحامي: ها أنت ترى بنفسك سيدي الخردواتي أن هذا الحديد غال جدا...مدرعات..يعني حديدا ثقيلا...

الخردواتي: (بلغة مكسرة) صحيح..لكن الحديد الخفيف أفضل..

المحامي: تريد أن تمارس لعبة التجارة معي..ربما أنا محامي ولست تاجرا ولكنني شيطان في التجارة..لا تحاول التلاعب معي..ستدفع ثلاثة ملايين على هذه الخردة..

الخردواتي: (يضحك) انت تمزح بالتأكيد..

الأستاذ: (بارتياب) من أعطاك حق بيع ممتلكات الشعب يا سيد؟

المحامي: (يشعر بالفزع) من أنت..أنا محامي وأعرف ما أفعل بالضبط...

الأستاذ: ماذا تفعل بالضبط؟

المحامي: هذا ليس من شأنك..

الأستاذ: بل هو من شأني ما دمت مواطنا وهذا الحديد هو بقايا تاريخ وطني..

المحامي: لقد أبرمت اتفاقا مع الولاية ولا تملك أي شيء في يدك..

الأستاذ: بل أملك...أملك الإعلام..أملك رفع صوتي بالصراخ (يصرخ) تعالوا أيها المواطنون..تعالوا وانظروا كيف يبيعون تاريخكم...

الرجل صاحب الحمار: لا علاقة لي بهذا ..إلى اللقاء (يغادر)..

المحامي: (ينقض على الأستاذ ويكمم فمه بيده) لا تصرخ أيها المزعج...

(يتحلق الأطفال حول الرجال الثلاثة)..

الأستاذ: سأصرخ ..إنك لم تر شيئا بعد أيها الخائن..العميل..المندس..

المحامي: لا تكن أحمقا..(يلتفت للخردواتي) ستة ملايين هو ثلاثة وأنا ثلاثة..ما رأيك..لا نملك الكثير من الوقت..ها أنت ترى أن كل دقيقة ستحول بينك وبين هذا الكنز...

الأستاذ: هذا هو المستحيل بعينه...تاريخ الوطن لا يقيم بكنوز الدنيا...

الخردواتي: وافقت أيها الرجل..لا تعطل مصالحنا..

الأستاذ: على أي شيء توافق..هل أنت مجنون..حقا أنت مجنون لو كنت تتصور أن تاريخنا يمكن أن يكون محلا للبيع والشراء.. واهم..سوف أضعكما في السجن أيها. اللصوص..

المحامي: لن تستطيع..أنت تضيع علينا الملايين....هذه خردة لا فائدة منها...لا تكن مغفلا..فالوطن للأذكياء أمثالنا والوطنية للأغبياء..

الأستاذ: بل. الوطن والوطنية لنا..أما أنت وأمثالك فأنتم خونة ومكانكم المشانق...(ينظر للخردواتي) أيها الخردواتي اللص..سوف أعلقك على المشنقة إلى جانبه..

الخردواتي: وما علاقتي أنا..

الأستاذ: علاقتك أنك جاسوس ضد وطني...

الخردواتي: (بفزع) لست جاسوسا...

الأستاذ: بل جاسوس..تريد شراء تاريخ شعب كامل بستة ملايين أيها اللص..

الخردواتي: إنها مجرد خردة..

الأستاذ: أيها الكذاب..إنك تعلم جيدا أنها آثار تاريخية محلها المتاحف العالمية لمعركة انقضت قبل قرن من الزمان...وأن أي متحف سيكون مستعدا لشرائها بعشرين مليونا على الأقل..

الخردواتي: لن يشتروها بهذا الثمن..

الأستاذ: هل تراهن؟.. سأجري الآن اتصالا بصديق خبير في الآثار..

الخردواتي: لكنني لست متحفا..أنا تاجر آثار صغير...

المحامي: (ينظر للخردواتي بدهشة) ألست خردواتي؟

الخردواتي: (بنفاد صبر) خردواتي طبعا وتجارة الآثار جزء من عملي..

الأستاذ: هل رأيت أيها المحامي الخائن كيف كان يستغل جهلك..

المحامي: (يطأطئ رأسه خجلا)..حقا..لقد..لقد خدعني هذا اللص..

الأستاذ: خمسة عشر مليونا لا تنقص مليما واحدا...أو أغرب عن وجهي..

الخردواتي: ألا يمكننا أن نتفاوض..

الأستاذ: لا تفاوض..تعطي هذا المحامي الجاهل ثلاثة ملايين والباقي لي..هل فهمت..

الخردواتي: (يمد يده مصافحا) اتفقنا...

الأستاذ: لا أصافح الجواسيس..هيا انجز عملك بسرعة... وأنت أيها المحامي الفاشل..أنجز عقودنا فورا...

المحامي: (يرتبك) حسن..حسن..

الأستاذ: (يجمع الأطفال) أنظروا يا أطفال...هل رأيتم تاريخ أجدادكم هذا..إنه تاريخ مخز...سوف تتخرجون من الجامعات وتهاجروا للبلاد التي طرد أجدادكم شعوبها من أرضهم...لأن أجدادكم حمقى ومتخلفين...

التلاميذ: أجدادنا ليسو حمقى..

الأستاذ: بل حمقى..

التلاميذ: ليسو حمقى..

الأستاذ: سأشتري لكم دراجات كهربائية..

(يقفز الأطفال فرحا)

الأستاذ: (يتجه نحو مقدمة المسرح ويتحدث بعينين براقتين) هيييه.. التاريخ هو ككل شيء.. هو ككل شيء.. نحن من نعطه قيمة أو ننزع عنه كل قيمة...تماما كالنظريات..ولكن نحن أبناء الحياة..لا شك في قيمة حياتنا ووجودنا الراهن...(يلتفت للمحامي) هيا انجز عملك أيها المحامي الفاشل ولا تقف جامدا كالتمثال هكذا..

المحامي: حسن..إذا..فلنذهب إلى مكتبي لاتمام الصفقة..

(يخرج الجميع)

(ستار)